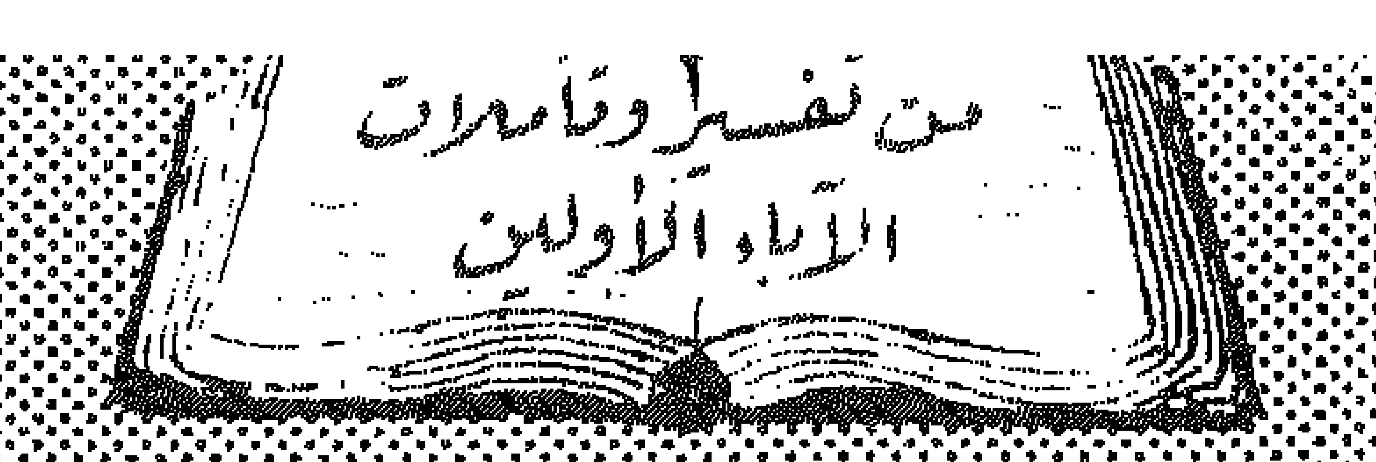


رسالة بولس الرسول

إلى

أهل أفسس



القمص تادرس يعقوب ملطي

اهداءات ٢٠٠٢

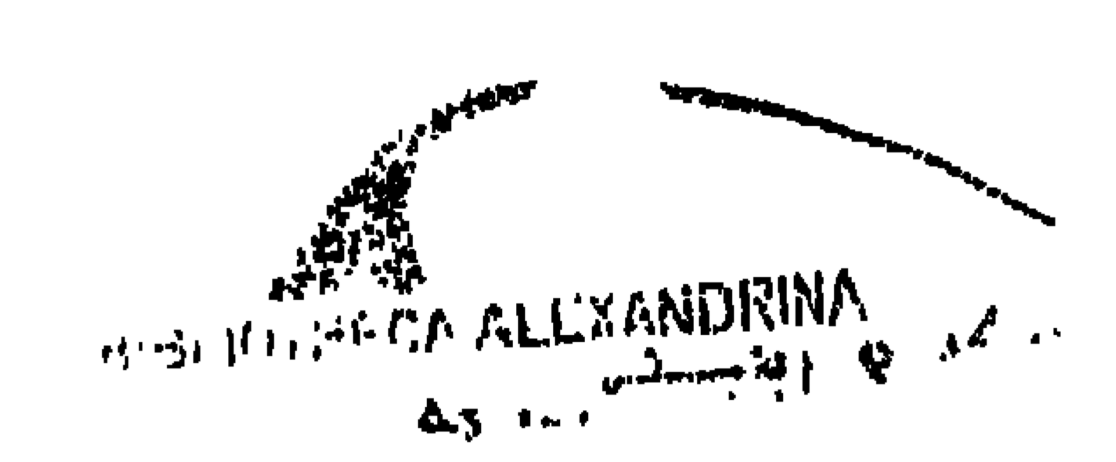
القمص/ تادرس يعقوب مالطى

كنيسة مارى جرجس

من تفسير وتأملات
الآباء الأولين

رسالة بولس الرسول
إلى
أهل أفسس

كنيسة الشهيد مارجرجس باسبورتنج



إسم الكتاب : رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس .
المؤلف : القمص تادرس يعقوب ملطى .
الناشر : كنيسة الشهيد مارجرجس باسبورتنج .
تجميع : مركز الدلتا للتجميع التصويرى باسبورتنج
طبعة : الأنبا رويس ـــ القاهرة .
رقم الإيداع بدار الكتب : ٢١٥٥ / ١٩٨٦



حضرة صاحب القداسة والغبطة

البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

من سجن روما ، فى أواخر حياة الرسول بولس ، قدم لنا هذه الرسالة ، التى مع صغر حجمها نقلت إلينا الفكر الرسولى المسكونى بل والسماوى نحو مفهوم الكنيسة . جاءت هذه الرسالة فريدة فى إهميتها ـــ من هذه الزاوية ـــ فهى رسالة كنسية ليتورجية ، تحمل إلينا تعاليم لها وزنها الخاص ، وتضم تسابيح وقطع ليتورجية من العصر الرسولى ، وفى نفس الوقت تُحسب أشبه بدعوة حارة لتمجيد الله .

هى رسالة كنسية لاهوتية تصبغ على المؤمنين روح البهجة والفرح ، وتدخل بهم إلى سّر الكنيسة على صعيد لاهوتى عميق روحى وواقعى ... الأمر الذى دعى بعض النقاد المحدثين أن يدّعوا بأن هذه الرسالة وُضعت بعد عصر الرسول بولس ، وإن كان كثير من الدارسين رفضوا هذا الفكر كما سنرى .

الرب إلهنا الصالح يهبنا بروحه القدوس أن ننعم بهذا الفكر الرسولى الحىّ لنعيشه بحق وننعم به .

القمص تادرس يعقوب ملطى

رسالة بولس الرسول
إلى
أهل أفسس

أفسس

★ « أفسس » كلمة يونانية تعنى « مرغوبة » .

★ هى عاصمة المقاطعة الرومانية آسيا ، على الشاطىء الأيسر من نهر الكايستر ، فى غرب آسيا الصغرى ، على مسافة ثلاثة أميال من البحر ، تقريباً فى المنتصف بين مدينتى سميرنا (شمالًا) وميليتس (جنوباً) وهى ملتقى طبيعى للطرق التجارية ، خاصة الطريق الرئيسى بين روما والشرق . بُنى لها مرفأ صناعى مما جعلها ميناءً بحرياً هاماً فى العصور الوسطى .

إشتهرت بهيكلها العظيم إرطاميس ، وهى إلهة تمثل أماً لها فى صدرها كثير من الثدى ، غالباً من أصل حثى[1] . تعتبر إلهه القمرْ عند اليونان ــ تقابل ديانا عند الرومان ــ تظهر كفتاة عذراء فارعة الطول وجميلة جداً ، أخت أبللو ؛ يعتقدون أن تمثالها نزل من السماء . كثيراً ما ترسم أيضا فى شكل صيّاد .

★ فى القرن الحادى عشر قبل الميلاد إحتلها الأيونيون Ionians الذين من أصل يونانى ، وصارت إحدى إثنتى عشرة مدينة خاصة بإتحاد ولاياتهم ، وصارت عاصمة أيونيا .

حوالى سنة ٥٥٥ ق.م سقطت المدينة تحت حكم كريسس Croesus ملك ليديا (عاصمتهاساردس) ، وبعد قليل سقطت تحت الحكم الفارسى . وفى عهد إسكندر الأكبر خضعت للحكم المقدونى اليونانى ، وفى سنة ١٣٣ ق.م خضعت للحكم الرومانى ، وصارت عاصمة ولاية آسيا .

★ فى سنة ٢٩ م دُمرت المدينة بواسطة زلزال ، وقام الإمبراطور طبريوس بإعادة بنائها .

تأسيس كنيسة أفسس

كان بأفسس كثير من اليهود لهم جنسية رومانية[٢] (أع ١٨ : ١٩ ؛ ١٩ : ١٧) . إذ كان الرسول بولس راجعاً إلى أورشليم نحو نهاية رحلته التبشيرية الثانية (حوالى سنة ٥٤ م) قام بزيارة قصيرة لأفسس ، حيث كرز فى مجمعها . هناك ترك أكيلا وبريسكلا يكملان عمله (أع ١٨ : ١٨ ـــ ٢١) ، ووعد اليهود أن يعود إليهم فى أقرب فرصة .

فى غيبته جاء أبلوس من الإسكندرية ، وكان من تلاميذ القديس يوحنا المعمدان ، جاهر بما عرفه من شخص السيد المسيح فى المجمع ، وقام أكيلا وبريسكلا بتعليمه طريقِ الرب بأكثر تدقيق (أع ١٨ : ٢٤ ـــ ٢٦) .

رجع الرسول بولس حسب وعده فى خريف سنة ٥٤ م على الأرجح ، فى رحلته التبشيرية الثالثة ، حيث وجد هناك بعض التلاميذ لم يقبلوا سوى معمودية يوحنا فبشرهم بالسيد المسيح وعمدهم ، وإذ وضع يديه عليهم حّل الروح القدس عليهم فطفقوا يتكلمون بلغات ويتنبأون (أع ١٩ : ٣ ـــ ٩) .

وعظ بولس الرسول فى مجمع اليهود نحو ثلاثة أشهر ، ولما قاومه اليهود غير المؤمنين اعتزلهم وأخذ يعظ فى مدرسة تيرانس لمدة سنتين « حتى سمع كلمة الرب يسوع جميع الساكنين فى آسيا من يهود ويونانيين » أع ١٩ : ٨ ـــ ١٢ .

أما نتائج تبشير الرسول بولس فى أفسس فقد أوضحها معلمنا لوقا البشير فى سفر الأعمال ، ألا وهى :

١ ـــ قبل كثير من اليهود والأمم الإيمان بالسيد المسيح (أع ١٩ : ١٠) .

٢ ـــ بلغت الكرازة كل آسيا خلال عاصمتها أفسس (أع ١٩ : ١٠) .

٣ ـــ إذ صنع الله على يدىّ الرسول بولس قوات غير المعتادة (أع ١٩ : ١١) ، شرع بعض السحرة فى صنع عجائبِ بإسم يسوع الذى يكرز به بولس (أع ١٩ : ١٣) ، بينما جاء كثيرون منهم بكتب السحر ليحرقوها علانية ، قدرت أثمانها بخمسين ألفاً من الفضة (أع ١٩ : ١٩) .

٤ ــ إنهارت عبادة أرطاميس ، الأمر الذى دفع صنّاع الفضة أن يقوموا بثورة ، حاسبين فى عمل الرسول بولس إهانة شعبية للهيكل العظيم (أع ١٩ : ٢٤ ــ ٢٩) .

٥ ــ يظهر تأسيس كنيسة عظيمة فى أفسس لها قسوسها مما جاء فى أع ٢٠ ، إذ أستدعى الرسول بولس قسوس (كهنة) الكنيسة التى فى أفسس وهو فى ميليتس (جنوب أفسس) عند رجوعه من الجولان فى مكدونية وآخائية ... وقد أنبأهم عن دخول معلمين كذبة بينهم هم ذئاب خاطفة لا تشفق على الرعية (أع ٢٠ : ٢٩) .

إذ ترك الرسول بولس أفسس أتى إليها تلميذه تيموثاوس وخدمها زماناً لكى تُحفظ من التعاليم الباطلة (١ تى ١ : ٣) . أُرسل تيخيكس إلى أفسس مع الرسالة التى بين أيدينا (أف ٦ : ٢١ ؛ ٢ تى ٤ : ١٢) وربما قدم نسخاً منها لبقية كنائس آسيا ، كما حمل رسالة خاصة بأهل كولوسى .

★ كنيسة أفسس إحدى الكنائس السبع فى آسيا التى وجهت إليها رسائل فى سفر الرؤيا (١ : ١١ ، ٢ : ١ ــ ٧) . وبحسب التقليد الكنسى قضى القديس يوحنا اللاهوتى أيامه الأخيرة هناك ، وتنيح فى جزيرة بطمس مقابل أفسس .

فى سنة ٤٣١ م إنعقد بها المجمع المسكونى الثالث بسبب نسطور بطريرك القسطنطينية الذى جعل من يسوع المسيح شخصيتين حاسباً ان اللاهوت حّل عليه عند العماد ...

الآن تحقق فيها القول الإلهى بأنها تركت محبتها الأولى وأنه مزمع أن يزحزح منارتها (رؤ ٢ : ٤) ، إذ تحولت إلى قرية « أفيس » التى أُقيمت فى موضعها ، ولا يوجد بها مسيحيون .

كاتب الرسالة

لم يطرأ أدنى شك حول هذه الرسالة من جهة أن الرسول بولس هو كاتبها ، وجهها للكنيسة التى فى أفسس ، وذلك حتى القرن التاسع عشر ، لكن جاء

بعض النقاد وحاولوا التشكيك فى أمر كاتبها أو فى أمر الكنيسة التى أُرسلت إليها ، قائلين بأن هذه الرسالة فى الغالب كتبها شخص حاول الإمتثال بالرسول بولس ، كتبها بعد عصر الرسول ، ناقلًا الكثير من رسائل الرسول بولس ؛ أو إن كانت من وضع الرسول فهى ليست موجهة إلى الكنيسة التى فى أفسس ، وقد قدموا ببراهين أو دلائل يمكن إختصارها فى أربعة أنواع[٣] نذكرها هنا مع الرد عليها ، بعد تقديم براهين إيجابية تؤكد أنها رسالة القديس بولس الرسول موجهة إلى أفسس (مع كنائس أخرى مثل كنيسة لاودكية) ... وهذا هو الرأى التقليدى الذى عاشت به الكنيسة فى الشرق والغرب خلال التسعة عشرة قرناً .

الأدلة الإيجابية على أنها من وضع الرسول بولس

أولًا : الشهادة الداخلية

يرى D. Guthrie أن بصمات الرسول بولس واضحة فى هذه الرسالة ، فنحن نعلم ان الوحى الإلهى يعمل فى الكاتب ويرشده ويحفظه من الخطأ ، دون أن يفقده شخصيته فى كتابه تكريماً للانسانية التى يستخدمها الروح القدس ويتفاعل معها ويكرمها .

وتظهر بصمات الرسول بشكل واضح فى النقاط التالية[٤] :

١ ـــ تحمل الرسالة روح بث الرجاء فى النفوس مع التشجيع والشكر لله من أجل أخبار من يكتب إليهم : « إذ قد سمعت بإيمانكم بالرب يسوع ومحبتكم نحو جميع القديسين ، لا أزال شاكراً لأجلكم ذاكراً أياكم فى صلواتى » ١ : ١٥ ، ١٦ .

٢ ـــ يدعو نفسه « أسير المسيح يسوع » ٣ : ١ ، « الأسير فى الرب » ٤ : ١ ، إذ يكتب كرسول سجين من أجل الإيمان .

٣ ـــ يكتب عن « سرّ المسيح » المعلن له شخصياً ، إذ يقول : « إنه بإعلان عرفنى السرّ ... الذى صرت أنا خادماً له حسب موهبة نعمة الله المعطاه لى حسب فعل قوته » ٣ : ٣ ، ٧ .

٤ ــ يبرز الرسول كعادته حبه العملى لمن يكتب لهم ، فيحسب شدائده إنما لأجلهم ، مطالباً إياهم ألا ينشغلوا حتى بآلامه بل ترتفع أنظارهم للمجد الأبدى فوق الآلام ، حاسباً شدائده مجداً لا لنفسه فحسب وإنما أيضاً لهم ، إذ يقول : « أطلب أن لا تكلوا فى شدائدى لأجلكم التى هى مجدكم » ٣ : ١٣ .

٥ ــ يمارس محبته العملية نحو البشرية لا خلال الكرازة وإحتمال الآلام من أجلهم فحسب وإنما أيضاً خلال الصلاة والشفاعة عنهم بروح الإتضاع : « بسبب هذا أحنى ركبتى لدى أبى ربنا يسوع المسيح ... لكى يعطيكم بحسب غنى مجده أن تتأيدوا بالقوة بروحه فى الإنسان الباطن ، ليحّل المسيح بالإيمان فى قلوبكم ... » ٣ : ١٤ ــ ٢١ .

٦ ــ ككارز للأمم دائم الدعوة للحياة الجديدة والفكر الجديد مع التخلى عن الحياة الأممية وذهنها الباطل : « لا تسلكوا فى ما بعد كما يسلك سائر الأمم أيضاً ببُطل ذهنهم ... تجددوا بروح ذهنكم ، وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله فى البر وقداسة الحق » ٤ : ١٧ ــ ٢٤ .

٧ ــ بروح الاتضاع يطلب الصلوات عنه وعن كل الكنيسة ، إذ يقول : « مصلين بكل صلاة وطلبة كل وقت فى الروح ، ساهرين لهذا بعينه ، بكل مواظبة وطلبة لأجل جميع القديسين ولأجلى لكى يُعطى لى كلام عند إفتتاح فمى لأعلم جهاراً بسّر الإنجيل » ٦ : ١٨ ، ١٩ .

٨ ــ كعادته يختم الرسالة بالبركة الرسولية (٦ : ٢٣ ، ٢٤) .

٩ ــ جاءت الإفتتاحية مطابقة لإفتتاحية الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس والرسالة إلى أهل كولوسى .

١٠ ــ تظهر بصمات الرسول بولس فى التكوين الهيكلى للرسالة ، الأمر الذى إنفرد به دون غيره ، إذ جاءت الرسالة تضم الآتى [التحية الإفتتاحية ، الشكر ، الحديث العقيدى ، الحث السلوكى ، التحية الختامية ثم البركة الختامية] .

ثانياً : الأدلة الخارجية

بجانب ما حملته الرسالة من شهادة داخلية انها من وضع الرسول بولس ، فانه توجد أدلة خارجية تؤكد ذلك ، نذكر منها أنه كان لهذه الرسالة انتشار واسع المدى فى منتصف القرن الثانى فى الكنيسة الارثوذكسية (المستقيمة الرأى) بل وحتى بين الهراطقة . فقد إقتبس منها الآباء أكليمندس الرومانى ، وأغناطيوس أسقف أنطاكية[٥] ، وبوليكربس أسقف سميرنا[٦] ، هرماس فى كتابه الراعى[٧] ، وأيضا إقتبست منها الديداكية (تعليم الرب للاثنى عشر رسولًا) . وذكرها الهرطوق مرقيون ضمن الأسفار القانونية (حوالى سنة ١٤٠ م) تحت إسم « الرسالة إلى اللاودوكيين » ، كما أدرجت فى القانون الموراتانى[٨] Muratorian Canon حوالى سنة ١٨٠ م ضمن رسائل بولس الرسول .

الإعتراضات على كاتب الرسالة والرد عليها

أولًا : اعتراضات خاصة بلغة الرسالة وطابعها

Linguistic & Stylistic arguments

يعترض بعض الدارسين والنقاد مثل[٩] Goodspeed بأن الرسالة تحوى كثير من المفردات أو الكلمات اليونانية التى لم تستخدم فى رسائل بولس الرسول hapax legomena (٣٦ كلمة) ، بل وبعضها لم يستخدم فى العهد الجديد كله (٤٢ كلمة) . فمثلًا إعتاد الرسول أن يستخدم كلمة " Satanas (Satan) " أما هنا فيستخدم كلمة " diabolos (devil) " أف ٤ : ٢٧ (كما أيضا فى الرسائل الرعوية) .

هذا من جانب ، ومن جانب آخر فإن طابعها ولغتها أقرب إلى الرسالة الأولى للقديس أكليمندس الرومانى (فى عصر ما بعد الرسول بولس) منها إلى رسائل القديس بولس .

ويجيب الدارسون على هذه الإعتراضات ، قائلين :

١ ــ لعل علّة إختلاف المفردات vocabulary يرجع إلى اختلاف طابعها ، فهى فريدة بين رسائله « كرسالة ليتورجية » ، ضمت بعض مقتطفات من

التسابيح والليتورجيات الكنسية ، لأن موضوعها هو « الكنيسة » ، فجاءت بعض المفردات مقتطفة من الليتورجيات الكنسية .

هذا ويرى البعض أن سّر إختلاف المفردات يرجع إلى الناسخ الذى يمليه الرسول بولس الرسالة وهو فى السجن ، إذ كان يستخدم نساخاً كثيرين .

٢ ــ إن كانت قريبة إلى الرسالة الأولى لأكليمندس الرومانى ، فلأن الأخيرة أخذت الكثير من هذه الرسالة .

٣ ــ مع أن طابع هذه الرسالة ليتورجى ــ مختلف عن بقية الرسائل ــ لكنها مع هذا فهى قريبة جداً إلى الرسول بولس ، وفى جوهرها تحمل طابع وبصمات شخصيته بطريقة يصعب على آخر إنتحالها ، فهى بولسية تماماً فى طابعها كما سبق فرأينا .

ثانياً : الإعتراضات الخاصة بالجانب الأدبى Litrary arguments

ركز بعض النقاد على هذه الإعتراضات بكونها أساسية . أهم هذه الإعتراضات هو التشابه القوى بينها وبين الرسالة إلى كولوسى ، فإن أكثر من ربع كلمات أفسس مقتبسة من كولوسى ، بينما أكثر من ثلث كلمات كولوسى مكررة فى أفسس ، (كما توجد ٨٣ كلمة مشتركة فى الرسالتين دون غيرهما) الأمر الذى لا نجده فى الرسائل البولسية الأخرى . يقول النقاد لا يمكن لشخص كبولس الرسول صاحب الفكر المتجدد أن يكرر عبارات فى رسالتين له ، خاصة وأنه أحيانا يستخدم كلمة ما بمعنى فى رسالة من الرسالتين بينما ذات الكلمة تحمل معنى آخر فى الرسالة الأخرى . مثال ذلك كلمة « سّر » فى كولوسى تشير إلى « المسيح » بينما هى بعينها تشير إلى وحدة اليهود مع الأمم فى أفسس .

بلغ Goodspeed إلى نتيجة خاصة وهى ان الرسالة الى أفسس ليست من وضع الرسول بولس إنما هى من وضع آخر بعد عهد الرسول مباشرة ، أراد محاكاته مقتبساً عبارات من كل رسائله بعد أن جُمعت هذه الرسائل ، خاصة من الرسالة إلى أهل كولوسى .

ويُرد على ذلك بالآتى :

١ ـــ الرسالة الى أفسس ـــ كما يرى بعض الدارسين ـــ هى رسالة دورية لكل كنائس آسيا الصغرى خاصة لاودكية ، فهى الرسالة إلى اللاودوكيين التى أشير إليها فى الرسالة الى كولوسى (كو ٤ : ١٦) ... وقد سُجلت « الرسالة الى أفسس » بكونها عاصمة آسيا الصغرى . ولما كانت لاودكية وكولوسى مدينتين متجاورتين لذا طالب الرسول بتبادل الرسالتين (كو ٤ : ١٦) ، خاصة وأنهما كُتبتا فى وقت متقارب جداً ، وحملهما شخص واحد هو « تيخيكس » (أف ٦ : ٢١ ، كو ٤ : ٧) ، وتناولا موضوعين متكاملين ، فالرسالة التى بين أيدينا تتحدث عن الكنيسة جسد المسيح ، بينما الرسالة إلى كولوسى فموضوعها « المسيح رأس الكنيسة » . لذا كان يجب أن يوجد تقارب شديد بينهما . هذا التقارب لا يشكك فى أن الكاتب واحد بل بالعكس يؤكد ذلك . فما حسبه النقاد برهاناً معارضاً إنما هو برهان ضدهم .

٢ ـــ لو ان كاتب آخر اقتبس من الرسول بولس من كل رسائله ، لاقتبس عبارات كاملة لها رنينها الخاص وليس كما حاول البعض وضع أعمدة بين الكلمات التى وردت فى هذه الرسالة ورسائله الأخرى ، حاسبين أن مجرد وجود كلمة واحدة أحياناً علامة على إقتباسها من الرسائل البولسية . نقول العكس أن وجود كلمات مشتركة بين هذه الرسالة والرسائل الأخرى لهو تأكيد انها رسالة بولسية .

٣ ـــ استخدام كلمات مشتركة فى الرسالتين (أف ، كو) بمعنيين مختلفين لا يمثل حجة انها غير بولسية بل بالعكس يحمل تأكيداً انها للرسول صاحب الفكر المتسع الذى يعطى للعبارة أكثر من معنى . فحينما يتحدث الى اهل كولوسى عن « المسيح رأس الكنيسة » يحدثنا عن « السّر » بكونه « سّر المسيح » ، وحينما يحدثنا فى هذه الرسالة عن « الكنيسة جسد المسيح » يحدثنا عن السّر بكونه إتحاد الكنيسة معاً فى المسيح ، سواء اللذين من أصل أممى أو يهودى ... فمع إختلاف المعنيين نجد إنسجاماً وتكاملاً وليس تعارضاً .

ثالثاً : الإعتراضات الخاصة بالجانب التاريخى Historical arguments

يرى بعض النقاد إن ثمة إختلاف بين هذه الرسائل والرسائل البولسية من الجانب التاريخى ، من حيث أن هذه الرسالة تُظهر أن الصراع اليهودى الأممى قد إستقر بينما فى الرسائل الأخرى نجد الصراع حّياً وفعالاً ، هذا ما جعل النقاد ينظرون إليها كرسالة متأخرة عن عصر الرسول بولس .

يُرد على ذلك بالآتى :

١ ــ إذ تحدث عن المصالحة بين اليهود والأمم خلال الصليب فى جسد واحد « قاتلًا العداوة به » ٢ : ١٤ ــ ١٦ ، إنما تكلم بلغة لا يمكن إلا ان تكون لغة الرسول بولس خادم الأمم الذى ركز أنظاره على « نقض حاجز السياج المتوسط » ٢ : ١٤ قبل أن تُنقض أسوار أورشليم لتفتح للجميع .

٢ ــ لو أن الرسالة قد كُتبت بعد الرسول بولس لما حدث صمت عن سقوط أورشليم عندما حدث نقض الحجاب الحاجز بين اليهود والأمم ... الأمر الذى يؤكد أنها كُتبت فى عصر الرسول .

٣ ــ غياب الحديث عن إضطهاد القرّاء يشير إلى أنها كتبت فى وقت مبكر جداً من تاريخ الكنيسة ، أى فى العصر الرسولى .

رابعاً : الإعتراضات الخاصة بالجانب التعليمى Doctrinal arguments

حاول بعض النقاد أن ينكروا نسبتها للرسول بولس بحجة إختلاف الأفكار التعليمية هنا عنها فى الرسائل البولسية وذلك بخصوص « الكنيسة ، المسيح ، التعليم الإجتماعى » ، ولا نريد هنا الخوض فى التفاصيل إنما نريد توضيح الآتى أنه لا يوجد تناقض بين ما ورد هنا وما ورد فى الرسائل الأُخرى إنما تباين وتمايز يعطى للرسائل حيوية عوض التكرار ، ويكشف أعماق الفكر اللاهوتى للرسول بولس دون جمود ... خاصة وأن هذه الرسالة فريدة فى موضوعها ألا وهو الكشف عن « جامعية الكنيسة » ، وفريدة فى إقتباساتها من التسابيح والليتورجيات الكنسية .

نذكر على سبيل المثال بعض التباينات التى رآها النقاد :

١ ـــ من جهة التعليم الخاص بالكنيسة ، ففى الرسائل الأخرى يركز على الكنائس المحلية ويهتم بمشاكلها العقيدية والعملية ، ويقدم تحيات خاصة بخدام أحباء عاملين فى الكرم ، أما هنا فلا نجد شيئاً من ذلك ، ذلك لأن موضوع الرسالة هو « جامعية الكنيسة » (٤ : ١ ـــ ١٦) ، فهو إذ يتحدث فى هذا الأمر يرفعنا فوق كل ظروف كنيسة أفسس وأحداثها ومشاكلها والعاملين فيها ليعلن الكنيسة الواحدة ، جسد المسيح وعروسه (راجع ٢ : ٨ ، ٩ ؛ ٤ : ١٤ ؛ ٥ : ٦) . هذا هو الخط الواضح فى الرسالة كلها متناسب ومتناغم مع الفكر الرسولى .

٢ ـــ عندما يتحدث عن الرسل والأنبياء ، يقدمهم كقديسين (٣ : ٥) ، وكأساس للكنيسة حيث يكون المسيح حجر الزاوية (٢ : ٢٠) ، فظن البعض ان هذا الفكر الذى فيه توقير شديد للرسل والأنبياء يمثل ما بعد عصر الرسول ، حيث كان الرسل قد رقدوا فكرّمتهم الكنيسة . هذا الإعتراض غير منطقى فاننا نجد الرسول بولس أحياناً يدعو حتى المؤمنين أيضا قديسين أو « مدعوين قديسين » رو ١ : ٧ . أما حديثه عن الرسل والأنبياء كأساس الكنيسة فهو فكر بولسى حق ، سجله هنا عندما تحدث عن الكنيسة الجامعة .

٣ ـــ عندما يتحدث عن الزواج (٥ : ٢١ ـــ ٣٣) يعطيه قدسية خاصة بربطه بمفهوم إتحاد الكنيسة بالمسيح ، الأمر الذى لا نجده عند حديثه عن الزواج فى ١ كو ٧ ... والسبب فى هذا أنه هنا يقدم عرضاً عاماً لفهم سّر الزواج ، أما فى ١ كو ٧ فيقدم إجابة خاصة بسؤال معين .

لمن أُرسلت ؟

فى بعض المخطوطات اليونانية القديمة لا توجد كلمتا « فى أفسس » ، لذا يرى بعض الدارسين انها رسالة دورية وجهت إلى كل كنائس آسيا الصغرى لاسيما لاودكية ، وانها نسبت إلى « أفسس » بكونها عاصمة آسيا الصغرى فى ذلك الحين .

هذه النظرية « إنها رسالة دورية » وجدت أيضاً إعتراضاً من بعض الدارسين ، ولكل فريق وجهة نظره ودلائله .

الفريق الأول يؤكد انها رسالة دورية عامة مدللين على ذلك بعدم إهتمام الرسول بتقديم تحيات خاصة للعاملين فى أفسس مع أن للرسول بولس ذكريات كثيرة فى هذه الكنيسة بكونه مؤسسها . هذا ولا نجد فى الرسالة معالجة لمشاكل خاصة بكنيسة معينة كبقية الرسائل ...

كما يقولون باننا إن رجعنا إلى سفر الرؤيا (٣ : ١٦) نجد السيد المسيح القائم من الأموات يُعلن انه ينزع إسم لاودكية من فمه ، وبالفعل أستبدلت لاودكية بأفسس .

بدأ مرقيون — فى القرن الثانى — بفكرة إرسالها « إلى لاودكية » ، وقد عارضه بعض آباء الكنيسة مؤكدين انها أُرسلت إلى أفسس أصلًا . من بين الآباء المنادين بهذا الرأى : العلامة ترتليان(١٠) ، والقديس اكليمندس الاسكندرى(١١) ، والقديس ايريناؤس(١٢) والعلامة اوريجانوس ، وأيضا شهادة موراتورى .

أما الفريق الآخر المعارض لنظرية « دورية الرسالة » ، فيرى أنها سُجلت فى أواخر حياة الرسول ، حين كان فى سجن روما ، موجهاً إياها لا إلى الكنيسة التى فى أفسس ككل وإنما إلى الأعضاء الذين هم من أصل أممى ، إلى أشخاص لا يعرفهم ، قبلوا الإيمان ونالوا العماد بعد رحيله النهائى من المدينة . فهو يعرف كنيسة أفسس التى أسسها لكنه يتحدث هنا إلى الأمم . هذا من جانب ومن جانب آخر فإنه إذ يكتب عن مفهوم « الكنيسة الجامعة » أراد ألا يذكر أسماء ليرتفع بهم إلى ما فوق العلاقات الشخصية ، بينما فى الرسائل الأخرى يكتب عن مشاكل محلية فأراد تأكيد علاقة المحبة الشخصية . إنهما فكران متكاملان ومتلازمان واضحان فى حياة الرسول بولس الذى يود كراعى حقيقى أن يعرف الرعية ، إن أمكن شخصاً شخصاً ، وذلك فى المسيح يسوع ، وفى نفس الوقت يرتفع بنظره فوق الأحداث ليرى كنيسة المسيح الواحدة والجامعة دون تحيّز لشخص أو أشخاص .

هذا ويرى هذا الفريق إن كان بعضا من الاسكندريين قدموا الرسالة دون أن تعنّون لكنيسة معينة ، فذلك لأنهم استخدموها فى الليتورجيات الكنسية .

تاريخ كتابتها

لم يظهر الرسول فى هذه الرسالة متى كتبها ولا أين كتبها ، لكنه أوضح أنه كان أسيراً بدليل قوله : « أنا بولس أسير يسوع المسيح لأجلكم » ٣ : ١ ؛ « أطلب أن لا تكلوا فى شدائدى لأجلكم » ١ : ١٣؛ « أنا الأسير فى الرب » ٤ : ١ ؛ « أنا سفير فى سلاسل » ٦ : ٢٠ .

الرأى الأرجح انها كتبت حوالى سنة ٦٣ م ، حين أُذن له أن يستاجر بيتاً فى روما لمدة سنتين ، وقبل جميع الذين أتوا إليه كارزاً بملكوت الله بكل مجاهرة بلا مانع (أع ٢٨ : ٣٠) . فى هاتين السنتين كتب كل رسائل الأسر : « كولوسى ، أفسس ، فيلبيى ، فليمون » .

غير ان بعض الباحثين من امثال Reuss و Mayer يعتقدون ان الرسول بولس كتب الرسائل الى أهل أفسس وإلى أهل كولوسى وإلى فليمون أبان سجنه فى قيصرية (أع ٢٣ : ٣٥ ؛ ٢٤ : ٢٧) ما بين سنة ٥٨ م وسنة ٦٠ م . قدم ماير أربعة براهين يمكن الرد عليها[١٣] .

١ ـــ انه أكثر قبولًا أن يكون أنسيموس قد رحل إلى قيصرية عن أن يكون قد قطع رحلة طويلة ليذهب إلى روما ، ويُرد على ذلك بأنه على العكس الأكثر قبولًا أن يتجه انسيموس العبد السارق إلى روما ، أولًا لبعدها عن مكان سيده (فليمون) لئلا يجده فيقتله ، وثانياً لأن روما متسعة يمكن ان يختفى فيها وليس مثل قيصرية المدينة الصغيرة حيث يمكن ان تنكشف قصته هناك .

٢ ـــ لو ان هذه الرسائل كتبت فى روما كان من الطبيعى ان يعبر أنسيموس وتيخيكس حاملا الرسائل على أفسس قبل وصولهما كولوسى ، وكان من الطبيعى ان يشير اليهما الرسول بولس فى الرسالة إلى أفسس كما فعل فى الرسالة الى كولوسى (٤ : ٩) ، أما كونه لم يشر إلى الإثنين فى الرسالة الى أفسس فلانهما

جاءا من قيصرية إلى كولوسى أولاً حيث استقر انسيموس ولم يذهب مع تيخيكس الى أفسس ، لهذا لم تكن هناك حاجة إلاّ إلى ذكر تيخيكس ، ويرد على ذلك بان الرسالة الى أفسس غالبا رسالة دورية إلى كل كنائس آسيا الصغرى فلا حاجة لذكر أنسيموس .

٣ — فى قوله : « ولكن لكى تعلموا أنتم أيضا أحوالى ... » أف ٦ : ٢١ ، ما يشير الى ان تيخيكس عبر اولا على كولوسى وأخبرهم ثم ذهب الى افسس يخبرهم هم « أيضا » بأحواله ... وهذا يتحقق بمجيئه من جهة قيصرية لا روما ... يُرد على ذلك بأن كلمة « أيضاً » تحمل تفاسير كثيرة ، منها انها تشير إلى أن الرسالة إلى أهل كولوسى قد كُتبت أولًا وحملت أخباره إلى المنطقة ككل ، وجاءت هذه الرسالة تكمل الحديث لتعلن أن تيخيكس سيخبرهم بأمور جديدة أيضاً .

٤ — طلب الرسول بولس من فليمون أن يعد له منزلًا (فل ٢٢) تعنى انه بالقرب منه فى قيصرية ... ويرد على ذلك بأن الرسول لم يكن يتحدث عن مجىء سريع .

هذا وقد جاء التقليد الكنسى يؤكد أن رسائل الأسر كتبت من روما وليس من قيصرية ، خاصة وأن ما ورد فى أف ٦ : ١٩ ، ٢٠ يوضح أن الرسول بولس كان يتمتع ببعض الحرية يستغلها فى الكرازة بالإنجيل ، وهذا يناسب حاله فى روما (أع ٢٨ : ١٦) لا فى قيصرية (أع ٢٤ : ٢٣) .

موضوع الرسالة

تعتبر هذه الرسالة « كنسية » فى جوهرها ، موضوعها الرئيسى هو « الكنيسة » وعلاقة المسيح بها . الكنيسة بالنسبة للسيد المسيح هى الجسد بالنسبة للرأس (١ : ٢٣) ، والعروس لعريسها (٥ : ٢٣ — ٣٢) .

غاية الرسالة الإعلان عن خطة الله فى خلق شعب مسيانى لله ، جماعة مقدسة جديدة ، متحدة بالرأس المسيح ... هذا هو « سرّ محبة الله للبشرية » .

بعد أن أكدّ الرسول فى الأصحاحات الثلاثة الأولى عمومية الخلاص لليهودى كما للأممى أوضح فى الأصحاحات الثلاثة الأخيرة (٤ ــ ٦) أن وحدة الإيمان والقداسة والسلوكيات الشخصية والإجتماعية وأيضا أسلحة المؤمن الروحية يلزم أن تمارس من خلال الكنيسة وداخلها[١٤] . وقد دعاها بعض الدارسين « إكليل البولسية Crown of Paulinism » .

سماتها

إتسمت هذه الرسالة عن بقية الرسائل البولسية بالإهتمام بالفكر الكنسى الرسولى ، لذا جاءت تحمل طابعاً خاصاً بها وسمات فريدة ، نذكر منها :

أولاً : تمثل هذه الرسالة أنشودة كنسية أو تسبحة يلهج بها الرسول بولس المتهلل بالروح ، إذ يرى الحجاب الحاجز بين اليهود والأمم قد إنشق ، والعداوة قد بطلت بالصليب ، فجاءت رسالة ليتوريجية Liturgical تسبيحية[١٥] hymnodic ، إذ فيها يشجع الرسول أن يتكلم كل واحد بالمزامير والتسابيح (٥ : ١٩) .

ثانياً : ضمت هذه الرسالة بعض تسابيح كانت مستخدمة فى عصره ، أو مقتطفات منها ، مثل : ١ : ٣ ــ ١٤ ، ٢٠ ــ ٢٣ ؛ ٢ : ٤ ــ ٧ ، ١٠ ، ١٤ ــ ١٨ ، ٢٠ ــ ٢٢ ؛ ٣ : ٥ ، ٢٠ ــ ٢١ ؛ ٤ : ٤ ــ ٦ ، ١١ ــ ١٣ ؛ ٥ : ٢ ، ١٤ ، ٢٥ ــ ٢٧ . هذه المقتطفات كان لها أثرها على لغة الرسالة كما رأينا وأسلوبها ، نضيف إليها الآتى :

١ ــ كثرة الأفعال عن الأسماء بخلاف بقية الرسائل البولسية ، فهنا نجد ٢٣١ فعلًا مقابل ١٥٨ إسما بينما فى غلاطية ١٣٩ فعلًا مقابل ٢٠٢ إسماً ، وفى رومية ٣٦٣ فعلًا مقابل ٣٧٧ إسماً .

٢ ــ كثرة حروف الجر مثل : « مثل ، لأن ، هكذا ، لذلك الخ ... » تستخدم فى بداية المقتطف أو نهايته .

٣ ــ العبارات المقتطفة تأتى أحيانا فى شكل عارض وسط النص .

٤ ــ كثيراً ما لا يذكر إسم الله إنما يكتفى بالقول : « الذى » أو « فيه » أو « خلاله » .

٥ ــ يتحدث عن المنتفعين بإمكانيات الله فى صيغة الشخص الأول الجمع ، مثل « أبينا ، ربنا ، باركنا ، إختارنا الخ ... »

ثالثاً : إذ يتحدث عن الكنيسة عروس المسيح المتحدة مع الآب فى إبنه ، لذا أبرز الله ليس فقط كمجيد (١ : ١٧) وقدير (١ : ١٩) وإنما أيضا كرحيم (٢ : ٤ الخ) . تحدث عن الكنيسة بكونها « فى المسيح » ، إذ فيه تنال كل بركة سماوية (١ : ٣) ، وفيه تم إختيارها (١ : ٤) ، وفيه نالت الفداء (١ : ٧) الخ ...[١٦] كما أعلن قوة صليبه فى المصالحه (ص ٢) ، وأبرز عمل الروح القدس (٢ : ١٨ ؛ ٣ : ٥ ؛ ٤ : ١ الخ ، ٥ : ١٨) . بمعنى آخر الكنيسة هى صنيعة محبة الآب محب البشر ، وعمل الإبن الذى ضمها إليه خلال الصليب بفعل الروح القدس واهب الشركة .

رابعاً : مادام الرسول يعلن عن الكنيسة الجامعة فى إتحادها الخفى بعريسها السماوى ، فقد أكدّ طبيعتها السماوية ، ساحباً قلوبنا إلى السمويات عينها . ففى الإفتتاحية إذ يسبح الله يقول : « مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذى باركنا بكل بركة روحية فى السماويات فى المسيح » ١ : ٣ . نستطيع أن نقول انه عنى بقوله « فى السمويات » أى « فى الحياة الكنسية » بكونها تمتع بعربون السماء !

وعندما تحدث عن عمل الآب فى المسيح رأس الكنيسة ، قال : « أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه فى السمويات » ١ : ٢٠ لكى به نقوم نحن من موت الخطية ونجلس فى السمويات أى نمارس الحياة الكنسية بكونها « حياة فى المسيح السماوى » .

هذا ما عاد ليؤكده بقوله : « أقامنا معه وأجلسنا معه فى السمويات فى المسيح يسوع » ٢ : ٦ .

فى الأصحاح الثالث يعلن : « لكى يُعرف الآن عند الرؤساء والسلاطين فى السمويات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة » ٣ : ١٠ .

حتى جهادنا ضد الشياطين إنما يتحقق لأجل السمويات ، « فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل ... مع أجناد الشر الروحية فى السمويات » ٦ : ١٢ .

هكذا نرى الخط السماوى واضحاً ، فالكنيسة حياة سماوية ، وأبونا سماوى ، ومسيحنا يجلس فى السماويات ليجلسنا معه ، وعدو الخير يقاتلنا ليحرمنا من السماويات .

خامساً : أبرزت هذه الرسالة قدسية الكنيسة كحياة مع المسيح ، حياة فائقة علوية لكنها واقعية ومُعاشة . ولعل **القديس يوحنا الذهبى الفم** فى عظته عن سقوط أتروبيوس إذ تحدث عن الكنيسة بفيض إستوحى مفاهيمها القدسية من هذه الرسالة ، فقد جاء فيها :

[ليس شيء مستقر مثل الكنيسة ، إنها خلاصكم وملجأكم !
عالية أعلى من السموات ، وقريبة أقرب من الأرض .
إنها لا تشيخ ، بل تبقى مزهرة على الدوام ...
الآف الأسماء تحاول أن تعبّر عن سموها ، كما يلقب الرب بأسماء كثيرة ...
إنها عروس فى وقت ما ، وإبنة فى وقت آخر ، عذراء وأمة وأيضا ملكة[١٧]] .

هى عالية أعلى من السماء لأنها ترفعنا إلى العضوية فى جسد المسيح ، الأمر الذى تشتاق الملائكة السمائيون أن يدركوا أسراره ، وهى قريبة منا جداً أقرب من الأرض لأنها تمثل حياة نعيشها واقعياً ونمارسها فى حياتنا فى الداخل كما فى السلوك الظاهر .

سادساً : لاحظ كثير من الدارسين أن هذه الرسالة ـــ دون غيرها من رسائل معلمنا بولس الرسول ـــ قد ركزت على السيد المسيح الممجد لا المتألم ، وذلك لانها رسالة الكنيسة الخفية التى وإن شاركت مسيحها آلامه لكنها ترجو التمتع بشركة أمجاده السماوية ...

إنها رسالة إله المجد ، الآب الممجد والإبن الممجد ... لذا فى الأصحاح الأول نجده يكرر « مدح مجده » ثلاث مرات (١ : ٦ ، ١٢ ، ١٤) . فبممارستنا

الحياة الكنسية نقدم أنشودة « مدح مجده » لا بألسنتنا فحسب وإنما بكل حياتنا .

سابعاً : منذ سنة ١٨٣٥ حيث أعتقد F.C. Baur أن الرسالة الى أفسس تحمل اتجاهات غنوسية ظهرت فى النصف الثانى من القرن الثانى ، اهتم الدارسون بمدى علاقة هذه الرسالة بالكتابات الغنوسية ، خاصة بعد ظهور مخطوطات نجع حمادى الغنوسية المشهورة . وقد ظن البعض ان الرسالة حملت أفكاراً غنوسية وضد غنوسية فى نفس الوقت[١٨] ، والسبب فى ذلك انه إستخدم عباراتهم لكن بمفاهيم مختلفة تماماً عن مفاهيمهم ، وقد سبق لنا الحديث فى هذا الشأن[١٩] ، نذكر على سبيل المثال ان الرسول بولس كثيراً ما تحدث فى هذه الرسالة عن « المعرفة » ، لكنه لا يقدم « معرفة gnosis » حسب الفكر الغنوسى التى تعنى إحتلال العقل محل الإيمان ، وإنما يتحدث عنها كعطية علوية تعلن ما هو خفى ، غايتها الخلاص ، تربط مقتنيها بالله كطريق حياة روحى ، مركزها السيد المسيح .

أقسام الرسالة

+ + +


الباب الأول
سرّ خطة الله
أو
شعب الله المسيّاني



هذه الرسالة فى جوهرها « تسبحة حب » تنشدها النفس التى تعرفت على مركزها بثبوتها فى المسيح ، لا كفرد منعزل وإنما بالحرى كعضو حىّ فى الجسد المقدس خلال إتحاده بالرأس ، لتكون على الدوام فيه ، تنعم خلاله بمعرفة « سرّ المسيح » على مستوى الخبرة السماوية وبنظرة إنقضائية مجيدة .

بمعنى آخر ، حمل هذا الأصحاح خطين واضحين هما : « فى المسيح » ، « معرفة سرّ الله » . فنحن كنيسة الله أو شعبه المقدس لأننا فى المسيح ، أما غاية إيماننا فهو المعرفة الإلهية لا على مستوى السفسطة والجدال وإنما على مستوى قبول إعلان الله لنا عن ذاته وأسراره .

يمكننا تقسيم هذا الأصحاح إلى :

١ ــ البركة الرسولية	٤ .
٢ ــ تسبحة الكنيسة : « فى المسيح »	٢ ــ ١٤ .
٣ ــ شفاعة الرسول لنوال المعرفة	١٥ ــ ٢٣ .

+ + +

١ ــ البركة الرسولية

« بولس رسول يسوع المسيح بمشيئة الله إلى القديسين الذين فى أفسس والمؤمنين فى المسيح يسوع ، نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح » ع ١ ، ٢ .

هذه الإفتتاحية تحمل روح الرسول وفكره ، فغالباً ما يقدم الرسول نفسه للكنيسة التي يكتب إليها بكلمات بسيطة تحمل عمقاً وتناسقاً مع موضوع الرسالة وهدفها ، كما يبدأ بتقديم البركة الرسولية التي هي عطية الله نفسه للكنيسة . ويلاحظ في هذه الإفتتاحية الآتي :

أولاً : لما كان موضوع الرسالة هو « الكنيسة الجامعة » ، فإن قيام هذه الكنيسة هو من عمل الله نفسه الذي أرسل إبنه متجسداً ليقيمها جسداً له ، واهباً إياها حياته المقدسة حياة لها ، لذلك نجده يركز على النقاط التالية :

ا ـــ انه رسول « **بمشيئة الله** » ، ليس له فضل في ممارسة العمل الرسولي ، خاصة بكونه رسول الأمم ، يدعوهم للإتحاد مع اليهود في جسد واحد ... الله بمشيئته إختاره رسولاً ليحقق غايته الإلهية فيهم . حقاً إن تعبير « بمشيئة الله » ليس غريباً عن الرسول في إفتتاحية رسائله ، لكن ما تتسم به هذه الرسالة هو تكراره هذا التعبير ست مرات (١ : ١ ، ٥ ، ٩ ، ١١ ؛ ٥ : ١٧ ؛ ٦ : ١٦) ، الأمر الذي لا نجده في الرسائل الأخرى[٢٠] ، بل وفي الأسفار الأخرى سوى انجيل يوحنا ، ذلك لأن هذه الرسالة تكشف « سرّ المسيح » بكونه سرّ الكنيسة المجتمعة من اليهود والأمم ، هذا السرّ يحقق مشيئة الآب الازلية ، ويتمم مسرته نحو البشرية .

يفضل بعض الدارسين ترجمة « مشيئة الله » هنا بـ « قرار الله[٢١] » ، إذ يرون في النص ما يعني ليس مجرد الارادة بل حركة عمل لله الحكيم والقدير والحيّ ككائن محب للبشر ، أعلن هذه الحركة الأزلية خلال التاريخ بتدبيره الإلهي .

ب ـــ يدعوهم « قديسين » مع أنه يكتب إلى أعضاء من أصل أممي كان لا يزال بعض المسيحيين من أصل يهودي لا يستريحون للإنضمام إليهم تماماً ، لذا أراد الرسول أن يؤكد بأن الله الذي إختار شعب اليهود قبلاً كشعب مقدس خاص به ، قد فتح باب الإيمان ـــ وهذا هو سرّ دعوتهم هنا بالمؤمنين ـــ ليضمّ الأمم دون أن يفقد الشعب قدسيته . لقد كرر هذا التعبير « قديسين » ١٤ مرة في هذه الرسالة ، بطريقة لا نجدها إلا في الرسالة إلى أهل رومية مع ملاحظة أن

الأخيرة أطول منها . بمعنى آخر تكرار هذا التعبير هنا عنى تأكيد إستمرارية قدسية شعب الله القديم بعد إتساعه ليتقبل معه الأمم خلال المسيح يسوع[٢٢] .

يعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** على تعبير « القديسين هنا بقوله : [لاحظ إنه يدعو الرجال مع نسائهم وأطفالهم وخدمهم « قديسين » . هؤلاء هم الذين دعاهم بهذا الإسم كما هو واضح من نهاية الرسالة ، إذ يقول : « أيتها الزوجات (النساء) إخضعن لرجالكن » ٥ : ٢ ، وأيضا : « أيها الأولاد أطيعوا والديكم » ٦ : ١ ، « أيها العبيد (الخدم) أطيعوا سادتكم » ٦ : ٥ . تأملوا مقدار البلادة التى إستحوذت علينا الآن ، كيف صارت الفضيلة نادرة الآن بينما كان الفضلاء كثيرين جداً فقيل عن العلمانيين إنهم قديسون ومؤمنون[٢٣]] .

قرار الله أو مشيئته ليس فقط ان يختار القديس بولس رسولًا وإنما أن يتمتع الأمم (رجالًا ونساءً ، أطفالًا وشيوخاً ، سادة وعبيداً) بالحياة المقدسة ، وذلك خلال « المسيح » بالإيمان به .

رسالة أفسس فى مجملها يمكن أن تفهم كمقال عن أساس التقديس ووسائله وإمتداده وغايته[٢٤] .

هذا ويؤكد **العلامة أوريجانوس** أن المؤمن إذ يدعى هنا قديساً ، فذلك لأنه قد نال امكانيات الحياة المقدسة (خلال مياه المعمودية وعمل الروح القدس) ، يلتزم ان ينطلق فى هذه الحياة المقدسة لينمو بلا توقف ، وإلا فقد قدسية الحياة .

جـ ـــ كثيراً ما يربط الرسول النعمة بالسلام معاً فى البركة الرسولية ، بكونهما هبتا الله لكنيسته ، غير أنه يكرر تعبير « السلام » فى هذه الرسالة سبع مرات بطريقة فريدة (فيما عدا الرسالة إلى رومية) ليعلن أساس الرسالة وإمكانية الوحدة والإنسجام بين كل البشر ـــ يهوداً كانوا أم أمماً ـــ وذلك فى المسيح[٢٥] .

ويلاحظ أن الرسول بولس هنا ينسب « النعمة والسلام » للآب كما للإبن بكونهما عطيتهما بلا مفاضلة بين الأقنومين ؛ هما عطية الآب كما عطية الإبن .

وتقديم هذه البركة الرسولية لا يعنى أن مؤمنى أفسس كانوا فاقدين النعمة والسلام قبل الرسالة ، وإنما كانوا يتوقون دائماً لنوال المزيد ... فالنعمة كما السلام هما عطيتان غير جامدتين ينالهما المؤمن ويفرح بهما فيشتاق إلى المزيد لعله بالنعمة يبلغ إلى التشبه الكامل بالسيد المسيح والتمتع بشركة سماته ، وبالسلام تتحقق مصالحته مع الله والناس على مستوى أعمق . بهذا يتحقق فيه التطويب : « طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يشبعون » مت ٥ : ٦ ، ولا يسقط تحت التوبيخ : « لأنك تقول إنى أنا غنى وقد استغنيت ولا حاجة لى إلى شيء ، ولست تعلم انك انت الشقى والبائس وفقير ... » رؤ ٣ : ١٧ .

ثانياً : كما سبق فأكدنا[٢٦] ان الرسول بولس حاول معالجة تسرب بعض الأفكار الغنوسية إلى المسيحيين مثل التمييز بين إله العهد القديم كإله عادل قاسى ، وإله العهد الجديد كإله رحيم مخلص ... لذا إذ يقدم النعمة الإلهية والسلام السماوى ينسبهما للآب ويدعوه « أبانا » معلناً أبوته وحنانه ، و للرب يسوع المسيح معلناً أنه واحد مع الآب فى الجوهر ، يحمل ذات إرادته .

٢ ــ تسبحة الكنيسة : « فى المسيح »

إقتطف الرسول جزءاً من تسبحة غالباً ما كانت الكنيسة تترنم بها فى العصر الرسولى ، حملت هذه التسبحة جواً سماوياً يليق بطبيعة الكنيسة كحياة سماوية « فى المسيح السماوى » ، إذ يقول : « **مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذى باركنا بكل بركة روحية فى السماويات فى المسيح** » ع ٣ .

يرى كثير من الدارسين[٢٧] أن هذه التسبحة لها سمات خاصة بالمعمودية ــ ربما كانت تستخدم فى ليتروجية العماد ــ إذ تشير إلى بركات المعمودية وفاعليتها ، مثل التبنى للآب بيسوع المسيح (ع ٥) ، وغفران الخطايا (ع ٧) ، والتمتع بالميراث (ع ١٤) ، وختم الروح (ع ١٣) .

بدأ التسبحة بالتعبير الذى كانت تستخدمه السامية : « مبارك » ، معلناً أن كل عطية أو بركة سماوية هى من مراحم الله وأعماله القديرة .

وقد دعى بركات العهد الجديد « **بركة روحية فى السماويات** » ليميزها عما تمتع به اليهود فى العهد القديم من بركات زمنية ، إذ يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** :

[هنا يلمح إلى بركات اليهود ، فتلك كانت بركة أيضاً ، لكنها لم تكن بركة روحية ، كيف ؟ « يباركك ويبارك ثمرة جسدك » تث ٧ : ١٣ ، « ويبارك فى خروجك ويبارك فى دخولك » تث ٢٨ : ٦ . لكن الأمر هنا مختلف ، كيف ؟ « بكل بركة روحية » .

ماذا يعوزك بعد ؟ لقد صرت خالداً ، حراً ، إبناً ، متبرراً ، أخاً ، شريكاً فى الميراث ، تملك مع المسيح وتتمجد مع المسيح . كل شيء يُوهب لك مجاناً .

قال : « كيف لا يهبنا معه أيضاً كل شيء ؟ ! » رو ٨ : ٣٢ . باكوراتك تهيم بها الملائكة ، الشاروبيم والسيرافيم . ماذا يعوزك بعد ؟ « بكل بركة روحية » ! لا شيء جسدى هنا . بهذا إستبعد البركات السابقة ، إذ قال : « فى العالم سيكون لكم ضيق » يو ١٦ : ٣٣ ، لكى يرشدنا إلى هذه . لأنه كما أن الذين نالوا الجسديات لم يقدروا أن يسمعوا عن الروحيات ، هكذا من يهدفون نحو الروحيات لا يستطيعون نوالها مالم يتركوا الجسديات .

أيضا ، ما هى البركة الروحية فى السماويات ؟ يعنى انها ليست على الأرض كما كان الحال مع اليهود : « تأكلون خير الأرض » إش ١ : ١٩ ، « إلى أرض تفيض لبناً وعسلًا » خر ٣ : ٨ ، « يبارك الرب أرضك » تث ٧ : ١٣ .

لا نرى هنا شيئاً من هذا القبيل ، فماذا نرى ؟ « إن أحبنى أحد يحفظ كلامى ويحبه أبى ، وإليه نأتى (أنا وأبى) ، وعنده نصنع منزلًا » يو ١٤ : ٢٣ . « فكل من يسمع أقوالى هذه ويعمل بها أشبهه برجل عاقل بنى بيته على الصخر ، فنزل المطر ، وجاءت الأنهار ، وهبت الرياح ، ووقعت على هذا البيت ، فلم يسقط ، لأنه كان مؤسساً على الصخر » مت ٧ : ٢٤ ، ٢٥ . وما هو هذا الصخر إلا تلك السماويات البعيدة عن كل تغير ؟ ! يقول المسيح . « فكل من يعترف بى قدام الناس أعترف أنا أيضاً به قدام أبى الذى فى السموات ، وكل من

ينكرنى أنكره أنا أيضا » مت ٢٠ : ٣٢ ، ٣٣ . وأيضا : « طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله » مت ٥ : ٨ . وأيضا : « طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات » مت ٥ : ٣ ، وأيضا : « طوبى للمطرودين من أجل البر لأن لهم ملكوت السموات » مت ٥ : ١١ . لاحظ كيف يتحدث فى كل موضع عن السماء لا عن الأرض أو الأرضيات . وأيضا : « فإن وطننا (سيرتنا) نحن، هو فى السماء التى منها أيضاً ننتظر مخلصاً هو الرب يسوع المسيح »(فى ٣ :٢٠)، وأيضاً : « إهتموا بما فوق لا بما على الأرض » كو ٣ : ٢[٢٨]] .

دعاها أيضا بركة « **روحية** » نسبة للروح القدس ، لأننا ننال عطايا الآب خلال اتحادنا بالابن وذلك بفعل الروح القدس . بمعنى آخر الروح القدس ، هو روح الشركة التى يثبتنا فى الإبن فننال بفيض؛ما هو للإبن . لهذا اذ صعد السيد المسيح الى السماء أرسل روحه القدوس على الكنيسة يحملها إليه لتنعم بالعطايا الإلهية .

إن كان الله الآب يهب كل بركة روحية فى السماويات ، إنما يهبها « **فى المسيح** » ع ٣ ، فإنه إذ يرانا أبناء له بثبوتنا فى الإبن الوحيد « **المحبوب** » ع ٦ يفيض ببركاته الإلهية علينا ، كأعضاء جسد المحبوب ... نصير « فى المسيح » محبوبين لديه كما هو محبوب .

يرى الرسول بولس أن سرّ عضويتنا الكنسية وسرّ حياتنا مع الله وتمتعنا بكل بركة هو أننا « فى المسيح » ، الأمر الذى إمتص كل تفكيره حتى قال أحد الدارسين إن كل أفكار الرسول بولس اللاهوتية يمكن أن تتلخص فى كلمتين « فى المسيح » . فحين يتحدث عن لاهوتيات أو كنسيات أو سلوكيات خاصة أو علاقات أسرية أو إجتماعية إنما من خلال هذه النظرة اننا « فى المسيح » ، نحمل فكر المسيح وحياته عاملة فينا . فلا عجب إن رأيناه فى هذه الرسالة القصيرة يكرر هذه العبارة ومرادفاتها مثل « فى المحبوب » أو « فيه » أكثر من ثلاثين مرة . ولعل تكرارها هنا على وجه الخصوص إنما لتاكيد أن إتحاد الجماعة المقدسة المختارة من الأمم يتحقق فيه وتحت قيادته .

« فى **المسيح** » ليس فقط نلنا كل بركة روحية وإنما تمتعنا باختيار الآب لنا كبنين له ، اذ سبق فعرفنا كأعضاء فى جسد إبنه المحبوب . هذا ما يؤكده الرسول بقوله : « **كما إختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم فى المحبة** » ع ٤ .

ماذا عنى الرسول بهذا الاختيار الذى شغل فكره وقلبه وكل أحاسيسه ليتكلم عنه بطرق متنوعة فى مواضع كثيرة فى رسائله ؟

بلا شك لا يقصد تجاهل « الحرية الإنسانية » فى قبول الإيمان أو رفضه ، فإن الله فى محبته للإنسان لا يتعامل معه كما مع آلة جامدة أو كما مع قطع من الشطرنج يحركها بأصبعه إنما يتعامل مع كائن عاقل وهبه الحرية ، له أن يقبل الله ويتجاوب مع محبته ودعوته أو يرفض دون إلزام . إنما ما عناه الرسول أن الله الذى يريد أن الكل يخلصون ، والذى فى محبته يدعو الجميع لنوال فيض نعمته المجانية بسابق معرفته رآنا فى إبنه المحبوب فعيننا بلا فضل فينا ، إختارنا دون إلزام من جانبه عارفاً اننا نقبل دعوته ، إذ يقول الرسول : « لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة إبنه ، ليكون هو بكراً بين إخوة كثيرين ، والذين سبق فعينهم فهؤلاء دعاهم أيضاً ، والذين دعاهم فهؤلاء بررهم أيضاً ، والذين بررهم فهؤلاء مجدهم أيضاً » رو ٨ : ٢٩ ، ٣٠ . لقد أراد الرسول أن يؤكد حقيقة هامة وهى انه وإن كنا قد تجاوبنا مع دعوة الله لكن الفضل ليس فينا وانما ما نناله هو هبة مجانية أُعطيت لنا فى إستحقاقات الإبن الباذل حياته عنا ، الفضل كله يرجع إلى مقاصد الله الخلاصية ونعمته ، كقول الرسول : « الذى خلصنا ودعانا دعوة مقدسة لا بمقتضى أعمالنا بل بمقتضى القصد والنعمة التى أُعطيت لنا فى المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية ، وإنما أُظهرت الآن بظهور مخلصنا ... » ٢ تى ١ : ٩ ، ١٠ .

هذا ما أحسه **القديس اكليمنضس الاسكندرى** حينما تحدث عن الإيمان والحرية الانسانية ، مؤكداً أن الحرية الانسانية والعقل هما هبة الهية ، لا يقدران ان يقدما للإنسان حياة الشركة دون العون الإلهى . فان كان الايمان من صنع الارادة

الحرة ، لكنه هبة إلهية[٢٩] . إنه يشبه لاعب الكرة الذى له الحرية أن يمسك بالكرة أو يرفض ، لكنه لا يقدر أن يمسك بها مالم تُقذف إليه[٣٠] . هكذا يمكننا أن نمسك بالإيمان أو نرفضه ، لكننا فى حاجة إلى يد الله تقدمه لنا . هذا الفكر استقاه تلميذه **العلامة أوريجانوس** الذى تحدث بفيض عن نعمة الله المجانية مؤكداً : « ليس شيء من عطايا الله للبشرية يُعطى كوفاء لدين ، بل كلها تُعطى من قبيل نعمته[٣١] » وفى نفس الوقت يؤكد : « إن نزع عنصر حرية الإرادة عن الفضيلة تدمر كيانها[٣٢] » .

يؤكد الرسول ان اختيارنا هذا قد تحقق « **فيه** » ، وانه لم يحدث جزافاً بل بخطة إلهية « **قبل تأسيس العالم** » ع ٤ . **وكما يقول القديس يوحنا الذهبى الفم** : [ماذا يعنى : « إختارنا فيه » ؟ يعنى انه تم بواسطة الإيمان فيه (به) أى فى المسيح . فقد دبر هذا لنا بغبطة قبل أن نولد بل واكثر من هذا « قبل تأسيس العالم » . ما أجمل هذه الكلمة : « تأسيس » . كأنه يشير إلى العالم على أنه ساقط من إرتفاع شاهق جداً . نعم ، إن سمو الله عالٍ جداً بطريقة تفوق الوصف ، سموه بعيد جداً لا من جهة المكان وإنما من جهة إمكانية الطبيعة للحديث عنه[٣٣]]

ماهو غاية هذا الاختيار ؟

يجيب الرسول : « **لنكون قديسين وبلا لوم قدامه فى المحبة** » ع ٤ . يمكننا أن ندرك مقاصد الله منا فى هذه العبارة الرسولية العميقة ، إذ نلاحظ :

أولاً : يريد فينا أمرين ، ان يرانا الآب فى إبنه نحمل سماته ، فنكون قديسين كما هو أيضاً قدوس ، إذ يوصينا : « إنى أنا الرب إلهكم فتتقدسون وتكونون قديسين لأنى أنا قدوس » لا ١١ : ٤٤ ؛ ويقول القديس بطرس : « لأنه مكتوب كونوا قديسين لأنى أنا قدوس » ١ بط ١ : ١٦ . وأيضا أن نكون « بلا لوم » ؛ هذه السمة كانت لازمة وضرورية فى ذبائح العهد القديم (لا ١ : ٣ ، ١٠) . كأنه يريدنا أن نقدم أنفسنا ذبائح حية بلا عيب خلال الكاهن الأعظم والذبيح فى نفس الوقت ربنا يسوع . يريدنا « **بلا لوم قدامه فى المحبة** » ، أى ذبيحة حب دائمة تحمل رائحة المسيح الذكية . هذه هى غاية الله فينا أن يرانا نحمل سماته

(القداسة) وأن نتحد بالذبيح كذبيحة حب دائمة يشتمها رائحة رضا . لذلك يقول الرسول بولس : « فأطلب إليكم أيها الاخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية » رو ١٢ : ١ .

يرى **القديس يوحنا الذهبى الفم** ارتباط القداسة بالحياة التى بلا لوم تحمل اشارة الى وحدة الايمان مع الحياة العملية ، فان كانت القداسة هى عطية الله القدوس ، خلال هذه العطية يلزمنا ان نسلك بلا لوم ، بمعنى آخر نترجم عطيته فى سلوكنا العملى ، اذ يقول : [القديس هو ذاك الشريك فى الإيمان ؛ والذى بلا لوم هو ذاك الذى يسلك حياة لا غبار عليها[٣٤]] .

ثانياً : يؤكد الرسول ان هذه القداسة والحياة التى بلا لوم ، إنما تكون « **قدامه** » ، بمعنى أن ما تحمله الكنيسة من قداسة وحياة بلا لوم هو موضع اعتزاز الله نفسه ، كالعريس الذى يريد جمال عروسه وزينتها الداخلية لنفسه كما يقدم عذوبة حبه العميق لها . ما أصعب على نفس الرجل أن يجد زوجته تحمل صورتين : احداهما مشرقة أمام الغير والأخرى كئيبة فى لقائها معه على إنفراد ... فان ما يبهجه اللقاء الداخلى والعلاقة الزوجية على صعيد الوحدة العميقة الصادقة . فالله يريدنا نحن ، لنكون له ، كما هو لنا . هذا ما تؤكده هذه الرسالة ، إذ جاء فيها : « لكى يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو أى شىء من مثل ذلك بل تكون مقدسة وبلا عيب » ٥ : ٢٧ .

يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [انه لا يتطلب مجرد القداسة والخلو من اللوم ، إنما يريدنا أن نظهر هكذا « أمامه » . يوجد اشخاص يبدون أمام الناس قديسين وبلا لوم مع انهم يشبهون القبور المبيضة ولابسى ثياب الحملان . لا يكن الأمر هكذا ، وانما كما يقول النبى : « كطهارة يدّى » مز ١٨ : ٢٤ . أية طهارة ؟ التى تكون « أمامه » ، إذ يطلب القداسة التى تتطلع إليها عين الله[٣٥]] .

ثالثاً : يؤكد الرسول أن نكون قديسين بلا لوم قدامه « **فى المحبة** » ع ٤ . لعله يقصد أن إختيار الله تم خلال محبته الإلهية الباذلة (يو ٣ : ١٨) ، وأيضا

تقديسنا وسلوكنا بلا عيب يتحققان خلال نعمته المجانية التى تفيض خلال محبته الدائمة . يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [ما كان يمكن للفضيلة وحدها ان تخلص أحداً بدون المحبة . اخبرنى ، ماذا كان ينفع بولس لو أظهر ما أظهره لو لم يدعه الله فى البداية حيث أحبه واجتذبه إلى نفسه ؟ ![٣٦]] .

ربما قصد بالمحبة هنا ان ما يشتمه الله فينا اذ نقف أمامه قديسين بلا لوم هو « المحبة » بكونها علامة التصاقنا به واتحادنا معه ، بل وعلامة تشبهنا به بكونه « الله محبة » ١ يو ٤ : ٨ . نقف قدامه فيزول كل ماضينا لتبقى المحبة التى لا تسقط أبداً (١ كو ١٣ : ٨) .

رابعاً : تحققت محبة الآب الفائقة نحونا ، كما تتحقق محبتنا لله خلال الحياة المقدسة التى بلا لوم خلال نعمة البنوة التى نناها بالمسيح يسوع ابن الله « المحبوب » ، إذ يقول : « **إذ سبق فعيننا للتبنى بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته ، لمدح مجد نعمته التى أنعم بها علينا فى المحبوب** » ع ٥ ، ٦ .

إن كان القول « فى المحبوب » هو تعبير ليتورجى خاص بالمعمودية فى غاية القوة (مر ١ : ١١) كما يرى كثير من الدارسين الغربيين ، بهذا نرى أن الله قد عين كنيسته لتنال البنوة خلال المعمودية ، فتتحقق مسرة مشيئة الآب بقبول أعضاء جدد كأبناء له ، لا لفضل فيهم وإنما خلال نعمة المعمودية المجانية ، فيعلن بالاكثر « **مدح مجد نعمته** » ، بتجلى محبة الله الفائقة والمستمرة .

فى المحبوب نلنا التبنى فصرنا أبناء لنا حق شركة الميراث ، لكن شتان ما بين الابن المحبوب وحيد الجنس ، وبين الأبناء بالتبنى ، إذ يقول **القديس أغسطينوس** : [اقام الآب شركاء فى الميراث مع إبنه الوحيد ، لكنهم ليسوا مولودين مثله من جوهرة إنما تبناهم ليصيروا اهل بيته[٣٧]] ، [نحن أبناء ذاك الذى أقامنا هكذا بارادته ، لكننا لسنا مولودين من ذات طبيعته . فى الحقيقة نحن ولدنا لكن كما قيل بالتبنى ؛ نحن مولودون خلال نعمة تبينه لنا وليس بالطبيعة[٣٨]] .

خامساً : تحققت محبة الآب بقبولنا أبناء لكن « **بيسوع المسيح** » ع ٥ . يقول **الذهبى الفم** : [أما تلاحظ انه لا يتحقق شيئاً خارج المسيح ؟ وأيضا

خارج الآب ؟ واحد سبق فعين ، والثانى يقربنا إليه ... عظيمة حقا هى البركات الممنوحة ، ومما يزيدها عظمة انها خلال المسيح ، إذ لم يرسل عبداً مع انه مُرسل للعبيد ، وانما ارسل الابن الوحيد نفسه(٣٩)] .

سادساً: ان ما تحقق بالنسبة لنا خلال محبة الآب الأزلية ونعمة ابنه وحيد الجنس لننال البنوة انما هو موضع سرور الله ، اذ يقول « **حسب مسرة مشيئته** » ع ٥ . هنا يميز **القديس يوحنا الذهبى الفم** بين مشيئة الله السابقة حيث يريد بغيرة ان الكل يخلصون ، وبسرور أن يهب البنوة للجميع ، وبين المشيئة (السماح) الذى صار خلال إصرارنا على الشر فنسقط تحت الهلاك . بمعنى آخر حسب مسرة الله وغيرته يود لنا البنوة والقداسة المتجلية فى المحبة ، لكنه لا يلزمنا قسراً ، فان رفضنا يسقطنا تحت الهلاك بسماح إلهى كثمرة طبيعية لما قبلناه بارادتنا .

سابعاً : إن كان الله فى مسرة مشيئته قدم لنا هذه النعمة السماوية المجانية ، فهى أيضا : « **لمدح مجد نعمته التى أنعم بها علينا فى المحبوب** » ع ٦ . اذ تتجلى نعمته المجانية التى تمجده أمام الكل ، خاصة الخليقة السماوية التى تدهش لغنى حبه نحو الإنسانية .

يعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** على هذه العبارة ، قائلًا :

[الآن إن كان قد بيّن لنا نعمته لمدح مجد نعمته ، لكى يعلن نعمته ، فعلينا إذن ان نقطن فيها .

« لمدح مجده » ؛ ما هذا ؟ ومن هم الذين يمدحونه ؟ ومن الذين يمجدونه ؟ هل نحن أم الملائكة أم رؤساء الملائكة أم كل الخليقة ؟ وماذا يكون هذا ؟ إنه لا شيء ، إذ لا يعوز الطبيعة الإلهية شيء . إذن هل يريدنا ان نمدحه ونمجده ؟ انما لكى تشتعل محبتنا له بالأكثر فى داخلنا . هو لا يطلب منا شيئاً ، لا خدمتنا ولا مدحنا ولا ما هو من قبيل ذلك . لا يريد سوى خلاصنا . هذه هى غاية كل ما يعمله . فإن من يمدح النعمة التى بينّها ويعجب انما يزداد تقوى وغيرة(٤٠)] .

الآن يحدثنا عن فاعلية نعمة الله المجانية التى ننالها فى المحبوب ، والتى أبرزها فى النقاط التالية :

أولاً : التمتع بالفداء ، إذ يقول : **« الذى فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا حسب غنى نعمته ، التى أجزلها لنا بكل حكمة وفطنة » ع ٧ ، ٨ .**

فى القديم عنى بالفداء تحرير الله لشعبه من عبودية فرعون ليقتنيه لنفسه (خر ١٥ : ١٣ ، تث ٧ : ٨) ، أما فى العهد الجديد فإننا إذ نجد لنا موضعاً فى المسيح الفادى أو المحرّر يعتقنا من عبودية الخطية ، غافراً خطايانا بفيض غنى نعمته الفائقة ، واهباً ايانا مع غفران الخطايا كل حكمة سماوية وتمييز أو فطنة .

بمعنى آخر لم يُعد المحرّر خارجاً عنا بل فينا ونحن فيه ، يحررنا لا من عبودية بشرية زمنية بل بنعمته ينزع عنا خطايانا التى سقطنا تحت أسرها بارادتنا بل يزيننا بكل حكمة وفطنة ، إذ يسكن فينا ويعلن جماله السماوى فى حياتنا الداخلية .

أما قوله : **« التى أجزلها »** فتعنى العطاء المجانى بفيض ، وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** عن هذه العطية الإلهية [انها غنى ، وهى جزيلة ، إنسكبت علينا بقياس فائق الوصف ، لا يمكن للكلمات أن تعبر عن البركات التى إختبرناها فعلاً ، فهى حقاً غنى ، وغنى جزيل] .

ثانياً : التمتع بمعرفة الأسرار الالهية ، إذ يقول : **« إذ عرفنا بسّر مشيئته حسب مسرته التى قصدها فى نفسه لتدبير ملء الأزمنة » ع ٩ ، ١٠ .**

إن كان الغنوسيون يعتزون بالمعرفة « gnosis » حتى إحتلت فى فكرهم عوض الإيمان ، وحسبوا أنهم بعقولهم وحدها قادرون على التمتع بالخلاص ، فإن الرسول بولس يصحح الوضع معلناً أن المسيحى الحقيقى « صاحب معرفة » ، لكن على مستوى فائق ، فان الله لا يهبه فقط غفران خطاياه (الفداء) وإنما يرفعه كإبن لله إلى السمويات ليعلن له سّر معرفته . ينال المعرفة (gnosis) كهبة إلهية وكإعلان سماوى حسب مسرة الله الذى له مقاصده التى تتحقق فى ملء الأزمنة .

لعل الرسول يقصد هنا بالسّر الذى يعلنه للمؤمنين هو على وجه الخصوص تحقيق خطة الله فى ملء الأزمنة حيث يعمل بكمال سلطانه وملئها لخلق جماعة مسكونية من المؤمنين فى المسيح ، مقدسة فيه .

في دراستنا لمدرسة اسكندرية رأينا كثير من آبائها الأولين كانوا يتطلعون إلى « المعرفة الإلهية » كأثمن ما يقدمه المسيح للنفس البشرية ، فإنه إذ تتحد به كعروس مع غريسها يقدم لها ذاته فتتعرف على أسراره في حجاله السماوى . لذا يقول **القديس إكليمندس الإسكندرى** وتلميذه **العلامة أوريجانوس** أن هذه المعرفة هي هبة الله للكاملين .

يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [عجباً ! أية صداقة هذه ؟ ! إذ يخبرنا بخفاياه ، اذ يقول « بسّر مشيئته » ، كأن أحداً يقول بانه عرفنا بالأشياء التى فى قلبه . هنا حقاً السّر المملوء حكمة وفطنة . فأية حكمة مثل هذه ؟ ! الذين كانوا لا يساوون شيئاً رفعهم الى الغنى والفيض . أى تدبير حكيم كهذا ؟ ! الذى كان عدواً ومُبغضاً فى لحظة ارتفع إلى العلى ... هذا تم فى الوقت المعين ؛ انه عمل الحكمة ، تحقق بواسطة الصليب] .

ثالثاً : أن يجمع الكل فيه ، قائلاً : « **لتدبير الأزمنة ليجمع كل شىء فى المسيح ، ما فى السموات وما على الأرض فى ذاك** » ع ١٠ .

جاءت كلمة « أزمنة » هنا Kairos لا تحمل المعنى البسيط للزمن مثل كلمة Chronos ، وإنما تشير إلى حقبة جديدة يعمل الله فيها بكل سلطانه ليجمع كل شىء فى المسيح ، كما تحت رأس واحد .

يُسر المؤمن ليس فقط بنواله الفداء بتحريره من خطاياه ، وتمتعه بالنبوة الإلهية ، وإدراكه سّر مشيئة الله ، أى نواله المعرفة ، وإنما أيضا بنظره أن الكل يجتمع معاً ـــ على مستوى الأرضيين والسمائيين ـــ تحت قيادة الرأس المسيح . هذا هو ما يفرح قلب المؤمن ، أن تتحقق مشيئة الله خلال إتحاد الخليقة العاقلة المؤمنة ، لتعيش كلها معاً بروح الوحدة تنعم بالحضرة الإلهية . فالمؤمن بثبوته فى المسيح يفقد الأنانية والفردية ليتسع قلبه بالحب للجماعة كلها دون أن يفقده علاقته الشخصية بمسيحه .

يفرح المؤمن الحقيقى إذ يرى فى مسيحه أنه لا يضمه وحده إليه لكنه يجمع مختاريه الأرضيين ليقيمهم شعباً سماوياً ، يشاركون العلويين حياتهم الفائقة .

يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [عانى السمائيون من الأرضيين ، ولم يعد لهم رأس واحد . إلى ذلك الوقت كان نظام الخلقة هو أن إلهاً واحداً فوق الجميع هو للكل ، لكن إنتهى نظام « البيت الواحد » حيث إنتشر خطأ الأمم وسقطوا فى العصيان ... الآن أقام رأساً واحداً بعينه على الكل ، أى المسيح حسب الجسد ، فوق الملائكة والبشر . بمعنى آخر جعل للملائكة والبشر مملكة واحدة ... جمع الكل تحت رأس واحد بعينه مقيماً رباط الوحدة من فوق(٤١)] .

يقدم لنا **القديس الذهبى الفم** فى نفس العظة تفسيراً آخر لمعنى « **ليجمع كل شىء فى المسيح** » ، إذ يقول : [جمع المسيح فى نفسه التدابير التى إستغرقت فترة طويلة (منذ السقوط حتى مجيئه متجسداً) ، قاطعاً إياها] . بمعنى أنه بمجيئه تحققت الوعود والعهود والنبوات التى طال إنتظار تحقيقها .

رابعاً : الآن إذ يعلن الرسول بولس عن نعمة الله التى جمعت السمائيين مع الأرضيين كما فى جسد واحد للرأس الواحد السماوى ، وفيه تحققت النبوات والمواعيد التى طال إنتظار تحقيقها ، أراد أن يثير الأمم بالغيرة ليدركوا غنى هذه النعمة متمسكين بها كعربون للميراث الأبدى أو النصيب السماوى ، إذ يؤكد أنه كيهودى قد نال بالمسيح النصيب المعين الذى سبق اليهود الأولون فترجوه ، هذا النصيب بعينه يناله الأمم خلال كلمة الحق إنجيل الخلاص . فما ناله اليهود بعد إنتظار طويل عبر الآباء والأنبياء لم يُحرم منه الأمم خلال قبولهم الإنجيل . هذا ما عناه الرسول بقوله : « **الذى فيه نلنا (نحن اليهود) نصيباً معينين سابقاً حسب قصد الذى يعمل كل شىء حسب رأى مشيئته ، لنكون لمدح مجده نحن الذين قد سبق رجاؤنا فى المسيح . الذى فيه أيضاً أنتم (الذين من أصل أممى) إذ سمعتم كلمة الحق إنجيل خلاصكم الذى فيه أيضاً إذ آمنتم ختمتم بروح الموعد القدوس ، الذى هو عربون ميراثنا لفداء المقتنى لمدح مجده** » ع ١١ ــ ١٤ .

يلاحظ فى هذا النص الآتى :

(أ) إن كان الرسول يردد ــ فى هذا النص ــ كلمتى « نحن » ، و « أنتم » ، قاصداً بكلمة « نحن » اليهود ، وكلمة « أنتم » الأمم ، لكنه أكد أن اليهود وان

كانت لهم الأولوية من جهة الزمن لقبول المسيح المخلص ، فإن الطرفين ــ اليهود والأمم ــ يشتركان معاً فى التمتع بذات الحب الإلهى والإختيار ونعمة اللّه والعضوية فى الجسد الواحد .

(ب) كلمة « نصيب » هنا فى اليونانية Kleroó تعنى « يلقى قرعة[٤٢] » ، فنوالهم للعطايا الإلهية جاء ميراثاً أو نصيباً تحقق كما بإلقاء قرعة . لعله بهذا يريد أن يسترجع اليهود إلى أيام آبائهم حين دخلوا أرض الموعد ، وصار كل واحد ينتضر بنواله نصيبه خلال القرعة ، دون أى فضل له فى الإختيار . فما حدث فى القديم كان رمزاً لا قيمة له إلا فى الإعلان عن ميراث العهد الجديد ... هنا أيضاً لا فضل للمتمتع بالنصيب فى شيء بل غنى نعمة اللّه هى التى قدمت له هذا النصيب .

ولئلا يُظن أن ما يحدث الآن يتم إعتباطاً بكونه أشبه بإلقاء قرعة تتم دون تخطيط معين أكد الرسول أن ذلك يتحقق « **حسب قصد الذى يعمل كل شيء حسب رأى مشيئته** » . فما يتم الآن ، وإن كان لا يدّ لنا فيه لكنه فى خطة اللّه السابقة ومشيئته الحكيمة نحونا .

يعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** على هذه العبارة ، بقوله :

[قبلاً إستخدم الكلمة « **إخترانا** » ع ٤ ، أما هنا فيقول : « **نلنا نصيباً** (**ميراثاً**) ع ١١ ، ولما كانت القرعة مسألة مصادفة لا تتم عن إختيار مقترن بتدقيق ، ولا مسألة فضيلة (إذ تُقترن القرعة غالباً نجهل ما سنصل إليه بالصدفة وكثيراً ما تتخطى الفضلاء وتستقر على من لا قيمة لهم) . لاحظ كيف صحح هذه النقطة بالذات ، إذ يقول : « **معينين سابقاً حسب قصد الذى يعمل كل شيء** » ع ١١ . يمكننا أن نقول إننا لم نكن مجرد أصحاب نصيب ، ولا مجرد مختارين (لأن اللّه هو الذى يختار) ولا مجرد أصابتنا قرعة (لأن اللّه هو الذى يحدد النصيب) وإنما تحقق الأمر « **حسب قصد الذى يعمل** » . هذا ما يقوله أيضاً فى الرسالة إلى أهل رومية : « الذين هم مدعوون حسب قصده ، لأن الذين سبق فدعاهم فهؤلاء بررهم ، والذين بررهم فهؤلاء مجدهم أيضاً » رو ٨ : ٢٨ ــ ٣٠ ... كأنه يقول : لقد أُلقيت القرعة واللّه إختارنا ، فتم كل

شيء بإختيار دقيق . لقد سبق فعيّن أناساً أختارهم لنفسه وأفرزهم له . رآنا — كما من خلال القرعة — قبل أن نولد ، لأن علم الله سابق عجيب ، فهو عالم بكل شيء قبل أن يبدأ كيانه(٤٣)] .

(جـ) إذ يتحدث عن الأمم الذين قبلوا الإيمان يقول : « **فيه أيضا أنتم إذ سمعتم ... إذ آمنتم ختمتم بروح الموعد القدوس** » ع ١٣ . فالأمم سمعوا فآمنوا ثم ختموا . قبلوا الإيمان خلال السمع ، لأن السيد المسيح ظهر بين اليهود خاصته ، وخاصته رفضته ، أما هؤلاء فلم يروه وإنما خلال السماع آمنوا ، وإذ آمنوا نالوا عطية الروح بختم روح الموعد القدوس .

خامساً : التمتع بختم الروح كعربون للميراث الأبدى ، إذ يقول : « **ختمتم بروح الموعد القدوس ، الذى هو عربون ميراثنا لفداء المقتنى لمدح مجده** » ع ١٣ ، ١٤ .

كان الختم علامة عامة عن الملكية ، فكان بعض المكرسين للآلهة الوثنية أحياناً يسمون أنفسهم بعلامة فى جسدهم تحمل إسم الإله الذى ينتمون إليه ويحتمون فيه . العماد بالروح هو العلامة المنظورة (الختم) لعدم الفساد فى المسيح(٤٤) . وقد سبق لنا الحديث فى هذا الشأن(٤٥) ، حيث قدمنا مقتطفات لبعض أقوال الآباء عن المعمودية كختم ، كعلامة الدخول فى ملكية الله ، والدخول تحت حمايته ، والدخول فى الجندية الروحية ، والإمتثال بالسيد المسيح ، وأخيراً كختم روحى أبدى لا يمكن أن ينفك .

فى العهد القديم كان الختان الجسدى هو الختم كعلامة للعضوية فى شعب الله ، وبالتالى الدخول فى ملكية الله ، كقول الكتاب : « إن قسم الرب هو شعبه ، يعقوب جبل نصيبه » تث ٣٢ : ٩ .

+ أثناء العماد ، عندما تأتى إلى حضرة الأساقفة أو الكهنة أو الشمامسة ...
إقترب إلى خادم العماد ولا تفكر فى الوجه المنظور بل تذكر الروح القدس ، هذا الذى نتكلم عنه الآن ، لأنه حاضر ليختم نفسك . إنه سيهبك الختم

الذى يرعب الأرواح الشريرة ، وهو ختم سماوى مقدس ، كما هو مكتوب : « الذى فيه أيضاً (إذ آمنتم) ختمتم بروح الموعد القدوس » .

القديس كيرلس الأورشليمى(٤٦)

+ كما يطبع المالك على قطيعه علامة خاصة يتعرف بها عليه ، خلالها تظهر انها ملك له ، هكذا يختم الروح القدس من له فى المعمودية بواسطة مسحة الزيت المقدس التى يتقبلونها أثناء العماد .

القديس مار إفرام السريانى(٤٧)

+ النفس التى لم تستنر ولا تجملت بنعمة الميلاد الجديد ، لا أعرف إن كانت الملائكة تتقبلها بعد تركها الجسد !

حقاً إنهم لا يستطيعون أن يتقبلوها مادامت لا تحمل الختم Asphragiston ، ولا أى علامة خاصة بمالكها . حقاً إنها تصير محمولة فى الهواء ، وتتجول بغير راحة ، دون أن يتطلع إليها أحد ، إذ هى بلا مالك . إنها تطلب الراحة فلا تجدها ؛ تصرخ باطلاً ، وتندم بلا فائدة .

القديس غريغوريوس النيصى(٤٨)

+ كما يُطبع الختم على الجند هكذا يُطبع الروح القدس على المؤمنين .

القديس يوحنا الذهبى الفم(٤٩)

٣ ـــ شفاعة الرسول لنوال المعرفة

بعد أن قدم الرسول هذه التسبحة الكنسية ، التى تحمل « سرّ المسيح » ، فتكشف عن فيض عمل نعمة اللّه المجانية فى جمع الكل ـــ يهوداً كانوا أم أمماً ـــ لتتحقق فيهم مقاصد اللّه الآب فى المسيح يسوع ، ويصير الكل شعباً واحداً مقدساً ، وجسداً للرأس ، وأبناء للآب فى الإبن المحبوب ، الآن يقدم الرسول صلواته وشفاعته لدى اللّه عن مخدوميه ليهبهم إستنارة روحية ، فيفتح عيون قلوبهم ويدركوا بحق « سرّ المسيح » ... فتكون لهم « المعرفة » الحقة .

ولئلا يظنوا أنه إذ يصلى عنهم فى هذا الشأن يعنى عدم إيمانهم أو عدم معرفتهم ، قال : « **لذلك أنا أيضاً إذ قد سمعت بإيمانكم بالرب يسوع ومحبتكم نحو جميع القديسين ، لا أزال شاكراً لأجلكم ذاكراً إياكم فى صلواتى** » ع ١٥ ، ١٦ .

نلاحظ فى هذا النص :

أولاً : الرسول كعادته يبرز الجوانب الطيبة ، فلا يتجاهل إيمانهم ومحبتهم لذا بفرح يشكرهم ... إنه يصلى من أجلهم لأجل الإستزادة .

حقا ما أحوج الكنيسة إلى رعاة كالقديس بولس الذى يسند ويعين ببث روح الرجاء بفرح ، دون توقف عن الصلاة من أجل الرعية للنمو على الدوام فى النعمة والمعرفة .

+ لم يكن يوجد ما يعادل حنين الرسول ، ولا ما يشبه حنو وعواطف بولس الطوباوى ، الذى قدم كل صلاة من أجل جميع الأمم والشعوب ، حيث كتب نفس الكلمات للجميع : « لا أزال شاكراً إلهى من أجلكم ، ذاكراً إياكم فى صلواتى » رو ١ : ٩ ؛ ١ كو ١ : ٤ ، فى ١ : ٣ ، ٤ ؛ كو ١ : ٣ ؛ ١ تس ١ : ٢ .

تأمل كيف كانوا فى ذهنه ، إذ يحتاج الأمر إلى تعب لتذكرهم . ما أكثر الذين كان يذكرهم فى صلواته ، مقدماً الشكر للّه من أجل جميعهم .

القديس يوحنا الذهبى الفم(٥٠)

ثانياً : يربط الرسول بولس بين الإيمان بالرب يسوع والمحبة نحو جميع القديسين ، فعضويتنا فى المسيح لا تنفصل عن عضويتنا فى الكنيسة ؛ إيماننا بالرأس يجب أن يُترجم عملياً بالحب لجميع القديسين .

هذا من جانب ، ومن جانب آخر ، إذ يربط الإيمان بالمحبة ، إنما يود تأكيد الإيمان الحىّ العامل حتى لا يكون إيماناً ميتاً خلال عقمه .

+ فى كل المناسبات يقرن الإيمان بالمحبة كزوجين مجيدين .

القديس يوحنا الذهبى الفم(٥١)

ماذا يطلب لهم فى صلواته عنهم ؟

أولا : « كى يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والإعلان فى معرفته » ع ١٧ .

يطلب لهم « روح الحكمة » ، كما يطلب لهم « الإعلان فى معرفته » . لم يقل « فى معرفة أسراره » ، وإنما « فى معرفته » هو ، إذ يشتاق أن يدركوه هو شخصياً ويتعرفوا، عليه ككائن يتحدون معه .

نحن نحتاج أن يهبنا اللّه روح الحكمة والمعرفة ، فان كان قد وهبنا العقل من عندياته ، لكننا إن سلكنا بالعقل وحده دون الإلتجاء إلى اللّه ننحرف عن الحكمة والمعرفة الحقة .

ثانياً : « مستنيرة عيون أذهانكم لتعلموا ما هو رجاء دعوته وما هو غنى مجد ميراثه فى القديسين ، وما هى عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين حسب عمل شدة قوته » ع ١٨ ، ١٩ .

يطلب من أجل إستنارة عيونهم الداخلية ، أى تكون لهم البصيرة الروحية القادرة أن ترى اللّه بالإيمان وتتمسك بمواعيده ، وتدرك غنى مجد ميراثه المعد للقديسين فتمتلىء النفس رجاءً وتتشدد بالقوة الإلهية .

+ يحوى القلب العيون التى تنظر اللّه ... إنها تستنير الآن بالإيمان ، الأمر الذى يناسب ضعفها ، أما فيما بعد فتستنير برؤية اللّه إذ تكون قوية . « فإذاً ... ونحن مستوطنون فى الجسد فنحن متغربون عن الرب ، لأننا بالإيمان نسلك لا بالعيان » ١ كو ٥ : ٦ ، ٧ .

القديس أغسطينوس(٥٢)

تسمى المعمودية « سرّ الاستنارة » كقول الرسول بولس : « الذين أستنيروا مرة » عب ٦ : ٤ ، إذ خلالها تفتح بصيرتنا الداخلية بنور الروح القدس لندرك الأمور الثلاثة المذكورة هنا :

(أ) نعلم ما هو رجاء دعوته ... فإننا إذ ندخل إلى العضوية فى جسد المسيح بالمعمودية نعلم ـــ بالخبرة الحية ـــ دعوته لنا لنكون أبناء الآب وورثة مع المسيح فيمتلىء قلبنا رجاءً فيه .

(ب) غنى مجد ميراثه فى القديسين ... بالمعمودية ننعم بعربون الميراث الأبدى المعُد للقديسين ، خلاله نختبر الغنى الأبدى غير المنطوق به .

(جـ) عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين حسب عمل شدة قوته ... إذ بالمعمودية يقيمنا كما من الموت ، ويهبنا البنوة للّه واهب الحياة ...

+ الاستنارة وهى المعمودية ... هى معينة الضعفاء ... مساهمة النور ... إنتفاض الظلمة .

الإستنارة مركب يسير تجاه اللّه ، مسايرة المسيح ، أس الدين ، تمام العقل !

الإستنارة مفتاح الملكوت وإستعادة الحياة ...

نحن ندعوها عطية ، وموهبة ، ومعمودية ، وإستنارة ، ولباس الخلود وعدم الفساد ، وحميم الميلاد الثانى ، وخاتماً ، وكل ما هو كريم .

القديس غريغوريوس النزينزى(٥٣)

إن كنا بالمعمودية نلنا الإستنارة ليمتلىء قلبنا رجاءً ونتلمس غنى مجد ميراثه وندرك عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين حسب عمل شدة قوته،فإن هذه الإستنارة لا تُعطى فى المعمودية بطريقة جامدة وساكنة ، إنما تُعطى لكى تتجدد أذهاننا يوماً فيوماً لندخل إلى أعماق جديدة يومياً خلال إيماننا العامل بالمحبة ، وجهادنا بنعمته المجانية الفائقة ... لهذا لا يكف الرسول عن أن يصلى من أجل

من يكتب إليهم — والذين بلا شك نالوا سّر العماد — لكى لا تتوقف عطية اللّه هذه بل تبقى منسكبة بفيض لا ينقطع .

إذ يتأمل **القديس يوحنا الذهبى الفم** هذه العطية الإلهية يجدها فائقة للغاية لا يمكن للغة البشرية لا أن تعبر عنها ... لهذا نقول إننا نبقى نطلب من اللّه أن يعمل فينا على الدوام لننعم بهذه العطية لعلنا نبلغ كمالها .

ثالثا : « الذى عمله فى المسيح إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه فى السماويات ، فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل إسم يُسمى ليس فى هذا الدهر فقط بل فى المستقبل أيضاً » ع ٢٠ ، ٢١ .

يكشف لنا عن عمل الآب فى الإبن المتجسد لحسابنا ، إذ أقامه وأجلسه وأخضع كل شيء تحت قدميه (ع ٢٢) ... وهو لازال يعمل هذا فى جسده الذى هو الكنيسة ، يقيمنا ويجلسنا فى السماويات ويخضع كل شيء تحت أقدامنا ... هكذا يؤكد السيد المسيح : « أبى يعمل حتى الآن » يو ٥ : ١٧ .

هذا العمل مستمر ودائم ، لا يقدر شيء ما أن يوقفه حتى يتحقق جسد المسيح أى الكنيسة فى ملئها ، ويكمل المختارون .

يتطلع المؤمن إلى كلمة اللّه الذى بتجسده نزل إلينا وصار كواحدٍ منا ، إذ أُقيم من الأموات (فى طاعة للآب مات وقام ، لكن بقوة لاهوته وليس كعطية مستمدة من الغير) وأُجلس عن يمينه فى السموات وصار فوق كل رئاسة ... إنما حدث هذا كله لحسابنا ، أى لحساب كل مؤمن ، فينعم بهذه الإمكانيات « فى المسيح » ، أى خلال ثبوته فيه كعضو فى جسده .

هذا وقد حمل النص : **« وإياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة » ع ٢٢** رجاءً حقيقياً فى قلب الكنيسة أن اللّه لابد أن يتمم مشورته ، وأن عمل المسيح فى الكنيسة لابد أن يتحقق ويكمل ليعلن المسيح رأساً للمختارين ... هذا الرجاء عاشته الكنيسة الأولى وسط العقبات والإضطهادات ، وقد عبر عنه كثير من الأباء من بينهم **القديس إيريناؤس** ، حين قال : [لابد أن يجتذب كل شيء إليه فى الوقت المناسب (٥٤)] .

بقوله « **للكنيسة** » يعنى أن ما تحقق للرأس إنما هو لحساب الكنيسة ، لذا يعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** ، قائلا : [إنه لأمر مذهل أيضا ، إلى أين رُفعت الكنيسة ؟! إنه كمن رفعها بآلة وأقامها فى أقصى الأعالى ، وجعلها على العرش هناك ، فإنه حيث يوجد الرأس يكون الجسد أيضاً . لا إنعزال بعد أو فرقة بين الرأس والجسد ... لقد هيأ كل جنس البشر عامة أن يتبعه ويلتصق به ويصحبه فى ركبه . « **التى هى جسده** » ؛ (يقول هذا) لكى إذ تسمعون عن الرأس لا تفكرون فى فكرة الرئاسة فحسب وإنما فى الثبوت فيه أيضاً ، فلا تتطلعون إليه فقط كقائد سامٍ وإنما كرأس لجسد أيضاً(٥٥)] .

+ + +



إن كانت الكنيسة فى جوهرها هى تمتع بالثبوت « فى المسيح » لننعم بحياته عاملة فينا ، ونناال معرفة أسراره الإلهية على مستوى الخبرة الحية العملية ، فإن هذه الحياة لها صعيدان : صعيد رأسى وآخر أفقى . على الصعيد الرأسى ننعم بالحياة المقامة فى المسيح فنجلس معه فى السمويات نمارس وحدتنا مع اللّه ، وعلى الصعيد الأفقى نقترب جميعنا نحو الرأس الواحد فينشق الحجاب الحاجز بين اليهود والأمم ، وبين الشعوب ليشعر الكل بالعضوية لبعضنا البعض ... هذان الصعيدان يتحققان معاً خلال ثبوتنا « فى المسيح » . كلما إتحدنا مع الآب فى إبنه نتحد أيضا مع بعضنا البعض فيه .

١ ـــ القيامة وسّر المصالحة مع اللّه . **١ ـــ١٠ .**

٢ ـــ سّر مصالحة البشرية معاً . **١١ــ٢٢ .**

\+ + +

١ ـــ القيامة وسّر المصالحة مع اللّه

يرى **القديس أغسطينوس** أن الصليب يتكون من عارضتين ، عارضة رأسية وأخرى أفقية ، الأولى تمثل مصالحة الإنسان مع اللّه وخليقته السمائية ، والثانية تمثل مصالحته مع أخيه الإنسان . هذا الصليب بعمله المتكامل يتحقق فى الكنيسة كما أعلن الرسول بولس فى هذا الأصحاح حيث أوضح قيامة الإنسان المؤمن من موته وإنطلاقه إلى السمويات ليجلس فى حضن الآب ، وإتساع قلبه بالحب ليضم الكل اليه كأعضاء معه فى الجسد الواحد .

الآن بالنسبة للجانب الأول يقول الرسول : « **وأنتم إذ كنتم أمواتاً بالذنوب**

والخطايا ، التى سلكتم فيها قبلاً حسب دهر هذا العالم ، حسب رئيس سلطان الهواء ، الروح الذى يعمل الآن فى أبناء المعصية ، الذين نحن أيضا جميعاً تصرفنا قبلاً بينهم فى شهوات جسدنا ، عاملين مشيئات الجسد والأفكار ، وكنا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين أيضاً ، الله الذى هو غنى فى الرحمة من أجل محبته الكثيرة التى أحبنا بها ، ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح ، بالنعمة أنتم مخلصون » ع ١ ــ ٥ .

لكى يكشف عن قوة النعمة ، وعمل المصالحة التى تمت بين الله والإنسان ، أبرز أولا حالة الموت التى بلغناها ، والعبودية التى سقطنا فيها تحت سلطان عدو الخير ، والفساد الذى دبّ فى جسدنا لنتمم الشهوات ... عندئذ أظهر غنى رحمة الله المجانية النابعة عن محبته ، فقدم لنا الحياة بموت الصليب ، ووهبنا الخلاص بنعمته .

يلاحظ فى هذا النص الآتى :

أولا : أن ما ورد فى هذا الأصحاح ككل يقابل ما جاء فى الإنجيل بحسب لوقا البشير عن الإبن الضال (لو ١٥ : ١١ ــ ٣٢) كما يقول D. M. Stanley .

أف ٢	**لوقا ١٥**
٤ ــ الله الذى هو غنى فى الرحمة ، من أجل محبته الكثيرة التى أحبنا بهـــا .	٢٠ــ وإذ كان لم يزل بعيداً رآه أبوه ، فتحنن وركض ووقع على عنقه وقبّله .
١ ــ وأنتم إذ كنتم أمواتاً بالذنوب ...	٢٤ــ لأن إبنى هذا كان ميتاً فعاش .
١٣ــ أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين ...	١٤ــ وسافر إلى كورة بعيده .
١٩ــ الذين إذ هم فقدوا الحسّ ...	٢٢ــ إخرجوا الحلة الأولى وألبسوه ...
١٤ــ١٦. لكى لا نكون فيما بعد أطفالاً مضطربين ومحمولين بكل ريح تعليم بحيلة النـــــاس ...	٢٨ــ٣٢. فغضب ولم يرد أن يدخل، فخرج أبوه يطلب إليه...

ثانياً : هذا الأصحاح مشحون بالمقابلات الصارمة بين ضعف الإنسان الشديد وفاعلية عمل اللّه وقدرته العجيبة .

+ الأول يبلغ إلى الموت (ع ١) ، والثانى يقيمه من جديد (ع ٥) .

+ الأول ينحط إلى شهوات الجسد (ع ٣) ، والثانى يرفعه إلى السموات (ع ٦) .

+ الأول يهرب إلى التغرب عن اللّه وعن أخيه الإنسان (ع ١٢) ، والثانى يرده ليصير أهل بيت اللّه (ع ١٩) واحداً مع أخيه (ع ١٤) .

ثالثاً : بدأ حديثه بفاعلية الخطية القاتلة لإنسانيتنا والطامسة للصورة والتشبه باللّه ، وكما يقول **الأب دورثيؤس** من غزة : [بالخطية نطمس ما يخص شبهه فينا ، لذا صرنا تحت الموت كقول الرسول : « **كنتم أمواتا بالذنوب والخطايا** » أف ٢ : ١ . إذ خلقنا اللّه على شبهه ، وهو متحنن على خليقته وشبهه صار إنساناً لأجلنا ، وقبل الموت عوضاً عنا ، ليقودنا نحن الأموات ويردنا إلى الحياة التى فقدناها(٥٦)] . هذا التفسير قدمه الأب عند عرضه لسّر المسيح ، فى تفسيره لتسبحة القيامة التى وضعها القديس غريغوريوس النزينزى .

رابعاً : بالخطية إنحدرنا إلى فقدان الحياة ، بتركنا اللّه مصدر حياتنا وقبولنا العبودية لعدو الخير إبليس ، بالطاعة له وعصياننا للّه ، وقد دعى الرسول هنا إبليس « **رئيس سلطان الهواء** » ، كما دعانا « **أبناء المعصية** » .

كان يُنظر إلى « **الهواء** » كمسكن للشياطين ، لهذا إذ أراد تأكيد كمال نصرة المسيح عليه قال : « سنخطف جميعاً معهم فى السحب لملاقاة الرب فى الهواء » ١ تس ٤ : ١٧ . فإن كانت الشياطين تقطن الهواء ، فسيغلبه الرب فى عرينه ، ويحملنا فى ذات الموضع كأبناء الميراث عوض أن كنا أبناء المعصية .

هنا نلاحظ أن اليهود ــ ككثير من الأمم ــ كانوا يعتقدون أن لإبليس وجنوده مملكة تقوم فى ثلاث مناطق : فى المياه ، وفى البرية ، وفى الهواء . ولعل إختيار هذه الثلاث مناطق يقوم على إستحالة إستقرار الإنسان وتمتعه بالسلام فيها ،

ففى البحر يشعر الإنسان بالخطر من الغرق ، وفى البرية يواجه القفر والجفاف مع الحيوانات المفترسة ، وفى الهواء إنما يعنى خروج النفس من الجسد خلال الموت لتنطلق إلى الهواء ...

إن كانت هذه المناطق فى نظر اليهود هى مراكز العدو « إبليس » ، فقد أعلن السيد المسيح غلبته عليه فى ذات المناطق، ففى المياة إعتمد محطماً عدو الخير تحت قدميه ، واهباً مؤمنيه قوة الغلبة عليه خلال المعمودية . لذا كان « جحد الشيطان » خطأً واضحاً فى طقس العماد ، وكما يقول **العلامة ترتليان** : [فى الكنيسة ، تحت يد الأسقف نشهد أننا نجحد الشيطان وكل موكبه وكل ملائكته(٥٧)] . أما بالنسبة للبرية فقد جُرب السيد المسيح فيها وغلب المجرب وجاءت ملائكة تخدمه (مر ١ : ١٣) . أما فى الهواء فقد إرتفع السيد المسيح على الصليب كما فى الهواء ليعلن بصليبه تحطيم سلطان إبليس وإنهيار مملكته .

خامساً : يرى **القديس يوحنا الذهبى الفم** أن الرسول بولس إذ أعلن بشاعة ما بلغ إليه الإنسان بالذنوب والخطايا ، ألا وهو موت النفس الذى هو أمرّ من موت الجسد ، بل ويمثل جريمة يسقط فيها الإنسان بإرادته ، أراد أن يشجع السامعين بإعلان دور عدو الخير « رئيس سلطان الهواء فى حياة البشرية كمثير ومحرض . يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [ها أنتم تلاحظون لطف بولس ، كيف يشجع المستمع فى كل المناسبات ولا يثقل عليه . فمع أنه قال لهم : قد بلغتم أقصى درجات الشر (هذا هو معنى أنهم صاروا أمواتاً) فلكى لا يفرطوا فى الحزن الشديد (إذ يخجل الناس عندما تُفضح أعمالهم الشريرة السابقة ، حتى وإن كانت قد إنتهت ولا تمثل خطراً) ، أوضح لهم شريكاً معهم فى الجريمة ، لكى لايظنوا أن كل ما فعلوه هو من عندياتهم ، وإنما يوجد شريك قوى معهم ؛ من هو ؟ انه إبليس(٥٨)] .

هكذا أراد الرسول بولس أن يحمل عدو الخير المسئولية معنا ، كعدو عنيف يحث البشرية على الشر ويثيرها ، لكنه لم يدخل إلى حياتنا قهراً وإنما بسبب عصياننا لله ، إذ يقول : « **الروح الذى يعمل الآن فى أبناء المعصية** » ع ٢ .

فإن كان العدو شريكاً معنا لكننا مسئولون على تصرفاتنا وعن عمل العدو فينا .

إبليس يجد موضعاً له فى « أبناء المعصية » ، أما « أبناء الطاعة » فلا يقتحمهم هذا الروح إنما ، يتجلى فيهم روح اللّه القدوس .

سادساً : أوضح الرسول أن ما بلغ إليه الإنسان يستوى فيه اليهودى مع الأممى ، إذ سقط الإثنان تحت سلطان الخطية . فبعدما قال « **التى سلكتم** » عاد فقال : « **الذين نحن أيضاً جميعاً تصرفنا قبلاً بينهم فى شهوات جسدنا عاملين مشيئات الجسد والأفكار ، وكنا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين أيضاً** » ع٣ . كأنه بقوله ليس فقط أنتم وحدكم أيها الأمم قد سلكتم فى الخطايا ، وإنما نحن أيضا سقطنا معكم تحت الخطية وحُسبنا معكم أبناء معصية ، فلا نستطيع كيهود أن نفتخر بأننا أسمى منكم (رو ٣ : ٩ — ١٠) .

لقد كان الكل بالطبيعة « أبناء الغضب » ، أو كما يقول **القديس بفنوتيوس** إنهم كانوا فى بيت أبيهم القديم أى « إبليس » الذى سحبهم إلى إسفل ، لذا وجب على الكل أن يخرجوا منه مرتفعة أنظارهم إلى بيت أبيهم الجديد ، أى أورشليم العليا ، إذ يقول : [نخرج من بيت أبينا القديم ... إذ كنا بالطبيعة أبناء غضب كالباقين أيضا ، مثبتين أنظارنا تجاه العلويات(٥٩)] .

كنا « بالطبيعة أبناء الغضب » ، لذا وجب علينا أن نخرج من هذه الطبيعة ، طبيعة الإنسان العتيق ، ونلبس الإنسان الجديد (فى مياه المعمودية) ، بهذا نكون قد إنطلقنا من بيت أبينا القديم الذى خضعنا له فى مذلة العبودية إلى بيت أبينا الجديد القدوس .

سابعاً : علة موتنا وعصياننا للّه ليس « الجسد » بل « مشيئات الجسد وشهواته وأفكاره » . فالجسد خليقة مقدسة من عمل اللّه الصالح القدوس ، لكنه إذ إنحرف عن غايته وترك خضوعه صارت له « مشيئات متضاربة » وأفكار مقاومة لعمل روح اللّه . الجسد ليس شراً ، فقد صار الكلمة جسداً (يو ١ : ١٤) ، لكنه فسد حين صار آلة إثم تعمل لحساب الشهوات ؛ إن تقدست تتحول إلى آلة برّ تعمل لحساب ملكوت اللّه .

+ إذن كيف يمكننا أن نقدم أجسادنا ذبيحة حية لله (رو ١٢ : ١) ؟ إن كنا لا نعود نتبع مشيئات الجسد وأفكارنا الذاتية (أف ٣ : ٢) ، بل نسلك بالروح ولا نتمم شهوات الجسد (غلا ٥ : ١٦) .

الأب دورثيؤس من غزة(٦٠)

هكذا يكشف الرسول بولس عن سّر الموت الروحي ... السلوك حسب شهوات الجسد والعمل حسب مشيئاته وأفكاره (ع ٣) ، لكن هذا لايعفى النفس المسئولية ، فإن الإنسان الجسدانى إذ يخضع لشهوات الجسد ومشيئاته وأفكاره تشاركه النفس ويشاركه العقل حتى يصيرا كما لو كانا جسديين ... بمعنى آخر ، الإنسان يمثل وحدة واحدة ، أما أن يكون جسدياً فيعمل بكليته حسب شهوات الجسد ، أو روحانياً فيعمل بكليته كما لو كان روحاً . فى الأول تخضع النفس للجسد كما بغير إرادتها ، أما الثانى فيخضع جسده لنفسه كما بغير إرادة الجسد . ولعل هذا هو ما قصده **الأب سرابيون** حين قال : [الخطايا الجسدية هى التى تعمل على إشباع شهوات الجســد وملذاته . هذه تهيج العقل أحيانا ليقبل رغباتها بغير إرادته(٦١)] .

ثامناً : بعد أن تحدث عما بلغه الكل من يهود وأمم بسبب العصيان أكدّ محبة اللّه الفائقة نحو الإنسان وترفقه به حتى بعد السقوط ، إذ يقول : « **اللّه الذى هو غنى فى الرحمة من أجل محبته الكثيرة التى أحبنا بها** » ع ٤ ، وقد أكد « غنى » رحمة اللّه ، مكرراً هذا التعبير خمس مرات فى هذه الرسالة .

يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [اللّه ليس رحيماً فحسب وإنما هو غنى فى الرحمة ، وكما قيل فى موضع آخر : « ككثرة رحمتك إلتفت إلىّ » مز ٦٩ : ١٦ ، وأيضاً : « إرحمنى يا اللّه كعظيم رحمتك ، ومثل كثرة رأفاتك امح إثمى » مز ٥١ : ١](٦٢) .

تاسعاً : أوضح هذه الرحمة عملياً ، بقوله : [**أحيانا معه ، أقامنا معه ، أجلسنا معه**] . لقد تحنن علينا لا بكلمات لطيفة أو مشاعر رقيقة وإنما بنزوله إلينا لنشاركه ، فنحيا مع المسيح (ع ٥) ونقوم معه (ع ٦) ونجلس معه فى

السمويات (ع ٦) ... يؤكد الرسول الشركة مع المسيح بكل قوة !

+ « **ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح** » ع ٥ .

هنا أيضا يُذكر المسيح ، وهو موضوع جدير بإيماننا ، لأنه إن كان البكر حياً ، فنحن أيضا نكون هكذا . لقد أحياه (الأب) وأحيانا نحن . أنظر ، أليس هذا قد قيل عن المسيح المتجسد ؟ أما ترى « عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين » ١ : ١٩ ؟ الذين كانوا أمواتاً وأبناء الغضب أحياهم . أنظر إلى « رجاء دعوته » ع ١٨ !

« **وأقامنا معه ، وأجلسنا معه** » ع ٦ .

أما ترى مجد ميراثه ؟ واضح أنه « أقامنا معه » ...

حقا انه إلى الآن لم يقم أحد فعلاً إلا الرأس الذى قام فقمنا نحن معه ، وذلك كما سجد يعقوب ليوسف فقيل أن زوجته أيضا سجدت معه (تك ٣٧ : ٩ ، ١٠) . بنفس الطريقة يُقال : « أجلسنا معه نحن أيضا » ، فاذ يجلس الرأس يجلس الجسد أيضا معه ، لهذا أضيف : « فى المسيح يسوع » .

القديس يوحنا الذهبى الفم[٦٣]

+ خلال الجسد (الذى أخذه) ، الذى هو عربون خلاصنا ، أجلسنا فى السمويات .

+ إنه هو أساس الكل ، ورأس الكنيسة (أف ٥ : ٢٣) ، فيه إستحقت طبيعتنا العامة حسب الجسد أن تجلس فى العرش السماوى . لقد كُرم الجسد إذ وجد له نصيباً فى المسيح الذى هو الله ، بل وكُرمت كل طبيعة الجنس البشرى إذ وجدت لها نصيباً فى الجسد .

نحن نجلس فيه بأخذه طبيعتنا الجسدية .

القديس أمبروسيوس[٦٤]

إذن قيامة المسيح وجلوسه فى السمويات كباكورة لنا حُسبا قيامة لنا وجلوساً لنا معه فى السمويات . هذا من جانب ومن جانب آخر ، فإننا ننعم بذلك حقاً خلال قيامة النفس من موت الخطية وتمتعها بعربون الحياة السماوية .

قيامة النفس التى نلناها فى المسيح يسوع المقام أعظم من قيامة الجسد ، لأن قيامة الجسد تتحقق دون إرادتنا . حينما قال السيد للميت : « لعازر ، هلم خارجاً » يو ١١ : ٤٣ ؛ أطاع للحال وقام الميت . وتكرر الأمر فى أكثر من مرة ، حين أقام السيد المسيح إبنة يايرس وإبن أرملة نايين . بل وبطرس الرسول إذ صلى إلى اللّه إستطاع أن يقيم طابيثا (أع ٩ : ٤٠) بإسم المسيح ... وفى اليوم الأخير سيقوم الأموات فى لحظة فى طرفة عين (١ كو ١٥ : ٥٢) . أما قيامة النفس فتتم خلال إيماننا بالمسيح المقام وتمسكنا به حتى النهاية ، الأمر الذى لايتم بطريقة آلية وإنما خلال إرادتنا الحرة ... إستمع إلى عتاب السيد المسيح المؤلم : « كم مرة أردت أن أجمع أولادك ولم تريدوا » مت ٢٣ : ٣٧ ... الأمر يستلزم خضوع إرادتنا البشرية لإرادة اللّه الصالحة نحونا . وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : « التأثير على الإرادة أصعب من التأثير على الطبيعة(٦٥)] .

عاشراً : يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** بانه لئلا يظن أحد بأن قيامة المسيح وجلوسه فى السموات أمران يخصانه دوننا ، أكد الرسول فاعليتهما فى البشرية عبر العصور حتى نهاية الأزمنة ، إذ يقول : « **ليظهر فى الدهور الآتية غنى نعمته الفائق باللطف علينا فى المسيح يسوع ؛ لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم ، ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد** » ع ٧ ــ ٩ .

يقول « **ليظهر** » ، هنا الكلمة اليونانية لاتعنى مجرد « الكشف عن » أو « إظهار » ، وإنما تعنى « البرهان » ... فقيامة المسيح وجلوسه فى السموات هما برهان أكيد لغنى نعمة اللّه الفائق الذى تفجر لحساب الكنيسة خلال الدهور ، فينعم المؤمنون بلطف الآب بثبوتهم فى المسيح يسوع . صار المسيح الرأس الذى يقدم تأكيدات وبراهين على ما ينعم به المؤمنون خلال إتحادهم به .

من هنا نجد أن خلاصنا يتحقق خلال إيماننا به كنعمة مجانية ، أو كعطية إلهية ، وليس عن إستحقاق لبرّ ذاتى ...

+ يقول : « **لأنكم بالنعمة مخلصون** » ، لكى لا تدفعك عظمة البركات الموهوبة لك نحو التشامخ ، لاحظ كيف نزل بك ...

حتى الإيمان ليس من عندياتنا ، لأنه لو لم يأت (المسيح) ولو لم يدعنا كيف كان يمكننا أن نؤمن ؟! ... عمل الإيمان نفسه ليس من ذواتنا . إنه عطية اللّه ، ليس من أعمال .

ربما تقول : هل يكفى الإيمان لخلاصنا ؟ كلا ...

+ اعترف انك بالنعمة تخلص ، حتى تشعر أن اللّه هو الدائن ... فإن أسندنا للّه (أعمالنا الصالحة) تكون مكافأتنا عن إتضاعنا أعظم من المكافأة عن الأعمال نفسها ...

+ لو كانت النعمة لا تنتظر ما يتحقق من جانبنا لإنسكبت بفيض فى كل النفوس ، لكنها إذ تطلب ما هو من جانبنا تسكن فى البعض بينما تترك البعض الآخر ، ولا تظهر فى البعض ، لأن اللّه يشترط أولا الإختيار السابق .

القديس يوحنا الذهبى الفم[٦٦]

+ ما أن تتكبر حتى تفقد فى الحال ما نلته .

القديس أغسطينوس[٦٧]

إذن مصالحتنا مع الآب تتحقق خلال النعمة الإلهية الغنية التى فاضت بصليب ربنا يسوع ، فغيرّت مركزنا من حالة العداوة إلى البنوة ، ورفعتنا من الموت الروحى إلى الحياة المقامة ، ومن الإنحطاط إلى الجلوس فى السمويات . هذا العمل فى حقيقته هو أشبه بتجديد للخلقة ، تكلفته أكثر من الخلقة الأولى ، إذ الأولى إحتاجت أن اللّه يقول فيكون ، أما الخلقة الجديدة فثمنها تسليم الإبن ذاته لتجديدنا خلال دم صليبه . لهذا يكمل الرسول بولس كلماته معلناً عمل اللّه الفائق فينا بقوله : « **لأننا نحن عمله ، مخلوقين فى المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق اللّه فأعدها لنسلك فيها** » ع ١٠ .

+ لاحظ الكلمات التى إستخدمها . إنه يلمح هنا إلى الميلاد الجديد ، الذى هو بالحقيقة خلقة ثانية . إننا قد وُجدنا من العدم إلى الوجود . فما كنا عليه قبلاً ، أى الإنسان العتيق ، إنما كنا أمواتاً . ما صرنا عليه الآن لم يكن لنا من قبل . إذن ، بالحق هو عمل خلقة ، نَعم خلقة أنبل من الأولى . ففى الأولى صار لنا الوجود ، أما بالأخيرة هذه فنلنا ما هو أعظم وأفضل ألا وهو صلاحنا .

« **لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لنسلك فيها** » ع ١٠ . ليس فقط لكى نبدأ وإنما لكى نسلك فيها ، فإننا نحتاج إلى صلاح يبقى معنا فى الطريق ويرافقنا حتى يوم الممات .

إن كان علينا أن نسافر فى طريق يؤدى إلى مدينة ملوكية ، وعبرنا الجانب الأكبر منه ثم جلسنا وتراخينا بالقرب من المدينة جداً ، فلا ننتفع شيئاً . فرجاء دعوتنا « لأعمال صالحة » كما يقول وإلا فلا ننتفع شيئاً .

انه لا يفرح لأننا تممنا عملاً واحداً بل كل الأعمال . فإن كان لنا خمس حواس يلزمنا أن نستخدم جميعها فى الوقت المناسب ، وهكذا يلزم أن تكون لنا فضائل كثيرة .

القديس يوحنا الذهبى الفم(٦٨)

٢ ـــ سرّ مصالحة البشرية معاً

قلنا إن الصليب يكمل بعارضتيه الرأسية والأفقية ، بلا إنفصال ، فبمصالحة الإنسان مع السماء تاركاً خطاياه خلال نعمة الله المجانية والحياة المقامة ينفتح قلبه بالحب نحو أخيه أيا كان أصله ! لهذا بعدما تحدث الرسول عن مصالحتنا مع الله عالج موضوع مصالحة البشرية معاً ؛ فإذ نُزع الحجاب الذى كان يفصل الإنسان عن المقادس السماوية يلزم بالضرورة ، وفى نفس الوقت ، أن يُنقض حائط السياج المتوسط الذى أُقيم بين اليهود والأمم .

بدأ الرسول حديثه بعرض تغرّب الأمم عن رعوية إسرائيل وتغربه أيضاً عن الله ، قائلاً : « **لذلك أذكروا أنكم أنتم الأمم قبلاً فى الجسد المدعوين غرلة من المدعو**

ختاناً مصنوعاً باليد فى الجسد ، أنكم كنتم فى ذلك الوقت بدون مسيح أجنبيين عن رعوية إسرائيل وغرباء عن عهود الموعد ، لا رجاء لكم ، وبلا إله فى العالم » ع ١١ ، ١٢ .

هذه هى صورة الأمم قبل قبولهم الإيمان بالسيد المسيح ، يُلاحظ فيها الآتى :

أولاً : كان الأمم بلا ختان (فى الغرلة) ، لا يحملون علامة الميثاق مع اللّه التى طالب بها إبراهيم وبنيه (تك ١٧ : ٩ — ١٤) ، إنهم بلا عهد معه. على أن اليهود وإن كانوا قد نالوا العلامة لكنهم للأسف نالوها فى الجسد دون أن تكون لها أعماق داخلية ، إذ يقول « **مصنوعاً باليد فى الجسد** » ع ١١ ، أى لا تحمل إتجاها داخلياً ، ولا تميزاً حقيقياً عن الأمم . وكما أوضح فى رسالته إلى أهل رومية : « لأن اليهودى فى الظاهر ليس يهودياً ، ولا الختان الذى فى الظاهر فى اللحم ختاناً ، بل اليهودى فى الخفاء هو اليهودى ، وختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان ، الذى مدحه ليس من الناس بل من اللّه » رو ٢ : ٢٨ ، ٢٩ .

بعد أن عرض عمل نعمة اللّه الفائقة فى الكل : « نحن عمله مخلوقين فى المسيح » ، لم يعد بعد يوجد مجال لإفتخار اليهود بختان الجسد ، الذى هو ليس إلا من « صنع اليد » ... شتان ما بين « عمل اللّه » و « صنع اليد البشرية » !

لقد نال الكل ختاناً جديداً ، ليس مصنوعاً باليد فى الجسد ، وإنما كما يقول الرسول : « ختنتم ختاناً غير مصنوع بيد بخلع جسم خطايا البشرية بختان المسيح ، مدفونين معه فى المعمودية ، التى فيها أقمتم أيضا معه بإيمان ... » كو ٢ : ١١ ، ١٢ . هكذا لا وجه للمقارنة بين ختان الجسد الرمزى وبين الختان الجديد فى مياه المعمودية .

ثانياً : كان الأمم « **أجنبيين عن رعوية إسرائيل** » ع ١٢ ، أى لا يحملون المواطنة الاسرائيلية ، وبالتالى كانوا غرباء عن المواطنة الإلهية ، الأمر الذى أفقدهم الرجاء ، لأنهم لم ينالوا الشريعة الإلهية ولا تمتعوا بنبوات الأنبياء التى أشارت بقوة عن مجىء المسيّا مخلص العالم .

يقول القديس يوحنا الذهبى الفم : [لم يقل الرسول إنهم معزولون بل « أجنبيين عن رعوية إسرائيل » ، أى ليس لكم نصيب فى هذه الرعوية . التعبير مؤثر جداً يدل على عزل واسع جدا . الإسرائيليون أنفسهم كانوا خارج هذه الرعوية لكن ليس كغرباء بل عن إهمال ، لذلك سقطوا عن العهود ، لا كأجنبيين بل كغير مستحقين لها(٦٩)] .

ثالثاً : « بلا إله فى العالم » ع ١٢ . التعبير هنا لا يعنى أنهم كانوا ملحدين أو منكرين لوجود الله ، وإنما كانوا بلا معرفة عنه ، كقوله : « كالأمم الذين لا يعرفون الله » ١ تس ٤ : ٥ .

الآن إذ إقتربوا من السيد المسيح ، وقبلوه بالإيمان تغيرت صورتهم تماماً ، وتغير مركزهم بالنسبة لله ولليهود ، إذ يقول :

« ولكن الآن فى المسيح يسوع أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح ، لأنه هو سلامنا الذى جعل الإثنين واحداً ، ونقض حائط السياج المتوسط ، أى العداوة ، مبطلاً بجسده ناموس الوصايا فى فرائض لكى يخلق الإثنين فى نفسه إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً » ع ١٣ــ ١٥ .

فى العهد القديم صار اليهود قريبين لله لا بعلامة الختان فحسب وإنما بدم الذبائح أيضاً ، كقول موسى النبى حين أخذ الدم ورش على الشعب : « هوذا دم العهد الذى قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال » خر ٢٤ : ٨ ؛ أما فى العهد الجديد فصار البشر قريبين إلى الله فى عهد أخوّة خلال ذبيحة المسيح .

إذ بذل المسيح نفسه ذبيحة حب ضمنا معاً فى رباط وحدة ، ونقض حائط السياج المتوسط الذى أقامه اليهود حول الهيكل حتى لايعبره غريب ، هذا الحائط يمثل العداوة بين اليهود والأمم ، والفصل الكامل بينهما ، لا من جهة عدم العبور إلى الهيكل اليهودى فحسب ، وإنما إعتزال اليهود الحياة الأممية ، والإنفصال عنهم فى كل إتجاهات الحياة ، حتى لا يتدنسوا برجاساتهم .

يخبرنا يوسيفوس أن هذا الحائط الحجرى كان يرتفع ٣ بوصات يفصل الدار الخارجية للهيكل عن الدار الداخلية ، وجدت عليه علامات تهدد بالموت كل

أجنبى يتعداه(٧٠) . وفى الحفريات التى قام بها C. Clermont - Ganneau بأورشليم عام ١٨٧١ وُجدت إحدى هذه التحذيرات ، جاء فيها : « لا يجوز لشخص من أمة أخرى أن يدخل فى المنطقة المسّورة حول الهيكل ، ومن يُمسك يحكم على نفسه بالموت » .

هذا الحاجز ولّد لدى الأمم إتجاهين ، البعض أُعجب بنقاوتهم من الرجاسات الوثنية فقبلوا التهود ، والبعض الآخر حسبوا هذا تعصباً فامتلأوا مرارة ضد اليهود وإحتقاراً لهم .

لم ينقض حائط السياج الحجرى لكى يدخل الأمم مع اليهود إلى هيكل أورشليم ، وإنما نزع العداوة بدمه ليدخل بالكل إلى العضوية فى جسده ، « **فيخلق الإثنين فى نفسه إنساناً واحداً جديداً** » ع ١٥ .

ربما يقدم هنا تلميحاً أفخارستياً ، حيث يشترك الكل معاً فى جسد المسيح الواحد ، فيتحقق فى الجميع تجديداً دائماً وإنسجاماً مستمراً حتى تعلن « الكنيسة الواحدة المتجددة » . فى الأفخارستيا تلتقى البشرية المؤمنة فتجد لها موضعاً حقيقياً للسكنى معاً على صعيد الثبوت فى المسيح .

هذه المصالحة التى تمت فى الصليب أكدها الرسول فى أكثر من موضع :

« ليس يهودى ويونانى ، ليس عبد ولا حرّ ، ليس ذكر وأنثى ، لأنكم جميعاً واحد فى المسيح » غلا ٣ : ٢٨ .

« وأن يصالح به الكل لنفسه عاملاً الصلح بدم صليبه بواسطته ، سواء كان ما على الأرض أو ما فى السموات » كو ١ : ٢٠ .

+ « **لأنه هو سلامنا ، الذى جعل الإثنين واحداً** »

ماذا يعنى : « جعل الإثنين واحداً » ؟

لايعنى أنه أقامنا إلى مركزهم الوضيع ، وإنما أقامنا وإياهم إلى ما هو أعلى . لكن البركة بالنسبة لنا أعظم ، لأن لهم كان الوعد ، وكانوا هم أقرب منا ، أما نحن فلم يكن لنا الوعد وكنا أكثر بعداً منهم ، لهذا قال : « وأما الأمم فمجدوا

الله من أجل الرحمة » رو ١٥ : ٩ . حقاً لقد أُعطى الوعد للإسرائيليين ، لكنهم لم يستحقوه ، وأما نحن فلم يعطنا وعداً وإذ كنا غرباء وليس لنا معهم شركة فى شيء ما لكننا صرنا واحداً لا بإتحادنا معهم ، وانما بإتحادنا وإياهم معاً فى واحد .

أقدم لكم تشبيهاً : هب انه يوجد تمثالان ، أحدهما من الفضة والآخر من الرصاص ، وأُذيب الإثنان معاً ، فصار الإثنان من ذهب ، هكذا جعل الإثنين واحداً .

يمكن وضع الأمر بصورة أخرى : لنفرض أن إثنين ، أحدهما عبد والآخر إبن بالتبنى ، وأن الإثنين أذنبا ضده ، فصار أحدهما إبناً غير مستحق للميراث والآخر شريداً ذاك الذى لم يعرف له أباً قط . صار الإثنان وارثين ، وإبنين حقيقيين . كلاهما إرتفعا إلى ذات الكرامة ، فصار الاثنان واحداً ، واحد جاء من بعيد جداً والآخر من مسافة أقل ، لكن العبد صار أكثر نبلاً مما كان عليه قبل أن يذنب .

+ يكمل حديثه : « **ونقض حائط السياج المتوسط** » . وقد فسر معنى حائط السياج المتوسط بقوله : « **أى العداوة التى أبطلها بجسده ، ناموس الوصايا فى فرائضه** » .

حقاً يؤكد البعض انه قصد الحائط الذى وضعه اليهود ضد اليونانيين ، إذ لم يكن يُسمح لليهودى أن يختلط باليونانيين . أما بالنسبة لى فيبدو لى أن المعنى غير هذا ، بل بالحرى قال : « العداوة فى الجسد» ، الحائط المتوسط ، كحاجز عام الذى يعزلنا كلنا على وجه المساواة عن الله . وكما يقول النبى : « آثامكم صارت فاصلة بينكم وبينى » إش ٥٩ : ٢ ، تلك العداوة التى كانت بين الله وبين اليهود كما الأمم ، بكونها حائطاً متوسطاً . هذا الحائط لم يُنقض حين وُجد الناموس بل بالعكس تقوّى ، كقول الرسول : « لأن الناموس ينشيء غضباً » رو ٤ : ١٥ . وبنفس الطريقة بقوله « الناموس ينشيء غضباً » لم ينسب كل التأثير للناموس ذاته وإنما يجب أن نفهم أن السبب هو

آثامنا ؛ هكذا هنا أيضاً يقول « حائط السياج المتوسط » لأنه خلال عصياننا نشأت العداوة .

كان الناموس سياجاً ، عُمل لأجل الحماية ، ولهذا دُعى « سياجاً » ليحيط بما هو فى داخله . أنصت أيضا إلى النبى القائل : « أقمت خندقاً حوله » إش ٥ : ٢ ...

على أى الأحوال ، صار (الناموس) حائطاً متوسطاً لا لسلامهم بل ليعزلهم عن الله . وهكذا تكوّن الحائط المتوسط من السّياج . ولكى يشرح ذلك أكمل : « **أبطل العداوة بجسده ، أى ناموس الوصايا** » . كيف تمّ ذلك ؟ بقتله (على الصليب) مبطلاً العداوة . ليس فقط بهذه الوسيلة وإنما بحفظ الناموس ...

القديس يوحنا الذهبى الفم[٧١]

+ « **لكى يخلق الإثنين فى نفسه إنساناً واحداً جديداً** » .

لاحظ أن الأممى لم يصر يهودياً ، بل كلاهما — هذا وذاك — صارا فى حالة جديدة ... وُهب الاثنين خلقة جديدة .

إستخدم كلمة « خلق » فى كل المناسبات وليس « غيَّر » ، ليظهر قوة عمله .

+ « **لكى يخلق الإثنين فى نفسه** » ، أى بنفسه ، فلم يعهد بهذا الأمر لآخر ، بل قام به بنفسه . أذاب هذا وذاك وأقام واحداً مجيداً ...

أمسك اليهود باليد الواحدة ، والأمم بالأخرى ، وكان هو فى الوسط ، فمزجهما معاً ، وإنتزع الخلافات التى كانت بينهما وشكّلهما من جديد من فوق بالنار والماء وليس بالماء والتراب ...

+ « **إنساناً واحداً جديداً ، صانعاً سلاماً** » ، صانعاً سلاماً لكليهما مع الله ، ومع بعضهما البعض .

+ « فى جسد واحد » ، أى فى جسده ... إذ تحمل هو العقوبة المستحقة .

+ « بالصليب ، قاتلاً العداوة به » ، لا توجد كلمات حاسمة وقوية أكثر من هذا ، إذ يقول الرسول إن موته قتل العداوة . لقد جرحها وقتلها ، لا بتكليفه آخر ليعمل ذلك ولا خلال عمله فقط وإنما خلال ألمه .

لم يقل « حَل العداوة » أو « أبطلها » بل ما هو أقوى : « قتلها » ، حتى لا تقوم ثانية ...

مادمنا ثابتين فى جسد المسيح ومتحدين معه ، لا تقوم العداوة بل تبقى ميتة .

القديس يوحنا الذهبى الفم(٧٢)

هذه المصـــالحة ، إن كان السيد المسيح قد دفع ثمنها فى جسـده المبذول عنا ، فإنها مصالحة مفرحة ومبهجة للكل ، لذلك يقول الرسول : « **فجاء وبشركم بسلام أنتم البعيدين والقريبين** » ع ١٧ .

وكما يقول القديس يوحنا الذهبى الفم : [لم يرسل المسيح إلينا هذه الأخبار (المفرحة) على يد آخر ، ولا أعلنها لنا خلال الغير ، وإنما جاء بشخصه . لم يرسل ملاكاً ولا رئيس ملائكة ليتمم هذا الأمر ... بل كان الأمر يستدعى مجيئه(٧٣)] .

جاء بنفسه ليبشر الكل ـــ البعيدين والقريبين ـــ لا بكلمات سلام ، وإنما أيضا بعمل سلام ...

هذه البشرى نظرها إشعياء النبى من بعيد خلال ظلال النبوة ، فقال : « سلام سلام للبعيد وللقريب ، قال الرب وسأشفيه » إش ٥٧ : ١٩ .

المصالحة التى تتم بين الفريقين تحققت بالصليب فى جسد المسيح ، لكن للآب والروح القدس دورهما الإيجابى فى هذا العمل ، إذ يقول الرسول : « **لأن به لنا كلينا قدوماً فى روح واحد إلى الآب** » ع ١٨ . إنه نص ثالوثى قوى ، حيث يعلن الرسول انه خلال تجسد الإبن اقترب البشر إلى الآب بفعل الروح

القدس . بمعنى آخر المصالحة هى : إقتراب للآب ، خلال الإبن المتجسد ، وذلك فى الروح .

تمتع الأمم بعمل الثالوث القدوس فنُزعت عنهم الغربة القديمة وصاروا مع اليهود رعية وأهل بيت الله ، إذ يقول : **فلستم إذاً بعد غرباء ونزلاً بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله** » ع ١٩ . كان الأمم واليهود طفلين غريبين ضمهما السيد المسيح فى جسده بروحه القدوس فى أخوّة ليصيرا إبنين للآب من « إهل بيت الله » ، ليس لأحدهما فضل على الآخر .

صار للأمم ــ بعد قبولهم الإيمان بالمسيح ــ ذات حقوق اليهود ، إذ دخلوا فى بناء الكنيسة الجامعة التى أساسها الرسل والأنبياء وحجر زاويتها السيد المسيح . بمعنى آخر لم يعد أنبياء العهد القديم ولا رسل العهد الجديد ولا المسيح نفسه حكراً على أمة اليهود دون غيرهم .

يقول الرسول : « **مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية ، الذى فيه كل البناء مركباً معاً ، ينمو هيكلاً مقدساً فى الرب ، الذى فيه أنتم أيضا مبنيون معاً مسكناً لله فى الروح** » ع ٢٠ ــ ٢٢ .

لقد تحقق باليهود كما بالأمم بناء روحياً واحداً أساسه الرسل والأنبياء يربطهما معاً حجر الزاوية السيد السيح ، الذى فيه تحققت نبوات العهد القديم وباسمه تتم كرازة العهد الجديد .

إن كانت أورشليم العليا فى حقيقتها هى « مسكن الله مع الناس » رؤ ٢١ : ٣ ، فقد شاهد القديس يوحنا أسماء الرسل الإثنى عشر مكتوبة على أساساتها (رؤ ٢١ : ١٤) وأسماء الإثنى عشر سبطاً على أبوابها (رؤ ٢١ : ١٢) .

فى أكثر من موضع يشرح لنا **القديس أغسطينوس** دور السيد المسيح كحجر الزاوية الذى ربط اليهود مع الأمم فى بناء واحد ، كحائطين ذوى إتجاهين مختلفين إلتحما معاً . فمن كلماته : [حدث فى ذلك اليوم الذى هو يُدعى ميلاده رآه الرعاة اليهود ، بينما فى هذا اليوم الذى يليق أن يدعى « الظهور

الإلهى » أى « الإعلان » سجد له المجوس الأمميون ... حقاً لقد وُلد كحجر زاوية للإثنين ، وكما يقول الرسول : « لكى يخلق الإثنين فى نفسه إنساناً واحداً جديداً ، صانعاً سلاماً ، ويصالح الاثنين فى جسد واحد مع اللّه بالصليب » ع ١٦ . ما هو حجر الزاوية إلا ربط حائطين ذوى إتجاهين مختلفين ، وكأنهما يتبادلان القبلة ! المختونون مع غير المختونين ، أى اليهود مع الأمم ، اللذان كانا يحملان عداوة مشتركة ، ولهما أمور أساسية تعزلهما عن بعضهما البعض ، فاليهود كانوا يعبدون اللّه الواحد الحق ، والأمم كانوا يعبدون آلهة كثيرة باطلة . الأولون كانوا قريبين والآخرون كانوا بعيدين . لقد قاد الفريقين إلى نفسه ، ذاك الذى صالحهما مع اللّه فى الجسد الواحد ، وكما قال نفس الرسول ، وذلك بالصليب ، قاتلاً العداوة(٧٤)] .

يرى **القديس أغسطينوس**(٧٥) انه بدعوة السيد المسيح رأس الزاوية ، وهو رأس الكنيسة ، بهذا تكون الكنيسة هى الزاوية التى ضمت اليهود من جانب والأمم من الجانب الآخر .

يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [ما هو هدف هذا البناء ؟ لكى يسكن اللّه فى هذا الهيكل . كل واحد منكم هو هيكل ، وكلكم معاً هيكل . اللّه يسكن فيكم بكونكم جسد المسيح وهيكل روحى . لم يستخدم الكلمة التى تعنى مجيئنا نحن إلى اللّه ، بل ما يعنى أن اللّه هو الذى يحضرنا إلى نفسه ، فاننا لم نأتِ من تلقاء أنفسنا ، بل اللّه هو الذى قرّبنا إليه . يقول المسيح : « ليس أحد يأتى إلى الآب إلا بى » ، وأيضاً « أنا هو الطريق والحق والحياة » يو ١٤ : ٦ (٧٦)] .

+ + +



يعتز الرسول بولس بإكتشافه « سرّ المسيح » ، لا بقدراته البشرية أو مواهبه إنما بإعلان اللّه له عن هذا السرّ المكتوم منذ الدهور ، الحامل لغنى المسيح الذى لا يُستقصى . ما هو سرّ المسيح إلا دعوة الأمم لشركة الميراث ونوال المواعيد فى المسيح بالإنجيل ؟! إنه تحقيق جامعية الكنيسة التى تمتد بين الأمم واليهود لتضم كل مؤمن ليكون له موضع « فى المسيح » ، ويكون للمسيح موضع فى قلبه .

١ ـــ سرّ المسيح ودعوة الأمم	١ ـــ ٨ .
٢ ـــ دعوة إلهية أصيلة وسماوية	٩ ـــ ١١ .
٣ ـــ دعوة أكيدة	١٢
٤ ـــ دعوة تحتاج إلى جهاد روحى	١٣ .
٥ ـــ شفاعة الرسول عن الكل	١٤ـــ٢١

+ + +

١ ـــ سرّ المسيح ودعوة الأمم

« بسبب هذا أنا بولس أسير المسيح يسوع لأجلكم أيها الأمم ، إن كنتم قد سمعتم بتدبير نعمة اللّه المعطاة لى لأجلكم ، أنه بإعلان عرفّنى بالسرّ ، كما سبقت فكتبت بالإيجاز » ع ١ ـــ ٣ .

ويلاحظ فى هذا النص وما يليه الآتى :

أولاً : يبدأ حديثه بقوله « **بسبب هذا** » ... وكأن ما يتحدث عنه القديس بولس كأسير للسيد المسيح إنما بسبب « سّر المسيح » ، أى سّر إنفتاح باب الإيمان أمام الأمم كما أمام اليهود ليصير الكل بناءً واحداً حياً ، وهيكلاً لله . إن كان القديس بولس قد صار رسولاً بل وأسيراً إنما لأجلهم فى الرب .

لقد كرر الرسول كلمة « أنا » أكثر من مرة (١ : ١٥ ؛ ٣ : ١ ؛ ٤ : ١ ؛ ٥ : ٣٢) ، ليس لتقوقعه حول ذاته « ego » ، وإنما لتأكيد إعتزازه بالرسالة التى أعلن الرب سّرها له ، ومن أجلها صار « أسيراً » . كانت إحساسات الرسول بولس تتركز فى قبوله « الأسر » بفرح لأجل تمتع الأمم بالحرية بل ومن أجل إخوته اليهود أيضا (١ تس ٢ : ١٤ ــ ١٦ ؛ ٢ كو ١١ : ٢٤ ، ٢٥) .

إنه يعتز برسوليته بل وبأسره من أجل خلاص كل نفس ، حتى حسب لقب « أسير المسيح يسوع » شرفاً له . لقد شعر بالتزامه بالعمل الكرازى مهما بلغت تكلفته . وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [سبق فذكر الرسول عناية المسيح العظيمة المتحننة ، الآن يذكر عنايته هو ، التى تعتبر تافهة وكلا شيء إن قورُنت بعناية المسيح ، لكنها كفيلة أن تقربهم إليه ، لذا يقول « **أنا أيضا ملتزم (أسير)** » فإن كان سيدى صُلب لأجلكم بالأكثر أُربط أنا لأجلكم . لم يربط السيد نفسه فحسب وإنما ألزم عبيده أيضا بذلك لأجلكم أيها الأمم[٧٧]].

لعله أراد بإعلان أسره فى روما تأكيد مثابرته على تحقيق « سّر المسيح » أى الكرازة بإسمه وقوته بين الأمم ولأجلهم ، وإن كان ثمن هذا كراهية اليهود بنى جنسه له وتسليمه للأسر .

وربما كانت إحساسات الرسول بولس أثناء أسره فى روما تتركز فى تأمله فى شدة قوة محبة المسيح التى « أسرته » فى ٣ : ١٢ ، لكى تنتزعه من المقاومة ضد الخدمة إلى العمل لحساب المسيح وبقوته ، لذا كثيراً ما يكرر العبارة : « **حسب شدة قوته** » . كان يشعر انه أسير محبة المسيح وقوته الجذّابة لتستخدمه كأداة تعمل لحساب ملكوته .

ثانياً : يبدو أن بعضاً ممن يكتب إليهم لم يره وإنما سمعوا عنه (ع ٢) ، فلا توجد بينهم وبين الرسول روابط علاقات شخصية ، لكنه بثقة يشعر أن ما وُهب إليه من نعم هو لأجلهم . إحساسات صادقة وقوية لدى الخادم أن ما لديه من عطايا ليس عن فضل خاص به ولا عن إمتياز له عن غيره ، لكنه هبة إلهية قدمت له من الله لأجل المخدومين .

يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** : [هنا يلمح إلى النبوة التى أُعطيت لحنانيا فى دمشق بخصوصه ، حين قال له الرب : « إذهب لأن هذا لى إناء مختار ليحمل إسمى أمام أمم وملوك » أع ٩ : ١٥ ؛ ويقصد بـ « **تدبير نعمة** » الإعلان الذى ظهر له ، كأنه يقول : « لأنى لم أقبله من عند إنسان » غل ١ : ١٢ . لقد وهبنى الاعلان إنما لأجلكم ، إذ قال لى بنفسه : « إذهب فإنى سأرسلك إلى الأمم بعيدا » أع ٢٢ : ٢١[٧٨]] .

أما قوله : « **فكما سبق فكتبت بإيجاز** » ع ٣ ، فإن الكلمة اليونانية Prographo المستخدمة هنا يمكن أن تحمل على الأقل ثلاثة معانٍ : أن ما كتبه فى نفس الرسالة أعلاه حيث حدثهم عن سّر مشيئة الله الخاصة بجميع ما فى السموات وما على الأرض فى المسيح يسوع (١ : ٩ ، ٢٠) أو سّر المسيح الخاص بمصالحة الأمم واليهود فى جسد واحد خلال الصليب (٢ : ١١ـــ٢٢). المعنى الثانى انه يذّكر السامع بما سبق فكتبه فى إحدى رسائله السابقة عن هذا الإعلان ، وليس بالضرورة أن تكون رسالة موجهة إلى أهل أفسس ، إذ كانت رسائله كثيرة التداول ؛ والمعنى الثالث انه سبق فكتب بصفة عامة وليس خلال رسالة معينة .

ثالثا : يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن حديث الرسول بولس السابق عن « سّر المسيح » الخاص بقبول الأمم فى ذات الجسد جنباً إلى جنب مع اليهود كان موجزاً للغاية لعدم قدرة السامعين على قبوله ، إذ لم يكن ممكناً لليهود أن يدركوا أو يقبلوا عظمة الغنى الذى أغدقه الله على الأمم ليصيروا شركاء فى الميراث والجسد ونوال الموعد . هذا السّر المعلن بقوة للرسول لم يُعلن لأنبياء العهد القديم بذات القوة بل جزئيا ، إذ يقول الرسول :

« الذى بحسبه حينما تقرأونه تقدرون أن تفهموا درايتى بسّر المسيح ،

الذى فى أجيال أخر لم يُعرف به بنو البشر كما قد أُعلن الآن لرسله القديسين وأنبيائه بالروح ،

أن الأمم شركاء فى الميراث والجسد ونوال موعده فى المسيح بالإنجيل » ع ٤ — ٦ .

كأنه يقول إن حقيقة قبول الأمم للإيمان كانت سراً بالنسبة للأجيال السابقة ، لم يُكشف هذا السّر كما الآن ، فقد أُعلن للرسل والأنبياء (أنبياء العهد الجديد) وذلك بالروح القدس .

+ **« الذى فى أجيال أخر لم يعرف به بنو البشر كما قد أُعلن الآن لرسله القديسين وأنبيائه بالروح » ع ٥ .**

أخبرنى ، ما هذا ؟ ألم يعرف الأنبياء هذا (السّر) ؟

إذن ، كيف يقول المسيح إن موسى وإيليا كتبا هذا عنى ؟

وأيضا : « لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقوننى » يو ٥ : ٤٦ ؟

وأيضا : « فتشوا الكتب لأنكم تظنون ان لكم فيها حياة أبدية ، وهى التى تشهد لى » يو ٥ : ٣٩ ؟

إنه يعنى إما أن هذه لم تُعلن لكل البشر ، إذ أضاف : « الذى فى أجيال أُخر لم يعرف به بنو البشر كما قد أُعلن الآن » ، أو يعنى أنها لم تعرف بكل حقائقها وأحداثها : « كما قد أعلن الآن لرسله القديسين وأنبيائه بالروح » . تأمل : لو أن بطرس لم يُعلن له بالروح ذلك لما ذهب إلى الأمم . إسمع ماذا يقول : « هؤلاء الذين قبلوا الروح القدس كما نحن أيضا » أع ١٠ : ٤٧ . بمعنى انه بالروح إختار اللّه أن يقبلوا هذه النعمة . لقد نطق الأنبياء بذلك لكنهم لم يعرفوها معرفة كاملة ، حتى الرسل لم يعرفوها بعد أن سمعوها ، فقد فاقت كل الحسابات البشرية والتوقعات العامة .

+ « ان الأمم شركاء فى الميراث والجسد ونوال موعده » ع ٦ .

ما هذا ؟ « شركاء فى الميراث والموعد والجسد ؟ هذه الأخيرة أمر عظيم ، إذ يصيرون جسداً واحداً ، ويقتربون إليه فى علاقة قوية للغاية .

القديس يوحنا الذهبى الفم(٧٩)

رابعاً : يرى بعض الدارسين أن التعبيرات الواردة فى الفقرة ٥ مثل « بنى البشر ، لرسله القديسين وأنبيائه » غريبة فى أسلوب الرسول بولس ، فهى غالباً إقتباس نقله الرسول عن تسبحة كنسية فى ذلك الحين(٨٠) .

خامساً : يؤكد الرسول أكثر من مرة أن تحقيق « سّر المسيح » ليس عن فضل بشرى ، كما لا تعوقه العقبات الإنسانية ، إنما يتحقق « **حسب فعل قوته** (قوة اللّه) ع ٧ (١ : ١٩) ، أما من جهة نفسه فهو مجرد خادم أصغر جميع القديسين أُستؤمن على تحقيق خطة اللّه خلال غنى المسيح الذى لا يُستقصى ، إذ يقول : **الذى صرت أنا خادماً له حسب موهبة نعمة اللّه المعطاة لى حسب فعل قوته ، لى أنا أصغر جميع القديسين أُعطيت هذه النعمة أن أبشر بين الأمم بغنى المسيح الذى لا يُستقصى** » ع ٧ ، ٨ .

يرى **القديس يوحنا الذهبى الفم** أن الرسول بولس إذ يتحدث عنّ عظمة قوة نعمة اللّه يتصاغر جداً فى عينى نفسه فيتطلع إلى نفسه كأصغر صغار جميع القديسين (Less than the least of all saints) ، إذ يقول :

[إذ أوشك أن يتحدث عن عظمة نعمة اللّه ، إسمع ما يقول : « لى أنا أصغر (من أصغر) جميع القديسين أُعطيت هذه النعمة » . كان تواضعاً حقا إذ كان ينتحب خطاياه السابقة مع أنها غُفرت له ، فكان يذكرها ، واضعاً لنفسه مقياساً حقيقياً حيث دعى نفسه : « مجدفاً ومضطهداً ومفترياً » ١ تى ١ : ١٣ ... مرة أخرى يدعو نفسه « السقط » ١ كو ١٥ : ٨ . أما أن يضع نفسه بعد قيامه بأعمال عظيمة صالحة فيدعو نفسه « أصغر من أصغر القديسين » فهذا اتضاع بالحقيقة عظيم وفائق .

لم يقل « أصغر الرسل » بل « من أصغر القديسين » ، فإن التعبير الأول أخف .

يقول أيضاً « أنا لست أهلاً أن أدعى رسولاً » ١ كو ١٥ : ٩ ...] .

القديس يوحنا الذهبي الفم(٨١)

لعل الرسول بولس قد إتضع جداً بصورة فائقة فحسب نفسه ليس فقط أصغر الرسل وإنما الأصغر بين أصغر القديسين بوجه عام ... وكان هذا الإتضاع لازماً لأمرين ، أولاً لأنه حيث يكون البناء شاهقاً جداً يلزم أن تكون الأساسات عميقة للغاية . البناء الذى أمامه غاية فى العلو ، إذ وهبت له نعمة خاصة ليبشر « **بين الأمم** » ، أى يدخل وسطهم ويكون بينهم كما لو كان واحداً منهم حتى يقدم لهم « **غنى المسيح الذى لا يستقصى** » . بمعنى آخر لم يقف « ضد الأمم » ، ولا كرز كما من بعيد ، لكنه إنطلق إلى هؤلاء الذين هم عن بعد شديد ليدخل فى وسطهم ، يحفر فيهم أساسات عميقة ، ليقدم البناء الحىّ اللائق بالمسيح السماوى ! هذا من جانب أما الجانب الآخر فلأنه يتحدث عن أمر يصعب على كثير من اليهود قبوله ، لذا يتدرع بالإتضاع كسلاح ضد كل هجوم يتعرض له . هنا يعلمنا الرسول أن نقابل المقاومين بروح الإتضاع الشديد فنربحهم ونربح نفوسنا معهم !

٢ ــ دعوة إلهية أصيلة وسماوية

رأينا الرسول بولس يتضع للغاية ليعلن تمتعه بنعمة خاصة إلهية هى نعمة الكرازة بين الأمم للتمتع بغنى المسيح الذى لا يُستقصى ، هذا العمل أى إنفتاح الباب للأمم للدخول إلى غنى المسيح دعاه « سرّ المسيح » . هذا السرّ ليس بالأمر الذى هو من عنديات الرسول نفسه ، ولا من وحى فكره الخاص ، لكنه أداة يستخدمها الله لتحقيق مقاصده الأزلية المكتومة منذ الدهور . هذا السرّ السماوى الإلهى ، كان مكتوماً ، والآن إنفتح ليضم الجميع وليُعلن للسمائيين أنفسهم الذين يرون فى الكنيسة عجباً ... يرون الأمم الأرضيين قد صاروا سمائيين ، ودخلوا معهم فى شركة ! إذ يقول الرسول :

« وأنير الجميع فى ما هو شركة السّر المكتوم منذ الدهور فى اللّه خالق الجميع بيسوع المسيح لكى يعرف الآن عند الرؤساء والسلاطين فى السماويات بواسطة الكنيسة بحكمة اللّه المتنوعة ، حسب قصد الدهور الذى صنعه فى المسيح يسوع ربنا » ع ٩ ـــ ١١ .

يلاحظ فى هذا النص الرسولى :

أولاً : إن كانت نعمة اللّه قد أنارت عينيه ليرى « سّر المسيح » ، فبالضرورة ملتزم أن يقود ـــ إن أمكن ـــ الجميع ليروا ما قد رآه ، سّر اللّه المكتوم منذ الدهور ، سّر حب اللّه خالق الجميع معلناً بيسوع المسيح مخلص الكل ، السّر الأزلى فى خطة اللّه وتدبيره .

ثانياً : يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [حقاً ، لم يُعلن (السّر) لإنسان ، فهل أنت تنير السّر للملائكة ورؤساء الملائكة والرؤساء والسلاطين ؟ يقول : « نعم » فإنه كان مكتوماً « فى اللّه » بل « **فى اللّه خالق الجميع** » . أتتجاسر وتنطق بهذا ؟ يجيب : نعم . وكيف أُعلن هذا للملائكة ؟ « **بواسطة الكنيسة** » ... ألم تكن الملائكة تعرفه ؟ ... ألم يعرفه حتى رؤساء الملائكة ؟ حتى هؤلاء لم يعرفوه ! ... لقد دعاه سراً ، لأن الملائكة لم يكونوا يعرفونه ، ولا كان قد أُعلن لأحد ... حقاً لقد عرف الملائكة أن الأمم مدعوون فعلاً ، أما إن يكونوا مدعوين للتمتع بذات إمتيازات إسرائيل وأن يجلسوا على عرش اللّه هذا من كان يتوقعه ؟ من كان يصدقه ؟![٨٢]] .

ثالثاً : لاشك أن السمائيين قد ادركوا حكمة اللّه منذ خلقتهم ، لكنهم شاهدوا فى كنيسة العهد الجديد عجباً ... لذا يقول « بحكمة اللّه المتنوعة » ، وحسب ترجمة النص فى كتابات الذهبى الفم « المتنوعة جداً » . أقول رأوا أعماقاً جديدة فى حكمة اللّه التى أقامت من الوثنيين ومقاومى الحق أبناء للّه ، ورثة مع المسيح !

رابعاً : يرى **القديس جيروم** فى النص الذى بين أيدينا إذ يميز الرسول بين الرؤساء والسلاطين وهما طغمتان سمائيتان تتمتعان بإدراك سّر اللّه ، أن الكنيسة

أيضا تضم أعضاء ينتمون إلى جسد واحد لكن لكل منهم قامته الروحية ، أو كما قال الرسول إن « نجماً يمتاز عن نجم فى المجد » ١ كو ١٥ : ٤١ .

يقول : [بالتأكيد من يزرع أكثر ومن يزرع أقل كلاهما على الجانب الأيمن ، لكن مع إنتمائهما إلى طبقة واحدة ، أى طبقة الزارعين ، غير أنهما يختلفان من جهة القياس والعدد(٨٣)...] .

٣ ــ دعوة أكيدة

إذ يتحدث الرسول عن هذا السّر الإلهي الأزلى الذى أُعلن له ، والذى كرسّ حياته لتحقيقه ، أراد أن يؤكد ثقته فى اللّه أن خطته هذه ستتحقق بالرغم من أسر بولس أو سجنه ... حقاً لقد وُضع الرسول تحت قيود منظورة ، لكنه يشعر بالحرية والإنطلاقة بثقة فى تحقيق سّر المسيح ، إذ يقول : « **الذى به لنا جراءة وقدوم بإيمانه عن ثقة (الكلمة اليونانية Parresia تعنى حرية)** » ع ١٢ .

+ « **لنا قدوم** » لا كأسرى وإنما كأشخاص يطلبون المغفرة ، وليس كخطاة ، إذ يقولّ : « **لنا جراءة وقدوم** » ، أى جرأة مرتبطة بثقة متهللة . من إين تأتى ؟ من إيماننا به !

القديس يوحنا الذهبى الفم(٨٤)

٤ ــ دعوة تحتاج إلى جهاد

هذه الدعوة لتحقيق « سّر المسيح » لا فضل للرسول فيها ، إنما هى حسب فعل قوة اللّه ... لكن الرسول بولس لم يقف سلبياً بل جاهد واحتمل حتى السجن ، حاسباً هذا لمجد الأمم ؛ الآن يسأل الأمم أنفسهم أن يشاركوه هذا الجهاد ، قائلاً : « **لذلك أطلب أن لا تكّلوا فى شدائدى لأجلكم التى هى مجدكم** » ع ١٣ .

+ هكذا أحبهم اللّه حتى بذل إبنه لأجلهم ، وسمح بالآلام لخدامه من أجلهم ، فقد أُلقى ببولس فى السجن لكى ينالوا بركات وفيرة . بالتأكيد كان هذا

بسبب محبة اللّه الفائقة لهم . هذا ما قاله اللّه أيضاً عن الأنبياء : « قتلتهم بأقوال فمى » هو ٦ : ٥ .

القديس يوحنا الذهبى الفم[٨٥]

٥ ــ شفاعة الرسول عن الكل

مادام تحقيق « سّر المسيح » هو عمل إلهى فلا يكفى جهاد الرسول أو جهادهم هم وإنما لا يكف الرسول وسط شدائده من الإنحناء أمام الآب طالباً قوته وإمكانياته ، إذ يقول : « **بسبب هذا أحنى ركبتى لدى أبى ربنا يسوع المسيح ، الذى منه تُسمى كل عشيرة فى السموات وعلى الأرض** » ع ١٤ : ١٥ .

لعل الرسول بولس أراد أن يمتثل بمسيحه الذى دخل البستان ليشرب كأس الآلام لأجل مجدنا عندما إنحنى على ركبتيه أمام الآب ليحمل الصليب ويحقق المصالحة ... هكذا لاق بكل خادم أن يجثو أمام الآب مقدماً الطاعة ليحمل شركة الصليب من أجل خلاص الغير .

+ ها هو يظهر روح صلاته عنهم ، إذ لم يقل : « أصلى » فحسب ، وإنما أظهر تضرعاته القلبية بإنحناء الركب .

« الذى منه تُسمى كل عشيرة »

إنه يعنى انه لم يحسبها ضمن عداد الملائكة بل انه قد خلق عشائر فى السماء من فوق ، وعلى الأرض من تحت ، وليس كما كان اليهود .

القديس يوحنا الذهبى الفم[٨٦]

بمعنى آخر أن الرسول بولس إذ ينحنى بركبنيه كما بكل قلبه لدى الآب يطلب تحقيق مشيئته الإلهية ، أن يضم السمائيين والأرضيين كعائلة مقدسة ترتبط معاً فى المسيح يسوع ربنا .

ماذا يطلب الرسول فى شفاعته عنهم ؟ أو صلواته من أجلهم ؟

أولا : « لكى يعطيكم بحسب غنى مجده أن تتأيدوا بالقوة بروحه فى الإنسان الباطن » ع ١٦ .

إن كنت بالحب الحقيقى العامل لا أكف عن أنحنى بركبتى كما بإنسانى الداخلى لأجلكم فإننى أطلب ليهبكم تأييداً داخلياً فى إنسانكم الداخلى ، وقوة روحية ، ليس من أجل صلواتى ومحبتى وإنما بالحق من أجل غنى مجده . كأنه يقول إن صلواتى تأتى متناغمة مع مشيئة اللّه وغنى مجده المشتاق أن يعمل فى إنسانكم الباطن أو الداخلى .

ما هو التأييد بالقوة بروحه فى الانسان الباطن إلا التمتع بحلول المسيح بالإيمان فى قلوبكم (ع ١٧) !!

هنا يركز الرسول بولس أنظارهم نحو الإنسان الباطن ليتجلى السيد المسيح فيه ، معلناً ملكوته فى داخلنا . لهذا حينما تحدث **القديس يوحنا كاسيان** عن الصوم كأحد التداريب الروحية ، طالبنا ألا نركز على التصرفات الخارجية كالامتناع عن الطعام وانما على « الحياة الداخلية فى المسيح يسوع » ، إذ يقول : [عندما يصوم الانسان الخارجى يلزم ان يمتنع الأنسان الداخلى عن الطعام الردىء بالنسبة له ، إذ يحثنا الرسول الطوباوى أن يظهر الانسان الداخلى ــ فوق الكل ــ نقياً أمام اللّه ، فيوجد مستحقاً لقبول المسيح ضيفاً فى داخله(٨٧)] .

سّر القوة هو « حلول المسيح » بالإيمان فى قلوبنا .

+ يحل المسيح بالإيمان فيك ؛

إذ يحضر الإيمان يكون المسيح حاضراً ،

إيقاظ الإيمان هو إيقاظ للمسيح .

إسترخاء الإيمان هو نوم للمسيح . قم وحث نفسك ، قائلاً : « يارب إننا نهلك » .

+ لا تدع إبليس يفسد إيمانك ، لا تدعه يبتلع السمكة !

القديس أغسطينوس(٨٨)

لقد سبق فأعلن السيد المسيح هذه العطية للقلوب المحبة الأمينة ، إذ قال : « إن أحبنى أحد يحفظ كلامى ويحبه أبى وإليه نأتى وعنده نصنع منزلاً » يو ١٤ : ٢٣ .

ثانياً : « وأنتم متأصلون ومتأسسون فى المحبة حتى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين ما هو العرض والطول والعمق والعلو ، وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة لكى تمتلئوا إلى كل ملء الله » ع ١٨ ، ١٩ .

كما ربط السيد المسيح حلوله فى القلب بنقاوة القلب العملية خلال المحبة الصادقة الحافظة لكلامه (يو ١٤ : ٢٣) الآن يعلن الرسول أن حلول المسيح فى القلب يجعل النفس متأصلة ومتأسسة فى المحبة الإلهية ، فتنعم بعطية « الإدراك الروحى » و « المعرفة الفائقة » .

إتحادنا بالسيد المسيح المرتكز على الحب ، يكشف الأسرار الإلهية فندرك ما هو العرض والطول والعمق والعلو ونتعرف على محبة المسيح الفائقة المعرفة ، فندخل إلى الملء . إنها سلسلة غير منقطعة بين « الإتحاد مع الله » ، « المحبة الفائقة » ، « المعرفة الإلهية » و « الملء » .

هذه عطايا العريس السماوى لعروسه المتحدة به ، المتمتعة بمحبته الفائقة ، فتنال حق التعرف على أسراره والإنطلاق فى نمو غير منقطع من ملء إلى ملء !

+ يحل (المسيح) فى تلك القلوب المخلصة (الأمينة) ، فى المتأصلين فى محبته ، الذين يبقون ثابتين غير متزعزعين .

لكى تنالوا القوة الكاملة ، فالأمر يتطلب قوة عظيمة : « **لكى تمتلئوا إلى كل ملء الله** » . ماذا يعنى الرسول بهذا التعبير ؟ مع أن محبة المسيح ترتفع فوق كل معرفة بشرية ، لكنكم ستعرفونها إن كان لكم المسيح ساكناً فيكم ،

نعم ليس فقط تعرفون ذلك منه ، بل أيضا وتمتلئون إلى كل ملء الله .

القديس يوحنا الذهبى الفم(٨٩)

+ العرض هو الأعمال الصالحة ،

الطول هو المثابرة والمداومة على الأعمال الصالحة ،

العلو هو رجاؤكم فى البركات العتيدة . فمن أجل هذا العلو تؤمرون : « إرفعوا قلوبكم » ، إصنعوا خيراً ، ثابروا عليه من أجل جعالة الله . إحسبوا الأمور الأرضية كلا شيء .

القديس أغسطينوس(٩٠)

يرى **القديس أغسطينوس**(٩١) فى حديث الرسول هنا عن الطول والعرض والعلو والعمق إشارة إلى الصليب بكونه الينبوع الذى يفّجر فيها معرفة محبة الله الفائقة . العلو ذاك الجزء الذى يضع السيد المسيح رأسه عليه ، وهو رمز لتوقع المكافأة من عدل الله الفائق ، كما جاء فى رو ٢ : ٦ ، ٧ : « الذى سيجازى كل واحد حسب أعماله ، أما الذين بصبر فى العمل الصالح يطلبون المجد والكرامة والبقاء فبالحياة الأبدية » . والطول هو الصليب وقد وُضع عليه جسد السيد المسيح رمزاً للصبر والمثابرة المستمرة حسب مشيئة الله ، أو « طول الأناة » . والعمق ، هو الجزء المثبت فى الأرض ، يمثل طبيعة السّر الخفية ، سّر الصليب ، أو سّر حب الله .

يمكننا أن نقول إنه خلال تجلى السيد المسيح المصلوب فينا يكون لنا العلو حيث تنفتح بصيرتنا بالرجاء فى الأبدية ، ويكون لنا العمق حيث نكون متأسسين بنعمة الله فى محبته الخفية ، ويكون لنا الطول والعرض أى المحبة العملية لله والناس على المستوى الرأسى والأفقى ؛ بمعنى آخر فى المسيح يسوع يثبت رجاؤنا وإيماننا ومحبتنا لله والناس .

أخيراً إذ يرى الرسول أن هذه العطايا الإلهية فائقة أكدّها ، معلناً أن الله يتمجد فينا خلال أعماله الفائقة فى كنيسته ، إذ يقول : « **والقادر أن يفعل**

فوق كل شيء أكثر مما نطلب أو نفتكر حسب القوة التي تعمل فينا ، له المجد في الكنيسة في المسيح يسوع إلى جميع أجيال دهر الدهور . آمين » ع ٢٠ .

وكما يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** : [اللّه قد فعل « فوق كل شيء أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر » ... إنني بالحق أصلي ، لكنه هو يهب أكثر مما نطلب ... فإننا لم نطلب هذه الأمور ولا توقعناها(٩٢)] .

يشعر الرسول بولس انه إن كان بدافع الحب يطلب بإلحاح فان اللّه في عطاياه للبشرية يفيض أكثر مما كان الرسول يطلب أو يتوقع ، لذا ختم حديثه بتقديم الحمد والشكر للّه الذي يتمجد في كنيسته .

ما أجمل كلماته « له المجد في الكنيسة في المسيح يسوع » ، فإن الآب يتمجد في الكنيسة عروس المسيح ، يتجلى عمله بقوة في حياة أعضائها .

+ + +


الباب الثالث
الحياة الكنسية العملية

الحياة الكنسية العامة

إن كانت الكنيسة الجامعة فى حقيقتها هى « سرّ المسيح » المكتوم ، وقد أعلن لنا عن مجيء المسيح فتحققت مسرة الآب فيه ، وتهلل السمائيون بنا كعروس مقدسة وكجسد مقدس للرأس القدوس ، ضمت أعضاء الجسد من الأمم واليهود ، فإن هذه الكنيسة الجامعة يلزم أن تترجم عملياً فى حياتنا الكنسية وعبادتنا وسلوكنا الأسرى والإجتماعى وفى جهادنا الروحى الخفى ... هذا ما أكده الرسول بولس فى الأصحاحات الثلاثة الأخيرة (٤ ـ ٦) .

الكنيسة ليست مؤسسة ، لكنها « حياة فى المسيح » ، تتجلى فى أعماقنا كما فى كل تصرف خفى أو ظاهر .

+ + +



الله فى محبته أعلن لنا « سرّ المسيح » ، الذى هو سرّ الكنيسة الجامعة التى تضم الأمم لتنعم بالحياة فى المسيح ، لذا يليق بنا أن نقابل هذا الحب الإلهى العملى إيجابياً بإتساع قلبنا لبعضنا البعض فنحمل وحدانية الروح . هذه الوحدانية لا تعنى أن نكون نسخة متشابهة لبعضنا البعض بل نكون أشخاصاً لنا مواهبنا المتباينة التى أُعطيت لنا للعمل معاً ، يكمل احدنا الآخر لبنيان الكنيسة وبنيان نفوسنا ، لعلنا نبلغ « قياس قامة ملء المسيح » ع ١٣ .

\+ + +

١ — المحبة ووحدانية الروح

إن كان الرسول يشعر بإلتزامه نحوهم ليحقق فيهم بالنعمة « سرّ المسيح » ، محتملاً الشدائد حتى الأسر لجدهم ، فإنه يليق بهم من جانبهم أن يدركوا الدعوة الإلهية التى دعوا إليها ؛ فالعمل لا يكون من جانب الخادم وحْده ، وإنما يليق بكل عضو حىّ أن يلتزم بدوره ، أو بمعنى أصح أن يعتز بعضويته الكنسية خلال العمل الجاد . أما مركز هذا العمل فهو الإلتزام بالمحبة الجادة الواهبة وحدانية الروح خلال إنسجام كل الأعضاء معاً كجسد واحد لرأس واحد .

يوصيهم الرسول : « **فأطلب إليكم أنا الأسير فى الرب أن تسلكوا كما يحق للدعوة التى دُعيتم بها ، بكل تواضع ووداعة وبطول أناة محتملين بعضكم**

بعضاً فى المحبة ، مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام »
ع ١ ـــ ٣ .

لما كان موضوع « وحدانية الروح » أو رباط السلام أمراً له تنازلاته الكثيرة من كل عضو لذا بدأ الحديث عنه بإعلان الرسول عن تنازلاته التى هى بالحق سرّ مجده وكرامته ، إذ يدعو نفسه « **الأسير فى الرب** » . يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [يالها من كرامة عظيمة ! إنها أعظم من كرامة الملوك أو السفراء ... كان أمجد له أن يكون أسيراً من أجل المسيح عن أن يكون رسولاً أو معلماً أو كارزاً . من يحب المسيح يفهم ما أقوله : من دخل إلى التكريس للرب وإلتهب به يعرف قوة هذه القيود . مثل هذا يفضل أن يكون سجيناً من أجل المسيح عن أن تكون السموات مسكنه . كانت اليدان أكثر مجداً مما لو كانتا مزينة بزينة ذهبية أو بتاج ملوكى(٩٣) ...]

لقد خصص **القديس يوحنا الذهبى الفم** العظة الثامنة كلها فى تفسير الرسالة الى أهل أفسس يمجد فيها الآلام التى تُحتمل من أجل المسيح ، أيا كان نوعها أكثر من المجد الذى نتقبله حتى من يدىّ السيد المسيح نفسه .

هذا بالنسبة للآلام أما بالنسبة لوحدة الكنيسة فقد إمتص هذا الموضوع فكر آباء الكنيسة ، فلا ندهش إن رأينا **القديس يوحنا الذهبى الفم** قد خصص العظة التاسعة فى تفسيره للرسالة إلى أهل أفسس بأكملها لشرح العبارات الثلاث الواردة فى أول هذا الأصحاح . وقد لخص القديس حديثه بكلمات قليلة فى موضع آخر بقوله : [إسم الكنيسة ليس إسم الإنقسام بل الوحدة والإنسجام ، يلزم أن تكون كنيسة واحدة فى العالم ، رغم وجود كنائس كثيرة منتشرة فى مواضع كثيرة(٩٤)] .

+ الأسقفية واحدة ، تتجمع أجزاؤها معاً خلال الأساقفة (الكثيرين) .

الكنيسة واحدة تمتد بثمارها المتزايدة المنتشرة بين الجمهور كأشعة الشمس الكثيرة مع أن النور واحد ، وكأغصان الشجرة الكثيرة لكن الجذر واحد ...

هكذا غطست الكنيسة فى نور الرب لذا ترسل أشعتها على العالم لكن النور واحد يبلغ كل موضع ، ووحدة الجسد لا تُنتزع منها .

الشهيد كبريانوس(٩٥)

+ ما أعظم سلطان قيود بولس كما يظهر هنا ، فإنها أمجد من المعجزات . فإنه ليس عبثاً يتحدث عنها – كما يبدو – ولا بدون هدف ، وإنما أراد أن يتلامس معهم خلالها فوق كل شيء . فماذا يقول ؟ « **فأطلب إليكم أنا الأسير فى الرب أن تسلكوا كما يحق للدعوة التى دعيتم بها** » ع ١ . كيف يكون هذا ؟ « **بكل تواضع ووداعة وبطول أناة محتملين بعضكم بعضاً فى المحبة** » ع ٢ .

لم يكن مكرماً لمجرد كونه أسيراً ، وإنما لأنه كان هكذا من أجل المسيح ! لذا يقول : « **فى الرب** » ، أى أنه أسير لأجل المسيح . ليس شيء ما يعادل هذا !

الآن تجتذبنى القيود جداً فتبعدنى عن الحديث فى الموضوع ، وتدفعنى للخلف (أى للعودة إلى الحديث عنها من جديد) ، فإننى لا أستطيع مقاومة الحديث عنها . إننى أنجذب إليها تلقائياً ، نعم وبكل قلبى ، ليكون نصيبى الدائم هو الإسهاب فى الحديث عن قيود بولس ...

+ الآن لا تملوا ، فإننى أريد أن أقدم إجابة لتساؤل يثيره كثيرون ، عندما يقولون : إن كانت الضيقات ممجّدة ، فلماذا قال بولس نفسه فى دفاعه أمام أغريباس : « كنت أصلى إلى الله انه بقليل وبكثير ليس أنت فقط بل أيضا جميع الذين يسمعوننى اليوم يصيرون هكذا كما أنا ما خلا هذه القيود » أع ٢٦ : ٢٩ ؟

حاشا أن يكون قد نطق بهذا للتحقير من شأن القيود ، لا ، فإنه لو كان الأمر هكذا لما كان يفتخر بالقيود والسجون والضيقات الأخرى ، عندما قال فى موضع آخر : « فبكل سرور أفتخر بالحرى فى ضعفاتى » ٢ كو ١٢ : ٩ . فماذا هو الأمر (بالنسبة لما قاله أمام أغريباس) ؟ ... لم يكن من

يتحدث أمامهم قادرين على السماع عن جمال هذه القيود وبهائها وبركتها ، لذا أضاف : « ما خلا هذه القيود » .

عندما كتب إلى العبرانيين لم يقل هذا ، بل حثهم أن يكونوا « كمقيدين » (عب ١٣ : ٣) مع المقيدين ...

قدير هو سلطان قيود بولس ! ...

إنه لمنظر جميل مشبع أن ترى بولس مقيداً وهو خارج من السجن ، كما تنظره مقيداً وهو داخل السجن ... **فإن كان القديسون فى كل الأوقات يحملون منظراً مجيداً ، إذ هم مملؤون نعمة غنية ، فإنهم يكونون هكذا بالأكثر عندما يتعرضون لمخاطر من أجل المسيح ، عندما يصيرون مسجونين** . وكما أن الجندى الشجاع يمثل منظراً مبهجاً فى كل الأوقات وذلك من تلقاء نفسه لكل من يتطلع إليه خاصة عندما يقف فى الصفوف بجانب الملك ، هكذا تأملوا بولس بأية عظمة يكون عندما ترونه يعلّم وهو فى قيوده !

ألعلى أشير إلى فكرة عابرة خطرت ببالى حالاً ؟ ! فإن الطوباوى بابيلاس الشهيد قُيّد تماماً كما قيد يوحنا (المعمدان) ، لأنه وبّخ ملكاً على عصيانه . وعند موته أوصى هذا الرجل أن تبقى القيود تلازم جسده ، فيُدفن جثمانه مقيداً . وإلى اليوم لا تزال قيوده مختلطة برفاته ، هكذا كانت محبته للقيود التى قيّد بها من أجل المسيح . وكما يقول النبى عن يوسف : « فى الحديد دخلت نفسه » مز ١٠٥ : ١٨ . حتى النساء أيضا قُيِّدن قبل الآن بهذه القيود .

+ على أى الأحوال ، نحن لسنا فى قيود ، ولست أوصيكم بها مادام الوقت ليس وقت قيود .

قيّد قلبك وفكرك لا يديك ! فإنه توجد قيود أخرى ؛ من لا يقيد بالواحدة (أى الإلتزام الروحى) فسيُقيد بالأخرى . إسمع ما يقوله المسيح : « إربطوا يديه ورجليه » متى ٢٢ : ١٣ . الله لا يسمح لنا بهذه القيود !

القديس يوحنا الذهبى الفم(٩٦)

+ **يقول : « أطلب اليكم ، أنا الأسير فى الرب ، أن تسلكوا كما يحق للدعوة التى دعيتم بها » ع ١ .**

لكن ما هى هذه الدعوة ؟ يُقال : لقد دُعيتم جسده . صار لكم المسيح رأساً لكم ، ومع أنكم كنتم أعداء ، وارتكبتم شروراً بلا حصر ، غير انه أقامكم معه ، وأجلسكم معه (أف ٢ : ٦) . انها دعوة عليا ، دعوة لإمتيازات سامية ، لا بدعوتنا لترك حالتنا السابقة فحسب وإنما بتمتعنا بإمتيازات كهذه ..

لكن كيف يمكننا أن نسلك فيها ؟ **« بكل تواضع » ع ٢ . هذا هو أساس كل فضيلة . إن كنت متضعاً وتأملت ما أنت عليه ، وكيف خلصت ، فإن هذه التأملات تدفعك لكل فضيلة . فإنك لا تنتفخ بالقيود ولا بهذه الإمتيازات التى أشرت إليها ، وإنما تتضع لأنك تعرف أن هذه جميعها إنما هى من قبيل النعمة .**

الإنسان المتواضع قادر أن يكون عبداً كريماً وشاكراً فى نفس الوقت . فإنه : « أى شىء لك لم تأخذه ؟ ! » ١ كو ٤ : ٧ . إسمع أيضاً قوله : « أنا تعبت أكثر منهم جميعهم ، ولكن لا أنا بل نعمة الله التى معى » ١ كو ١٥ : ١٠ .

يقول « بكل تواضع » ، ليس فقط بالأقوال ولا بالأفعال وإنما بالإحتمال حتى فى نغمة الصوت . لا تكن متواضعاً مع شخص وخشناً مع آخر ، بل كن متضعاً مع جميع البشر ، سواء كانوا أصدقاء أم أعداء ، عظماء أم محتقرين ؛ هذا هو الإتضاع .

كن متواضعاً حتى فى أعمالك الصالحة . إسمع ما يقوله المسيح : « طوبى للمساكين بالروح » مت ٥ : ٣ ، وقد وضع هذا فى بداية (التطويبات) .

القديس يوحنا الذهبى الفم[٩٧]

هكذا إذ دُعينا جسد المسيح الواحد ، فإننا لا نستطيع أن ننعم بوحدانية

الروح ، ونثابر عليها بدون الإتضاع الحقيقى ، الذى هو أساس كل فضيلة ، وبداية كل تطويب .

سلوكنا بالحق كما يليق بدعوة المسيح لنا يلزمنا أن ننعم « **بكل تواضع** » ، فإن كان كلمة الله بإتضاعه أخلى ذاته ، وصار كواحدٍ منا ، لكى يضمنا إليه ويثبتنا فيه كجسد للرأس الواحد ، هكذا إذ يكون لنا فكره ونحمل إتضاعه عاملاً فينا ، نحمل وحدانية الروح مع بعضنا البعض فيه . بمعنى آخر ، بالإتضاع نزل إلينا الكلمة الإلهى ليهبنا الوحدة فيه ، وحدتنا مع الآب بروحه القدوس ، ووحدتنا مع بعضنا البعض فيه .

إذ نسلك بكل تواضع فى الرب نحمل وداعة تجاه إخوتنا محتملين بعضنا بعضاً فى المحبة كأساس حتّى لحفظ وحدانية الروح . يقول الرسول : « **بكل تواضع ووداعة وبطول أناة ، محتملين بعضكم بعضاً فى المحبة ، مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام** » ع ٢ ، ٣ .

+ إن كنت لا تحتمل أخاك العبد رفيقك فكيف يحتملك السيد ؟ حيث توجد المحبة يمكن إحتمال كل شيء !

+ « **مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام** » ع ٣ .

إربط يديك بالإعتدال . مرة أخرى نرى هذا الإسم الحسن « **رباط (قيود)** » . لقد تركنا الحديث عن القيود ، وها هو يعود ثانية من تلقاء ذاته .

كانت القيود السابقة (الخاصة بأسر الرسول) حسنة ، وهذه القيود أيضاً حسنة ، تلك كانت ثمار هذه (أى إحتمال الآلام هو ثمرة لرباط المحبة) .

إربط نفسك بأخيك ؛ فالذين يرتبطون معاً بالمحبة يستطيعون أن يحتملوا كل شيء بسهولة . إربط نفسك بأخيك ، وهو بك ؛ أنت سيد لنفسك ولأخيك ؛ فمن أشتاق أن أقيمه صديقاً لى أستطيع باللطف أن أحقق هذا معه .

بقوله « **مجتهدين** » يظهر أن الأمر لا يتحقق بسهولة ، وليس فى قدرة كل أحد .

« **مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح** » ؛ ما هى وحدانية الروح هذه ؟ فى الجسد البشرى توجد روح تجمع الأعضاء معاً رغم تنوّعها . هكذا الحال هنا ، فقد أُعطى الروح (القدس) لهذا الفرض ، ليوّحد الذين تفرّقوا بسبب الجنس أو لأسباب أخرى ، فيتحد الكبير والصغير ، الغنى والفقير ، الطفل والشاب ، المرأة والرجل ، وتصير كل نفس معاً ، متحدين أكثر من كونهم جسداً واحداً . هذه العلاقة الروحية أسمى من العلاقة الطبيعية ؛ فكمال الوحدة هنا أكمل وأشدّ ، لأن إتحاد النفس أكثر كمالاً بقدر ما أن النفس بسيطة ومتسقة .

كيف يمكن الإحتفاظ بهذه الوحدانية ؟ « **برباط السلام** » . فإنه لا يمكن أن يكون لها وجود متى وجدت العداوة والخصام . يقول (الرسول) : « فإنه إذ فيكم حسد وخصام وإنشقاق ألستم جسديين وتسلكون بحسب البشر ؟ ! » ١ كو ٣ : ٣ . فكما أن النار متى وجدت قطعاً جافة من الخشب تلتهب معاً ليصعد منها لسان واحد من اللهب ، أما متى كانت مبللة فلا تعمل فيها ولا توحّد بينها ، هكذا هنا أيضا ، فإنه ليس شيء من الطبيعة الباردة يقدر أن يجلب هذه الوحدانية ، أما إن كانت الطبيعة حارة فانه فى الغالب يستطيع ذلك . هكذا حرارة المحبة تنشيء الوحدانية ، وذلك برباط السلام ...

كأنه بنفس الطريقة يود أن يقول إن أردت أن تلتصق بآخر ، لا تستطيع أن تتمم ذلك إلا بأن تلصقه هو أيضاً بك . إن أردت أن تجعل الرباط مزدوجاً يحتاج هو أيضاً أن يلتصق بك . هكذا يريدنا أن نرتبط مع بعضنا البعض ، فلا نكون فقط فى سلام ولا أن نحب بعضنا بعضاً بل وأن يكون الكل نفساً واحدة .

مجيد هو هذا الرباط ، به ينبغى أن يرتبط كل أحد بالآخر كما بالله .

هذا الرباط لا يسبب « إزرقاقاً فى الجلد » ، ولا يشّل حركة اليد التى يربطها بل بالحرى يتركها حرة ، يسهل لها الحركة ، ويهبها شجاعة للعمل أكثر مما تمارسه الأيدى الحرة . إذا رُبط القوى بالضعيف أعانه ولا يدعه يهلك ، وإذا إرتبط بشخص متهاون أنهضه وأحياه . لقد قيل : « إذا عضد أخ أخاه صارا مدينة حصينة » أم ١٨ : ١٩ (الترجمة السبعينية) .

هذه القيود (رباط السلام) لا يزعزعها بُعد المسافة ، ولا السماء ، ولا الأرض ، ولا الموت ، ولا شيء آخر ، بل هى أقوى من كل شيء .

القديس يوحنا الذهبى الفم[٩٨]

+ لقد برهن انه لا وحدة ولا سلام يمكن أن يُحفظ مالم يطلب الإخوة بعضهم البعض خلال الإحتمال المشترك ، ويحفظوا رباط الإتفاق خلال المشاركة فى الصبر .

الشهيد كبريانوس[٩٩]

+ أتظن أنك تستطيع أن تثبت وتحيا إن إنسحبت وبنيت لنفسك بيوتاً أخرى ومسكناً مختلفاً (أى تركت رباط السلام والوحدة) ، بينما قيل لراحاب التى كانت رمزاً للكنيسة : « إجمعى إليك فى البيت أباكِ وأمك وإخوتك وسائر بيت أبيكِ ، فيكون أن كل من يخرج من أبواب بيتك إلى خارج فدمه على رأسه » يش ٢ : ١٩ ؟

الشهيد كبريانوس[١٠٠]

٢ ـــ وحدة الإيمان وتنوع المواهب

الرسالة إلى أفسس هى رسالة الوحدة المسيحية ، إذ يقدم لنا الرسول بولس سبعة أشكال للوحدة تتفاعل معاً لتعيش الكنيسة بالإيمان الواحد :

أولا : جسد واحد (ع ٤) ، ربما يقصد هنا وحدة الجماعة المقدسة من جهة التنظيم الكنسى ، فإن كانت الوحدة فى حقيقتها روحاً داخلياً لكن لا إنفصال بين الروح والجسد ، وبين الحياة الداخلية والتدبير الظاهر .

وربما بقوله « جسد واحد » يشير إلى الوحدة الكنسية النابعة عن الوحدة السرائرية القدسية[١٠١] Sacramental unity ، خاصة خلال سرّ الأفخارستيا . فالتنظيم الخارجى للكنيسة ، مهما بلغ شأنه ، يُعتبر ثانوياً بالنسبة لحياتها القدسية السرائرية . الروح القدس يعمل فى الكنيسة خلال الأسرار المقدسة من أجل إتحاد كل إنسان فى الله ... والكنيسة منذ قيامها تتطلع إلى المذبح لتجد جسد الرب الذبيح الواحد ، فتجد حياتها وعلة وجودها ، خلاله تنعم بالوحدة مع المسيح الواحد ، وقيامها جسداً واحداً حياً له . هذا ما شهدت به الليتورجيات الأولى ؛ نقدم على سبيل المثال :

+ كما أن الخبز المكسور ،
كان مرة مبعثراً على التلال ،
وقد جُمع ليصير (خبزاً) واحداً ،
كذلك إجمع كنيستك من أقاصى الأرض ، فى ملكوتك .

(ليتورجيا) الديداكية

+ كما أن عناصر هذا الخبز ، كانت فيما مضى ،
قد بُعثرت مرة على الجبال ،
وقد جُمعت معاً وصارت واحداً ،
كذلك إبن كنيستك المقدسة من كل أمة ،
ومدينة وبلدة وقرية وبيت ،
واجعل منها كنيسة واحدة حية جامعة .

ليتورجيا الأسقف سرابيون

+ الآن ، ما هو هذا الجسد الواحد ؟ إنه المؤمنون فى العالم كله ، الكائنون الآن ، والذين كانوا ، والذين سيكونون . مرة أخرى ، الذين أرضوا الله قبل مجىء المسيح هم « جسد واحد » . كيف يكون هذا ؟ لأنهم هم أيضا عرفوا المسيح . من أين يظهر هذا ؟ يقول : « أبوكم إبراهيم تهلل بأن يرى يومى ، فرأى وفرح » يو ٨ : ٥٦ . كما قال : « لو كنتم تصدقون موسى لكنتم

تصدقوننى ، لانه هو كتب عنى » يو ٥ : ٤٦ . لم يكن ممكناً للأنبياء أن يكتبوا أيضا عن « الواحد » لو أنهم لم يعرفوا ما قالوه عنه ، لكنهم عرفوه وعبدوه ، هكذا كانوا هم أيضاً جسداً واحداً .

ليس الجسد منفصلاً عن الروح ، وإلا ما كان جسداً ، هكذا جرت العادة بيننا أن ندعو الأشياء المتحدة معاً والمتجانسة تماماً والمتلاصقة انها جسد واحد . وأيضا من جهة الوحدانية نقول إن ما يخضع لرأس واحد هو جسد ؛ وحيث يوجد رأس واحد يوجد جسد واحد .

الجسد يتكون من أعضاء ، مكرمة وغير مكرمة . ليس للعضو الأعظم أن يضاد المحتقر ، ولا الأخير أن يحسد الأول . حقاً لا يساهم كل عضو بنفس المقدار كغيره ، لكن كل واحد يقدم ما تدعو إليه الحاجة . وإذ خُلقت جميع الأعضاء لأغراض ضرورية ومتنوعة ، لذا يُحسب الكل فى كرامة متساوية ...

يوجد فى الكنيسة أعداد كبيرة ، منهم من يمثلون الرأس ، مرتفعون فى الأعالى ، ومنهم من يشبهون العينين اللتين فى الرأس ، يتطلعون نحو السمويات ، يقفون بعيداً عن الأرض ، ليست لهم خلطة بها ، ومنهم من يمثل الأرجل يطأون على الأرض ، الأرجل السليمة ، لأن السير على الأرض لا يعتبر جريمة إنما الجرى نحو الشر هو كذلك . يقول النبى : « أرجلهم إلى الشر تجرى » إش ٥٩ : ٧ .

ليت الرأس لا تتشامخ على الرجلين ، ولا تتطلع الرجلين بالشر نحو الرأس ، وإلا تشوّه الجمال الخاص بكل عضو وتعطّل كمال عمله .

طبيعى أن من ينصب الشراك لقريبه إنما ينصبها لنفسه أولاً ؛ وإن رفضت الرجلان أن تحملا الرأس بعيداً عن قصدها ، فإنهما فى نفس الوقت تؤذيان نفسيهما بتكاسلهما وبعدم الحركة . أيضاً إذا رفضت الرأس الإهتمام بالرجلين أصابها الأذى هى أولاً ...

القديس يوحنا الذهبى الفم[١٠٢]

ثانيا : روح واحد (ع ٤) : الوحدة فى جوهرها ليست تنظيمات خارجية ، وإنما حياة داخلية يقودها روح الله القدوس الواحد ، ليهب الكل روحاً واحداً ، وحياة داخلية متناسقة ومتناغمة معاً .

+ بالروح القدس ، الذى يجمع شعب الله فى واحد ، يُطرد الروح الشرير المنقسم على ذاته .

+ من إختصاص الروح القدس الشركة التى بها صرنا جسداً واحداً لإبن الله الواحد الوحيد ، إذ مكتوب : « فإن كان وعظ ما فى المسيح ، إن كانت تسلية ما للمحبة ، إن كانت شركة ما فى الروح » فى ٢ : ١ .

القديس أغسطينوس(١٠٣)

+ عندما نزل العّلى وبلبل الألسنة قسّم الأمم ،

لكنه عندما وزّع ألسنة النار (الروح القدس) ، دعى الكل إلى الوحدة . لهذا بإتفاق واحد ، نمجد الروح كلىّ القداسة .

لحن عيد البنطقسطى Kontakon

(بالكنيسة الأرثوذكسية اليونانية)

+ يقول الله : « فى بيت واحد يؤكل ، لا تُخرج من اللحم من البيت إلى خارج » خر ١٢ : ٤٦ .

جسد المسيح ، جسد الرب المقدس لا يمكن أن يُحمل خارجاً ، لا يوجد بيت للمؤمنين غير كنيسة واحدة . هذا البيت ، هذا المأوى لوحدة الروح القدس أُشير إليه وأُعلن عنه حين قال : « الله مسكن المتوحدين (ذوى الفكر الواحد) فى بيته » مز ٦٧ : ٦ . ففى بيت الله ، فى كنيسة المسيح ، يسكن ذوو الفكر الواحد ، يحتفظون بإتفاق معاً وبساطة .

الشهيد كبريانوس(١٠٤)

+ إذ تتقبل الكنيسة هذه الكرازة وهذا الإيمان ، فإنها وإن كانت مبعثرة فى العالم

كله لكنها تكون كمن تقطن فى بيت واحد ، بدقة تحرص على ذلك .

إنها تؤمن بهذه التعاليم كما لو كان لها نفس واحدة ، ولها ذات القلب الواحد ؛ وهى تعلن هذه التعاليم وتعلمها وتسلمها بتناسق كامل كما لو كان لها فم واحد .

القديس إيريناؤس[١٠٥]

+ الحب الذى يطلبه بولس ليس حباً عاماً ، إنما الحب الذى يثبتنا فى بعضنا البعض ، ويجعلنا ملتحمين معاً بغير إنشقاق ، فيقيم وحدة كاملة كما بين عضو وعضو . مثل هذا الحب ينتج ثماراً عظيمة ومجيدة ، لذا قال : « **جسد واحد** » ... وقد أضاف بطريقة جميلة : « **روح واحدٌ** » ، مُظْهِرٌ أن يكون الجسد الواحد أيضا روحاً واحداً . إذ يمكن أن يوجد جسد واحد ولا يكون الروح واحداً ، كأن يصادق إنسان هراطقة .

بهذا التعبير أراد أن يكشف عن تظاهرهم بالإتفاق ، كأنه يقول : « لقد قبلتم روحاً واحداً ، وشربتم من ينبوع واحد ، لذا يجب ألا تنقسموا فى الفكر » . ولعله أراد بالروح هنا غيرتهم .

القديس يوحنا الذهبى الفم[١٠٦]

ثالثا : رجاء واحد (ع ٤) ، عمل الروح القدس قائد الكنيسة الداخلى بعث روح الرجاء الواحد نحو الميراث السماوى ، والتمتع بشركة المجد الأبدى . هذا الرجاء الواحد الذى دعينا إليه ينزع عن الإنسان رغبته فى الكرامات الزمنية وحب السلطة ، فيطلب الكل ما هو غير منظور ، ويتسابق الكل فى إحتلال المركز الأخير الذى إحتله الرب حين صار عبداً وأطاع حتى الموت موت الصليب .

+ لقد أضاف : « **كما دعيتم أيضاً فى رجاء دعوتكم الواحد** » ع ٤ ، بمعنى أن الله دعى الكل بذات الشروط . لا يمنح واحداً شيئاً غير الآخر ، إنما يعطى الخلود للجميع مجاناً ، يهب الكل الحياة الأبدية ، والمجد الخالد ، والأخوّة ، والميراث .

إنه رأس الجميع ، يقيم الجميع معه ويجلسهم معه (اف ٢ : ٦) ...

هل يمكن القول بأنك دعيت بواسطة إله أعظم وغيرك دُعى بواسطة إله أقل ؟ ! هل أنت خلصت بالإيمان وغيرك خلص بالأعمال (الناموسية) ؟ ! هل نلت أنت المغفرة فى المعمودية وغيرك لم ينل ؟ ! ...

القديس يوحنا الذهبى الفم[١٠٧]

رابعاً : رب واحد (ع ٥)

+ يود لنا إتحاداً مع بعضنا البعض على نفس المثال الذى لوحدة الثالوث القدوس ... هذه الوحدة هى أكمل إتحاد يلزم أن تنعكس على وحدة المؤمنين .

القديس كيرلس الكبير[١٠٨]

+ [عمل الرب الواحد أن يضمنا معاً فيه لنصير فيه كاملين وسمائيين بروح الوحدة]

إنه يطلب الكل ، يرغب أن يخلص الكل ، يود أن يجعل الكل أبناء الله ، ويدعو كل القديسين فى رجل واحد كامل .

يوجد إبن الله الواحد ، الذى به إذ نتسلم التجديد خلال الروح القدس يود أن يأتى الكل فى إنسان واحد كامل سماوى .

القديس هيبوليتس الرومانى[١٠٩]

خامساً : إيمان واحد (ع ٥)

عمل الكنيسة الأول هو تقديم الإيمان الحق والثابت للعالم ، لذا يدعوها **القديس كبريانوس** : « بيت الإيمان[١١٠] » .

هذا الإيمان تقبلته الكنيسة كوديعة تحفظه عبر الأجيال دون إنحراف ، وكما يقول **القديس إيريناؤس** : [الكنيسة الأولى الجامعة هى وحدها تعمل فى وحدة الإيمان الواحد[١١١]] .

عبّر **العلامة أوريجانوس** فى إحدى عظاته عن الفصح عن الإيمان الواحد الذى تعيشه الكنيسة الواحدة لتخلص معلقاً على ممارسة الفصح لكل عائلة فى بيت واحد (خر ١٢ : ٤٦) ، قائلاً : [هذا يعنى أنه بيت واحد له الخلاص فى المسيح ، أعنى الكنيسة التى فى العالم ، هذه التى كانت متغربة عن الله والآن تتمتع بقرب فريد لله ، إذ تقبلت رسل الرب يسوع كما تقبلت راحاب قديماً فى بيتها جاسوسىّ يشوع ، فتمتعت وحدها بالخلاص وسط خراب أريحا(١١٢)] .

سادساً : معمودية واحدة (ع ٥)

فى سرّ المعمودية يتقبل المؤمنون ــ من أمم كثيرة ــ العضوية فى جسد المسيح الواحد ، ويشاركونه دفنه ، وينعمون بحياته المقامة التى تهيئهم ليصيروا العروس السماوية الواحدة للعريس الواحد .

+ إذ ليس لنا نحن والهراطقة إله واحد ، ولا رب واحد ، ولا كنيسة واحدة ، ولا إيمان واحد ، ولا روح واحد ، ولا جسد واحد ، فمن الواضح انه لا يمكن أن تكون المعمودية مشتركة بيننا وبين الهراطقة ، إذ ليس بيننا وبينهم شيء مشترك .

القديس كبريانوس(١١٣)

سابعاً : إله وأب واحد (ع ٦) ترتبط الكنيسة الجامعة بالراعى الواحد والآب بالرغم من وجود قيادات كنسية كثيرة ، فيبقى أبوها سرّ وحدتها ، إذ يقول الرسول : « **آب واحد للكل الذى على الكل وبالكل وفى كلكم** » ع ٦ .

أبوة الله نحو المؤمنين عجيبة ، تضمنا معاً تحت حبه وعنايته فنَظْهر أبناء لأب واحد « على الكل » ، يدير كل حياتنا خلال أبوته . أما قوله « بالكل » ، فإنه كأب محب يعمل ليس فقط كمدبر « على الكل » وإنما بالكل ، أى بنا ، ومن خلالنا كأعضاء فى جسد إبنه المحبوب . وبقوله « فى كلكم » يؤكد سكناه فينا . بمعنى آخر أبوته تظهر فى جوانب ثلاثة متكاملة :

ا . رئاسته الابوية (على الكل) .
ب . عمله بنا خلال تقديره لنا كأبناء له (بالكل) .
جـ . سكناه فى داخلنا (فى كلكم) .

وقد لاحظ بعض الدارسين أن عبارات الرسول فى هذا الأصحاح عن الوحدة شملت ثلاثة ثلاثيات :

ا . من جهة الكنيسة : جسد واحد ، روح واحد ، رجاء الدعوة الواحد (ع ٤) .
ب . من جهة الإيمان : رب واحد ، إيمان واحد ، معمودية واحدة (ع٥) .
جـ . من جهة أبوة الله لنا : على الكل ، بالكل ، فى الكل (ع٦) .

إذ تحدث الرسول بولس عن سرّ الوحدة الكنسية التى تقوم خلال وحدة الجسد والروح والرجاء والإيمان والمعمودية ، بإتحادنا فى الله الواحد وتمتعنا بأبوته الواحدة للكل ... الآن يؤكد الرسول أن الوحدة لا تعنى ذوبان الأشخاص وتطابق الكل ليكون الجميع صورة لشكل واحد ، وإنما هى وحدة متناغمة ومنسجمة خلال **المواهب المتنوعة** . ففى أكثر من موضع يؤكد الرسول بولس تنوّع المواهب كعلاقة على حيوية الكنيسة (رو ١٢ : ٣ ــ ٨ ؛ ١ كو ١٢ : ١ ــ ٣١) . هذه المواهب تُعطى للأعضاء كهبة إلهية حسبما يرى الله بحكمته وأبوته . كأب حكيم يهب كل أحد بما يناسبه ، وليس عن محاباة ؛ إنه يعطى بفيض حسب كرمه الإلهى ، إذ يقول الرسول : « **ولكن لكل واحد منا أعطيت النعمة حسب قياس هبة المسيح** » ع ٧ .

يعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** قائلا :

[لاحظ انه لم يقل « حسب إيمان كل أحد » ، لئلا يسقط الذين ليس لهم معارف كثيرة فى اليأس ، لكنه ماذا قال ؟ « **حسب قياس هبة المسيح** » . يقول أن النقطة الرئيسية والأساسية هى أن الكل يشترك معاً فى المعمودية والخلاص بالإيمان وأخذ الله أباً لنا والشركة فى الروح الواحد . فإن كان لهذا الإنسان أو ذاك موهبة روحية سامية لا تحزن قط ، فانه يُطالب بمتاعب أكثر . فالذى أخذ خمس وزنات كان مُطالباً بخمس ، أما الذى نال وزنتين فأحضر فقط

وزنتين (أخريتين) ومع هذا نال مكافأة لا تقل عن الأول . لذلك فإن الرسول هنا أيضاً يشجع السامع على نفس الأساس ، مظهراً أن المواهب تُعطى لا لتكريم شخص عن آخر ، وإنما لأجل العمل فى الكنيسة ، كما يقول بعد ذلك : « **لأجل تكميل القديسين ، لعمل الخدمة ، لبنيان جسد المسيح** » ع ١٢ . لذلك يقول حتى عن نفسه : « ويل لى أن كنت لا أبشر » ١ كو ٩ : ١٦ . كمثال : نال هو موهبة الرسولية ، لذلك الويل له ـــ لا لأنه تقبلها ـــ (وإنما ان كان يهمل فيها) ، أما أنت فلا تسقط تحت هذا الخطر .

« **حسب قياس** » ع ٧ . ماذا يعنى « حسب قياس » ؟

إنها تعنى « ليس حسب إستحقاقنا » ، وإلا ما كان أحد قد نال ما ناله ، وإنما حسب العطية المجانية التى نلناها .

إذن لماذا ينال أحد أكثر مما ينال آخر ؟

يود أن يقول بانه ليس شيء يسبب ذلك ، وإنما الأمر هو مجرد تنّوع ، لكى يساهم كل أحد فى « البناء » . بهذا يُظهر أن الانسان لا ينال أكثر وغيره أقل حسب إستحقاقه الذاتى ، وإنما من أجل (نفع) الآخرين ، حسب قياس الله ، إذ يقول فى موضع آخر : « وأما الآن فقد وضع الله الأعضاء كل واحد منها فى الجسد كما أراد » ١ كو ١٢ : ١٨ .

القديس يوحنا الذهبى الفم(١٢٠)

إذن فالعطية إلهية تُعطى حسب حكمة الله الفائقة أو حسب قياس المسيح كما يقول الرسول ، لكن دون شك إضرامنا للمواهب المجانية وأمانتنا تفتح باباً لنوال عطايا مجانية أكثر ، وكما يقول **القديس جيروم** : [هذا لا يعنى أن قياس المسيح يتغير ، لكن قدرما نستطيع أن نتقبل يسكب نعمته فينا(١٢١)] .

على أى الأحوال ، ليس المجال للإفتخار ولا لليأس ، فإن مواهبنا هى عطية الله المجانية التى يهبها لنا لا عن إستحقاقات ذاتية ، وإنما لأجل العمل معاً لبناء الكنيسة الروحى . هو الذى نزل إلينا وقدم محبته العملية على الصليب وصعد

ليوزع مواهبه المجانية حسب غنى حكمته . يقول الرسول : « **لذلك يقول : إذ صعد إلى العلاء سبى سبياً وأعطى الناس عطايا** » ع ٨ .

+ « **سبى سبياً وأعطى الناس عطايا** » ع ٨

عندما إرتفع على الصليب المقدس سمّر الخطية التى إنتزعتنا من الفردوس على الصليب ، وسبى سبياً كما هو مكتوب .

ماذا سبى سبياً ؟ نتيجة لسقوط آدم سبانا عدونا وأمسك بنا وجعلنا تحت سلطانه . عندئذ صارت نفوس البشر بعد تركها الجسد تذهب إلى الجحيم ، إذ أُغلق الفردوس أمامها . لذلك إذ أرتفع المسيح على الصليب المقدس واهب الحياة إختطفنا بدمه من السبى الذى أستعبدنا فيه خلال سقوطنا . بمعنى آخر أمسك بنا من يدّ العدو ، وجعلنا مسبيين له بغلبته وطرده ذاك الذى سبق فسبانا . هذا هو السبب الذى لأجله يُقال : « سبى سبياً » .

الأب دوروثيؤس من غزة[١٢٢]

+ « **وأما انه صعد فما هو إلا انه نزل أيضاً (أولا) إلى أقسام الأرض السفلى ، الذى نزل هو الذى صعد أيضاً فوق جميع السموات ، لكى يملأ الكل** » ع ٩ ، ١٠ .

عندما تسمع هذه الكلمات لا تفكر فى مجرد تحرك من مكان إلى مكان ، وإنما ما قد قرره بولس فى الرسالة إلى أهل فيلبى (٢ : ٥ — ٩) يركز عليه هنا (أى الإخلاء حتى الموت موت الصليب وارتفاعه ليخضع الكل له) ...

لقد أطاع حتى الموت ... فبقوله « أقسام الأرض السفلى » عنى قبوله الموت وذلك حسب مفاهيم البشر . فقد قال يعقوب : « تنزلون شيبتى بحزن إلى الهاوية » تك ٤٢ : ٣٨ ، وجاء فى المزمور : « أشبه الهابطين فى الجب » مز ١٤٣ : ٧ ، أى أشبه الموتى .

لماذا نزل إلى هذه المنطقة ؟ وعن أى سبى يتحدث ؟ إنه يتحدث عن الشيطان ، إذ سبى الطاغية ، أى الشيطان أو الموت واللعنة والخطية ...

يقول أنه نزل إلى أقسام الأرض السفلى فلا يكون بعده أحد ، وصعد الى فوق الكل حيث لا يكون بعده أحد . هكذا يظهر طاقته الإلهية وسمو سلطانه ! ...

+ نزوله إلى أقسام الأرض السفلى لم يضره ، ولا كان ذلك عائقاً له عن صيرورته أعلى من السموات . هكذا كلما إتضع الإنسان بالأكثر يتمجد !

ذلك كما فى الماء كلما ضغط الإنسان على الماء إلى إسفل إرتفع الى أعلى .

القديس يوحنا الذهبى الفم(١٢٣)

إذ أوضح الرسول الثمن الذى دفعه السيد المسيح ليقدم لنا هبات العهد الجديد أو المواهب المتنوعة ، بنزوله إلى أقصى أقسام الأرض السفلى ــ أى الموت ــ لكى يرتفع فيرفعنا معه إلى السموات عينها ، الآن يعلن أن عطايا الله لأعضاء كنيسته ليست قاصرة على أشخاص دون سواهم بل يفيض بالعطاء على الكل ، وإن إختلفت العطية ؛ ليس من عضو بلا موهبة أو عطية وإلا فقد وجوده كعضو وصار يمثل ثقلاً على الجسد عوض ممارسته العضوية ، إذ يقول : **« لكي يملأ الكل ، وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلاً ، والبعض أنبياء ، والبعض مبشرين ، والبعض رعاة ومعلمين » ع ١٠ ، ١١ .**

إنه « يملأ الكل » ... يملأهم هبات وعطايا ليمارسوا عملهم بروحه القدوس ، كأعضاء حقيقيين فى جسد المسيح الدائم العمل والحركة ، الجسد الذى لن يتوقف عن الحياة ولا يُصاب بشيخوخة أو يفقد سمة العمل الدائم .

+ « فوضع الله أناساً فى الكنيسة ، أولا رسلاً ، ثانيا أنبياء ، ثالثاً معلمين » ١ كو ١٢ : ٢٨ ، وكل وسائل أعمال الروح الأخرى . فمن لا يشترك فى عمل الكنيسة لا يشارك هذا الروح ... إذ حيث توجد الكنيسة يوجد روح الله ، وحيث يوجد روح الله توجد الكنيسة وكل نوع من النعمة .

القديس أيريناؤس(١٢٤)

+ أنت نفسك صرت كاهناً فى المعمودية ...

صرت كاهناً من جهة أنك تقدم نفسك تقدمة لله .

القديس يوحنا الذهبى الفم(١٢٥)

+ لقد أكمل الحديث مظهراً عناية الله وحكمته ، لأن من قام بأعمال كهذه ، وله هذه القدرة ، ذاك الذى لم يرفض أن ينزل حتى إلى أقسام الأرض السفلى لأجلنا لا يمكن أن يقوم بتوزيع المواهب الروحية بلا هدف .

يخبرنا فى موضع آخر أن هذا من عمل الروح ، قائلاً : « **أقامكم الروح** القدس أساقفة لترعوا كنيسة الله » . هنا (أف ٤ : ١١) ينسب العمل للإبن ، وفى موضع آخر لله (الآب) (١ كو ٣ : ٦ ـــ ٨) ...

يقول : « **لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح** » ع ١٢ . هل تدركوا كرامة هذه الوظيفة ؟ كل عمل هو للبنيان، الكلّ يكمّل ، الكلّ يخدم .

القديس يوحنا الذهبى الفم(١٢٦)

٣ ـــ الوحدة وبنيان الكنيسة

إذ تحدث الرسول بولس عن الوحدة الكنسية التى تدعّم أساساً على وحدة الإيمان (ع ١ ـــ ٦) ، عاد ليؤكد وحدة العمل بالرغم من تنوع المواهب (ع ٧ ـــ ١١) حيث يتسلم الكل دوره فى بناء الكنيسة من يد المسيح الواحد الذى نزل حتى الموت وصعد ليفيض على كنيسته مواهبه الإلهية . الآن (ع ١٢ ـــ ١٦) يحدثنا عن وحدانية الهدف ... فإن كانت المواهب متعددة ، لكن الغاية واحدة هى : « **بنيان جسد المسيح** » ع **١٢** ، **الواحد** .

المواهب هى عطية الثالوث القدوس ، تارة ينسبها الرسول للروح القدس وأخرى للسيد المسيح ، وثالثة للآب ، لأنها هى عطية الروح القدس التى قدمت للكنيسة خلال إستحقاقات الإبن الذى قدم حياته مبذولة لأجلنا ، تُوهب بتدبير

الآب محب البشر . يقدمها الثالوث القدوس لبنيان الكنيسة كلها ، كما يقول الرسول : « **لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح** » ع ١٢ ، وفى نفس الوقت لبنيان كل عضو فيها . بمعنى آخر وحدة الهدف تمجّد الكنيسة الجامعة كما تمجد كنيسة القلب الداخلى ، تحقق النمو الروحى للجماعة مع بنيان كل إنسان روحياً لكى يبلغ الكل إلى « **قياس قامة ملء المسيح** » ع ١٣ .

أولاً : من جهة بنيان الجماعة ككل

الآن يوضح الرسول ، بشيء من الإسهاب ، ماذا يقصد ببنيان جسد المسيح ، إذ يقول : « **إلى أن ننتهى جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة إبن الله ، إلى إنسان كامل ، إلى قياس قامة ملء المسيح** » ع ١٣ .

بمعنى آخر إذ تنوعت المواهب ، إنما لكى يعمل الكل بهدف واحد بغية الوصول « **إلى واحدانية الإيمان** » . وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [بمعنى إلى أن نُظهر أن لنا جيمعنا الإيمان الواحد ، حينما نكون كلنا واحداً ، ونكون كلنامتشابهين فى معرفة الرباط المشترك . هكذا يليق بك أن تتعب عاملاً بهذا الهدف . فإن قبلت الموهبة بهذا الهدف أى بنيان الغير ، فانك لن تتوقف عن العمل إن حسدك الآخرون . لقد كرمك الله وسامك لكى تبنى غيرك . نعم بهذا الهدف كان الرسول منشغلاً ، وبذات الهدف كان النبى يتنبأ ويعمل والإنجيلى يكرز بالإنجيل والراعى والمعلم يعملان ، الكل يتعهد عملاً مشتركاً واحداً . الآن إذ نؤمن كلنا إيماناً متشابهاً توجد وحدانية ، ويتحقق « **الإنسان الكامل**(١٢٧)] .

هكذا يتناغم تنوع المواهب فى الكنيسة ـــ جسد المسيح الواحد ـــ مع وحدانية الإيمان ، إذ يعمل الكل معاً ، كل فى موهبته ، خلال عضويته الصادقة فى جسد المسيح لبنيان الجماعة المقدسة ، بهذا يدخل الكل إلى « **معرفة إبن الله** » ، « **إلى إنسان كامل** » . بمعنى أن الوحدة الكنسية القائمة على تنوع المواهب مع وحدة الهدف ووحدانية الإيمان تنطلق بالمؤمنين من حالة الطفولة

الروحية إلى النضوج الروحى ، إذ ينطلق الكل معاً من معرفة روحية إختبارية حية إلى معرفة أعمق فأعمق ، لعلهم يبلغون « **قياس قامة ملء المسيح** » .

يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [يقصد هنا بالملء المعرفة الكاملة ، فكما يقف الرجل (الإنسان الكامل) بثبات بينما يتعرض الطفل للفكر المتردد ، هكذا أيضاً بالنسبة للمؤمنين(١٢٨)] .

نحن الآن كمن هم فى حالة طفولة نامية للبلوغ إلى النضوج الكامل ، لذا يدعونا الرسول فى موضع آخر « أطفالاً » ١ كو ١٣ : ١١ ، وحينما يقارن بين ما نلناه من معرفة روحية وما نكون عليه من معرفة مقبلة يحسبنا هكذا ، قائلاً : « لأننا نعلم بعض العلم ونتنبأ بعض التنبؤ ، ولكن متى جاء الكامل فحينئذ يبطل ما هو بعض ، لما كنت طفلاً كطفل كنت أتكلم وكطفل كنت أفطن وكطفل كنت أفتكر ، ولكن لما صرت رجلاً أبطلت ما للطفل ، فإننا ننظر الآن فى مرآه فى لغز لكن حينئذ وجهاً لوجه ، الآن أعرف بعض المعرفة لكن حينئذ سأعرف كما عرفت » ١ كو ١٣ : ٩ ــ ١٢ .

هكذا ما دمنا فى جهادنا ــ نعمل معاً بهدف واحد فى وحدانية الإيمان ــ ننطلق دائماً من حالة الطفولة إلى النضوج ... لنبلغ « **قياس قامة ملء المسيح** » .

ثانيا : من جهة كل عضو

كما سبق فقلنا انه لا يمكن فصل العضو عن الجماعة ، ولا الجماعة عن العضو ، كل نمو فى حياة الجماعة هو لبنيان الأعضاء ، وكل نمو حقيقى فى حياة الأعضاء هو لبنيان الجماعة . لذلك إذ نسمع تعبير « **قياس قامة ملء المسيح** » لا نحسبه خاص بالكنيسة كجماعة فحسب ولا كأعضاء منعزلين ، إنما هو حث للجماعة ككل ولكل عضو لعله يبلغ المرتفع الشاهق .

هنا المرتفع شاهق جداً ، لأن الرسول يريدنا بإرادتنا الحرة أن نجاهد بقوة النعمة بلا إنقطاع سالكين فى هذا الطريق بلا توقف . ليتنا إذ نسمع هذا لا نيأس ،

متذكرين كلمات **الأب سيرينيوس** : [يليق بنا ألا ننسحب من جهادنا فى السهر بسبب اليأس الخطير ، لأن « ملكوت السموات يُغصب والغاصبون يختطفونه » مت ١١ : ١٢ . فلا يمكن نوال فضيلة بدون جهاد[١٢٩]] . ويحدثنا **الأب ثيوناس**[١٣٠] عن الجهاد معلناً أن الله لا يُلزمنا على صعود مرتفعات الصلاح العالية والسامية لكنه يحثنا بنصائحه وشوقنا لبلوغ الكمال بإرادتنا الحرة .

الآن بعد أن شوّقنا الرسول للإرتفاع على الجبال السماوية الشاهقة لنبلغ « **قياس قامة ملء المسيح** » حذرنا من المعوقات ، مطالباً إيانا بالجهاد بلا إنقطاع ، كأطفال صغار يحتاجون إلى النمو بغير توقف بالرغم من الصعاب التى تواجهنا ، إذ يقول : « **كى لا نكون فى ما بعد أطفالاً مضطربين ومحمولين بكل ريح تعليم بحيلة الناس بمكر إلى مكيدة الضلال ، بل صادقين فى المحبة ننمو فى كل شىء إلى ذاك الذى هو الرأس المسيح** » ع ١٤ ، ١٥ .

كأن السيد المسيح يعمل فى أناسٍ هم أطفال غير ناضجين ، يسندهم وينميهم ليقيمهم رجالاً ناضجين روحياً ، وعوض الضعف يهبهم قوة . بمعنى آخر ، يعيش كل عضو داخل الكنيسة فى حركة مستمرة بلا إنقطاع ، نامياً فى المحبة ، أى فى المسيح الذى لم يرضِ نفسه (رو ١٥ : ٣) بل أحب الكل باذلاً حياته ليقيم الكنيسة .

يقارن الرسول بولس الكنيسة بالسفينة وسط مياه هذا العالم ، فإن لم يعمل كل البحارة معاً بروح واحد يصيرون كأطفال يتعرضون لمتاعب كثيرة ، ولا يقدرون على مقاومة الرياح والأمواج فيهلكون .

يرى **القديس يوحنا الذهبى الفم** أن الرسول هنا يتحدث عن الكنيسة كبناء واحد ، إن لم يعملِ الكل معاً فيه يتعرض للهدم ويفقد الكل حياته ، إذ يعلق على هذا النص ، قائلاً :

[بقوله : « **لا نكون فى ما بعد** » يظهر أنهم كانوا هكذا فى القديم ، حاسباً نفسه أيضاً موضوع تصحيح معهم .

يود أن يقول بإنه يوجد عاملون كثيرون كى لا يهتز البناء ، فتكون الحجارة مثبتة لا محمولة (إلى هنا وهناك) . هذه هى سمة الأطفال أن يُحملوا إلى هنا وهناك فيضطربون ويهتزون ..

لقد قدم هذا التشبيه ليشير إلى الخطر العظيم الذى تتعرض له النفوس[١٣١]]

إذ كشف الرسول عن خطورة الحياة بغير وحدانية الإيمان والهدف ، مشبهاً العاملين كأطفال يلهون ، كل فى واديه ، يُحملون بريح التعاليم الباطلة ، ويسقطون تحت خداع الناس ، وينحرفون إلى الضلال ، أوضح الإلتزام بالسلوك فى طريق « الوحدانية » بإرتباط الكل بالحب معاً تحت قيادة « الرأس المسيح » الواحد ، مشبهاً الكنيسة بالجسد فتنمو الأعضاء معاً خلال إتحادها فيه ، وتنال بنيانها خلال عمله فيها (ع ١٥ ، ١٦) .

الجسد كله ينمو معاً ، دون أن يفقد العضو كيانه بل يتمتع قدر قياسه ، قدرما يتسع ينال من الرأس نموه . وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [تعتمد نفوس البشر عليه كأعضاء ، فينعم كل عضو منفرد بعنايته الإلهية وعطية المواهب الروحية قدرما يناسب قياسه ، هذا يؤدى إلى نموهم ... يليق بكل عضو ليس فقط أن يكون متحداً بالجسد ، وإنما يكون أيضاً فى مكانه اللائق به ، وإلا فقد إتحاده بالجسد وحُرم من تقبل الروح[١٣٢]] .

خلال وحدانية الهدف ننعم بالمحبة التى تربطنا معاً بالرأس ، فيعمل هو فينا ، كل فى موقعه بما يناسبه لبنيان الجسد كله ، فلا نكون مجرد جماعة عاملة معاً ، وإنما أعضاء لبعضنا البعض يعمل الرأس فينا بالحب ، كل حسب موهبته التى يهبها إياه بروحه القدوس .

يقول القديس يوحنا الذهبى الفم :

[إن رغبنا فى نوال نفع الروح (القدس) الذى من الرأس ، فلنلتصق كل بالآخر .

يوجد نوعان من الإنفصال عن جسد الكنيسة : الأول حين تبرد المحبة والآخر

حين نجسر ونرتكب أموراً لا تليق بإنتمائنا لهذا الجسد . فإننا بأى الطريقين نقطع أنفسنا عن « ملء المسيح » ...

ليس شيء يسبب إنقساماً فى الكنيسة مثل حب السلطة !

ليس شيء يثير غضب الله مثل إنقسام الكنيسة ! نعم وإن مارسنا ربوات الأعمال المجيدة فإننا إن مزقنا ملء الكنيسة نسقط تحت عقوبة لا تقل عن تلك التى يسقط تحتها من أفسدوا جسده(١٣٣)] .

٤ ــ الوحدة والحياة الجديدة

لكى تكون الوحدة حياة ديناميكية متحركة بغير جمود يختم الرسول حديثه عن الوحدة الكنسية بالتجديد الدائم المنطلق خلال الإنسان القديم ولبس الإنسان الجديد فى مياه المعمودية . وكما يقول كثير من الدارسين الغربيين هذا النص الخاص بالحياة الجديدة جاء يحمل تعبيرات تخص ليتورجية العماد ، نذكر على سبيل المثال :

« تخلعوا (الانسان القديم) » ع ٢٢ ؛

« تتجددوا بروح ذهنكم » ع ٢٣ ؛

تلبسوا الإنسان الجديد » ع ٢٤ .

لكى يبرز قوة « **الحياة الجديدة** » التى صارت لنا فى المسيح يسوع خلال مياه المعمودية بروحه القدوس وإلتزامنا بالنمو فى هذه الحياة الجديدة ، أبرز أولاً الإنسان العتيق الذى خلعناه ، وقد وضح بقوة فى حياة الأمم وسلوكهم .

يبدأ الرسول حديثه بالقول :

« فأقول هذا وأشهد فى الرب أن لا تسلكوا فى ما بعد كما يسلك سائر الأمم أيضاً ببطل ذهنهم ، إذ هم مظلمو الفكر ومتجنبون عن حياة الله لسبب الجهل الذى فيهم بسبب غلاظة قلوبهم .

الذين إذ هم قد فقدوا الحس أسلموا نفوسهم للدعارة ليعملوا كل نجاسة فى الطمع » ع ١٧ — ١٩ .

ويلاحظ فى هذا النص الآتى :

أولا : لما كان الأمر خطيراً للغاية ، أراد الرسول أن يشهد الرب نفسه على قوله هذا ، حتى يستطيعوا فى جدية أن يقارنوا بين الحياة الأممية خارج المسيح والحياة الجديدة التى فى المسيح .

ثانيا : يحذرهم الرسول بولس من السلوك كسائر الأمم « **ببطل ذهنهم** » ع ١٧ . ماذا يعنى بطل الذهن إلا إنشغال الذهن وإرتباكه فى الأمور الباطلة الزمنية عوض التأمل فى السمويات والإنشغال بالحياة الأبدية الدائمة ؟ !

يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [ما هو بطل الذهن ؟ إنه إنشغال الذهن بالأمور الباطلة . وما هى الأمور الباطلة سوى كل أمور الحياة الحاضرة ؟ ! يقول عنها المبشر : « باطل الأباطيل الكل باطل » جا ١ : ٢ . لكن قد يقول قائل : « إن كانت هذه الأمور باطلة فلماذا خُلقت ؟ إن كانت هى خليقة الله ، فلماذا باطلة ؟ ... » ليست خليقة الله هى التى ندعوها باطلة ؛ حاشا ! السماء ليست باطلة ، ولا الأرض باطلة ؛ حاشا ! ولا الشمس ولا القمر ولا النجوم ولا جسدنا ، لا ، فإن هذه كلها حسنة جداً (تك ١ : ٣١) . فما هو الباطل إذن ؟ لنسمع ما يقوله المبشر : « (فعظّمت عملى) ، بنيت لنفسى بيوتاً ، غرست لنفسى كروماً ... إتخذت لنفسى مغنين ومغنيات ، عملت لنفسى برك مياه ، وكانت لى أيضاً قنية بقر وغنم ، جمعت لنفسى أيضا فضة وذهباً ، فإذا الكل باطل » (راجع جا ٢ : ٤ — ١١) . إسمع أيضا النبى : « يذخر ذخائر ولا يدرى من يضمها » مز ٣٩ : ٦ . هذا هو باطل الأباطيل : المبانى الفخمة والغنى السريع الفائض ، قطعان العبيد والمظاهر الصاخبة (الإستعراضات) فى الميادين العامة ، كبرياؤك ومجدك الباطل وتشامخ فكرك والمباهاة . هذه الأمور باطلة لم تأتِ من يدّ الله ، إنما هى من صنعنا نحن . لماذا هى باطلة ؟ لأنها بلا

غاية مفيدة . فالغنى يكون باطلاً متى أُنفق على الترف بينما لا يُحسب كذلك إن وُزع وقدم للمحتاجين (مز ١١٢ : ٩)(١٣٤)] .

ثالثا : ربما يتساءل البعض : لماذا يُلام الأمم ما داموا مظلمى الفكر ومتغربين عن حياة الله بسبب الجهل وغلاظة قلوبهم ؟

يجيب الرسول بولس مؤكداً مسئوليتهم ، إذ يقول : « **إذ هم فقدوا الحس أسلموا أنفسهم للدعارة ليعملوا كل نجاسة فى الطمع** » ع ١٩ . بمعنى آخر ان ما يمارسونه من فساد ، وما يسقطون فيه من ظلمة وتجنب عن « حياة الله » إنما ينبع عن « فقدانهم الحس » بإرادتهم فيسلمون أنفسهم بأنفسهم للدعارة والطمع .

يقول القديس يوحنا الذهبى الفم : [« **إذ هم فقدوا الحس أسلموا أنفسهم** » ع ١٩ ، بينما تسمعون : « أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض » رو ١ : ٢٨ . فإن كانوا قد أسلموا أنفسهم فكيف أسلمهم الله ؟ وأيضا أن كان الله قد أسلمهم فكيف أسلموا هم أنفسهم ؟ ... كلمة « أسلمهم » (فى رو ١ : ٢٨) تعنى أن الله سمح لهم أن يُسلموا(١٣٥)] .

رابعاً : **يربط الرسول بولس بين الإيمان الفاسد أو الفكر الفاسد وبين السلوك الفاسد ؛ فالفكر والسلوك أشبه بسلسلة مترابطة كل يؤثر فى الآخر ؛ حينما يمتلىء الفكر بالأمور الزمنية الباطلة يُصاب بالظلمة والجهل ، وحينما يصاب بالظلمة ينحدر للفساد ، وهكذا يدفعه الفساد إلى ظلمة أعمق ...**

فى هذا يقول **القديس أغسطينوس** أن وراء كل إلحاد (فساد الفكر) شهوة ! وبصورة أخرى يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [ألا ترى أن الحياة الفاسدة هى أساس لتعاليم هكذا (فاسدة) أيضاً ؟ ! إذ يقول الرب : « لأن كل من يعمل السيآت يبغض النور ولا يأتى إلى النور » يو ٣ : ٢٠ ... كما أو أننا غطسنا فى أعماق المياه فلا نقدر أن نعاين الشمس بسبب كثافة المياه التى فوقنا ، فتصير عائقاً ، هكذا تُصاب عينا الفهم بعمى القلب وفى فقداننا للحسّ لا توجد مخافة (الله) فى النفس . لقد قيل : « ليس خوف الله أمام عينيه » مز

٣٦ : ١ ، وأيضا : « قال الجاهل فى قلبه ليس إله » مز ١٤ : ١ . الآن فإن العمى لا يصدر إلا من عدم الحس[١٣٦]] .

خامساً : إذ يربط الرسول بين عمى الفكر أو إنحرافه بفساد السلوك ، ربما يتساءل البعض كيف أستطيع أن أحفظ حياتى من الدنس ؟ لذا ربط الرسول الدنس بالطمع ، قائلاً : « **ليعملوا كل نجاسة فى الطمع** » ع ٢٠ . فإن كانت قداسة الحياة تبدو صعبة للإنسان ، فهل السقوط فى الطمع أمر إلزامى ؟ ! بمعنى آخر ما هى حجة الأمم أو عذرهم من جهة الطمع ؟ فى هذا يقول **الأب مرقس الناسك** ، إنه إذ يتمم الإنسان الوصية التى فى مقدوره ، يعمل الله فيه ويسنده فى تتميم الوصية التى ليست فى قدرته . بمعنى آخر إن كنا نضبط أنفسنا من جهة الطمع فهو يضبط مشاعرنا وأحاسيسنا بعيداً عن كل نجاسة . لنكن أمناء فى الرب فيما بين أيدينا فيعمل بغنى نعمته فينا .

يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [كان فى قدرتهم أن يشتركوا فى الإعتدال فى الغنى حتى فى المباهج والترف ، لكنهم إنغمسوا بغير أعتدال فهلكوا تماماً[١٣٧]] .

بعدما عرض الرسول فساد الأمم فى الذهن كما فى السلوك ، فى نجاسات ورجاسات عاد ليؤكد أن هذا الحال لا يليق بالمؤمنين الذين إلتقوا بالسيد المسيح كمعلم ومعين ، واهب التجديد الذهنى المستمر بروحه القدوس ، إذ يقول :

« وأما أنتم فلم تتعلموا المسيح هكذا ،

إن كنتم قد سمعتموه وعُلمتم فيه كما هو حق فى يسوع ،

أن تخلعوا من جهة التصرف السابق الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور ،

وتتجددوا بروح ذهنكم ،

وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله فى البر وقداسة الحق » ع ١٩ ـــ ٢٣ .

هذا النص فى حقيقته هو تسبحة العهد الجديد حيث يمجد المؤمن أعمال الله الفائقة فى حياته ، ويمدح غنى نعمة الله الفياضة التى يهبها إيانا حسب مسرته . وكما سبق فقلنا إنها فى الغالب جزء من ليتورجية قداس المعمودية فى العصر الرسولى ، حيث تعلن عمل الله فيها . وهنا نلاحظ فى النص الآتى :

أولا : لم يقل الرسول « تتعلموا من المسيح » ، وإنما « **تتعلموا المسيح** » ، فإن كان السيد المسيح هو المعلم الذى تلمذ الرسل والتلاميذ ، فهو لا يزال حياً فى كنيسته يعلم خلال خدامه ، لا يعلمنا عن آخرين إنما يعلمنا « ذاته » حيّاً فينا ... ربما هذا ما عناه الرسول بقوله : « تتعلموا المسيح » .

لقد تمتعت البشرية منذ بدء إنطلاقها بالوصية يسندها الناموس الطبيعى ، ثم الناموس الموسوى فيما بعد ، لكن السيد المسيح جاء ليقدم أولا « حياته » ننعم بها . نناله براً وقداسة وقيامة تعمل فينا .

لقد سمعناه وتمتعنا به فشاهدنا « **الحق فى يسوع** » ، إذ قال : « أنا هو الحق » ... بهذا الحق الذى صار لنا فيه لا يمكن للباطل أن يرتبط بنا ، ولا للحياة الباطلة أن يكون لها وجود فى داخلنا .

ثانيا : للمرة الثانية يربط الرسول بين التعاليم الصادقة « الحق » وبين الحياة المقدسة ، إذ يؤكد أننا ما دمنا ننعم بالحق أى بالإيمان الصادق فى المسيح يسوع ربنا لابد أن نخلع أعمال الإنسان العتيق .

يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** :

[ما يوجد بيننا ليس بالباطل بل الحق .

كما أن التعاليم حقة هكذا الحياة أيضا حقة !

الخطية هى « باطل » وبطلان ، أما الحياة المستقيمة فهى « حق » .

العفة بالحقيقة هى حق ، إذ لها غاية عظيمة أما الفجور فتنتهى إلى لا شيء(١٣٨)] .

إذن ليت إيماننا الصادق بالسيد المسيح « الحق » يلتحم بسلوكنا فيه بالحق ، فيتجلى فينا بالإيمان العملى الحىّ أو العامل بالمحبة كقول الرسول بولس .

ثالثا : إذ يحملون السيد المسيح فى داخلهم يلتزمون برفض أعمال الإنسان العتيق ، سالكين حسب الإنسان الجديد الذى صار لهم هبة مجانية خلال مياه المعمودية . هذا الإنسان الداخلى الجديد يلزم أن ينمو بلا توقف خلال تجديده اليومى غير المنقطع كعلامة على حيوية المؤمن . هذا ما عبّر عنه الرسول بولس هنا بقوله : « **تتجددوا بروح ذهنكم** » ع **٢٣** . وإذ يقصد بالذهن هنا « الإنسان الداخلى ككل » ، فإن روح الذهن غالباً ما يعنى تجديد أعمال الروح القدس الساكن فيكم بالتجاوب معه ؛ فالتجديد لا يمس الروح بل الذهن ؛ فبالروح أو فى الروح يتجدد إنساننا الداخلى كل يوم كقول الرسول : « لذلك لا نفشل بل وإن كان إنساننا الخارج يفنى فالداخل يتجدد يوماً فيوماً » ٢ كو ٤ : ١٦ .

يعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** على هذه العبارة (أف ٤ : ٢٣) بالقول : [كيف يتم التجديد إذن ؟ « **فى روح ذهنكم** » ؛ إذ من له الروح لا يتمم عملاً قديماً إذ لا يحتمل الروح أعمال الإنسان القديم . يقول « فى روح ذهنكم » ، أى الروح الذى فى ذهنكم(١٣٩)] .

يكمل الرسول بولس حديثه ، قائلاً : « **وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله فى البرّ وقداسة الحق** » ع **٢٤** . فان كان قد طالبنا بخلع أعمال الإنسان العتيق الفاسد (ع ٢٢) لم يتركنا عراه بل أسرع بالمطالبة بلبس الإنسان الجديد الحامل برّ المسيح وقداسته . ويلاحظ هنا الآتى :

١ . انه لا توجد حالة وسطى ، إما أن يُوجد الإنسان لابساً الإنسان العتيق الفاسد لحساب عدو الخير المفسد ، أو الإنسان الجديد لحساب الله . بمعنى آخر ، لا يقبل الرسول أنصاف الحلول ، إما أن يحمل الإنسان أسلحة الفساد أو أسلحة البر ، منتمياً لإحدى المملكتين : مملكة إبليس أو مملكة الله !

فى هذا يقول **القديس الذهبى الفم** : « لا يمكن أن يظهر الإنسان بلا عمل » ، إما أن يكون عاملاً الرذيلة أو الفضيلة !

ب . الإنسان الجديد الذى نلبسه ليس من عندياتنا بل هو « **المخلوق بحسب الله فى البر وقداسة الحق** » ع ٢٤ . إنه عمل خلقة ، وكما يعلق **الذهبى الفم** :
[لقد خلقه (الله) فى الحال ، ليكون إبناً ، وذلك فى المعمودية(١٤٠)]

البرّ الذى صار لنا فى العهد الجديد هو فى « **قداسة الحق** » ، وليس كبرّ اليهود الرمزى ، لأننا تمتعنا بالحق ذاته ساكناً فينا ، وعاملاً بنا على الدوام .

إن كنا قد نلنا عطية « الإنسان الجديد » كلباس برّ فى المسيح يسوع برنا ، يليق بنا أن نجاهد لنوجد دائماً بهذا اللباس ، وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [كيف يتحدث مع أولئك الذين لبسوا (الإنسان الجديد) فعلاً ؟ إنه يتحدث معهم عن الثوب النابع عن الحياة والأعمال الصالحة (فى الرب) . قبلاً (نالوا) الثوب خلال المعمودية ، أما الآن فخلال الحياة اليومية والعمل ، ليس « **حسب شهوات الغرور** » ع ٢٢ ، وإنما « **بحسب الله** » ع ٢٣(١٤١)] .

يكمل **القديس يوحنا الذهبى الفم** حديثه ، قائلاً : [من جانبنا يليق بنا ألا نخلع ثوب البر الذى يدعوه النبى : « ثوب الخلاص » إش ٦١ : ١٠ ، فنصبح على شبه الله ؛ فإنه بالحق يلبس ثوب البر . إذن ، فلنلبس هذا الثوب . كلمة « نلبس » إذن واضحة انها لا تعنى سوى عدم الخلع نهائياً . إستمع للنبى القائل : « لبس اللعنة مثل ثوبه ، فدخلت فى حشاه » مز ١٠٩ :١٨أ ، وأيضاً : « اللابس النور كثوب » مز ١٠٤ : ٢... إذن ليتنا لا نلتحف بالفضيلة يوماً أو يومين أو ثلاثة بل نلتحف بها أبداً ، ولا نخلع هذا الثوب قط . فالإنسان لا يشوهه خلع ثوبه مثلما يشوهه خلع الفضيلة . بالأمر الأول يرى العبيد رفقاؤه عريه ، أما بالأمر الثانى فيرى ربه والملائكة عريه . إن رأيت إنساناً يذهب إلى الحمامات العامة عارياً ألا تتضايق ؟ فإن ذهبت أنت خالعاً هذا الثوب (الذى للبر) فماذا نقول ؟(١٤٢)] .

حـ . دعوة الرسول بولس هنا لخلع كل تصرف خاص بالإنسان العتيق الفاسد وتجديد الذهن المستمر فى حقيقتها هى دعوة لممارسة الحياة الجديدة أو المتجددة المستمرة والمنطلقة نحو السمويات عينها حيث تكون لنا هناك التسبحة الجديدة

أيضا . بمعنى اخر هى إنطلاقة روحية نحو الأبديات خلال ترك الحرف القاتل والتمتع بجدة الحياة . يقول **القديس جيروم** : [حيث تكون التسبحة التى نترنم بها جديدة (رؤ ١٤ : ٣) ويُنزع الإنسان العتيق نسير فى جده الروح لا عتق الحرف(١٤٣)] . بهذا تتحول حياتنا إلى أغنية جديدة نترنم بها أو تسبحة عملية يعزفها روح الله على أوتار حياتنا الداخلية وتصرفاتنا الظاهرة مهيئاً إيانا للحياة الأخروية حيث التسبحة الجديدة غير المنقطعة .

هذه الدعوة فى حقيقتها تعلن مفهوم التقدم أو النمو الروحى أو التجديد المستمر . يقول **الأب ثيؤدور** فى مناظرته مع القديس كاسيان : [إننا نحتاج إلى ما يقوله الرسول : « وتتجددوا بروح ذهنكم » أف ٤ : ٢٣ ، إلى التقدم الروحى فننسى ما هو وراء (فى ٣ : ١٣) . فإن تغاضى الإنسان عن ذلك تكون النتيجة الحتمية هى النكوص والتقهقر من سيء إلى أسوأ ... والفشل فى إقتناء سمات جديدة ، يعنى وجود خسارة ... ؛ إذ تبطل الرغبة فى التقدم يوجد خطر التقهقر إلى الوراء(١٤٤)] .

بعد أن تحدث عن النمو الروحى خلال تجديد الذهن المستمر ولبس أعمال الإنسان الجديد مع خلع أعمال الإنسان القديم ، بدأ فى شيء من التفصيل يقول :

أولا : لذلك إطرحوا عنكم الكذب ، وتكلموا بالصدق كل واحد مع قريبه ، لأننا بعضنا أعضاء البعض » ع ٢٥ .

يلاحظ فى حديثه عن أعمال الإنسان الجديد (ع ٢٥ ـــ ٣٢) يتحدث عن علاقتنا بالغير ، فالحياة المقدسة تمس أعماقنا الخاصة كما تمس علاقتنا بإخوتنا . فالكذب يسيء إلى عضويتنا المشتركة القائمة على الحق ، والسرقة تسلب حق الغير عوض الإهتمام بإحتياجات الآخرين ... وهكذا كل تصرف خاطيء إنما يحزن روح الله الساكن فينا وفى الآخرين (ع ٣٠) .

الآن يحدثنا عن طرح الكذب والنطق بالصدق ، فلا يكفى الجانب السلبى إنما نلتزم بالعمل الإيجابى ، لنرفض الباطل ونقبل الحق ، لأننا بعضنا أعضاء

البعض . وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم إن الرسول يقول : [ليت العين لا تكذب على القدم ، ولا القدم على العين . فانه لو وجدت حفرة عميقة ... فهل تكذب القدم على بقية الأعضاء ولا تنطق بالحق ؟ ! لو شاهدت العين حية أو حيواناً مفترساً هل تكذب على الرجل ؟ !(١٤٥) ...] . وحدة الأعضاء معاً كجسد متكامل تستلزم بالضرورة صدق الأعضاء فيما بينها وإلا إنهار الجسد كله خلال الخداع والكذب . لذا يقول **القديس الذهبي الفم** . [ليته لا يخدع أحد قريبه ، كما يقول المرتل هنا وهناك : « بشفاه ملقة ، بقلب فقلب يتكلمون » مز ١٢ : ٢ . فإنه ليس شيء ، ليس ما يجلب عداوة أكثر من الخداع والخبث(١٤٦)] .

ثانياً : إغضبوا ولا تخطئوا ، لا تغرب الشمس على غيظكم ، ولا تعطوا إبليس مكاناً » ع ٢٦ ، ٢٧ .

ليس مجال يهب لإبليس مكاناً بيننا مثل الغضب ، فإن وجد الغضب له موضعاً ولم يشرق علينا السيد المسيح — شمس البر — بأشعة محبته فينا لينزع روح الغضب بستقر العدو ويملك !

+ ماذا نفعل فى يوم الدينونة ، نحن الذين لم تغرب الشمس على غضبنا يوماً واحداً بل سنوات كثيرة ؟ !

+ أن تكون غضوباً فهذا أمر بشرى ، أما أن تضع حداً للغضب فهذا أمر مسيحى .

القديس جيروم(١٤٧)

+ الغضب المملوء عناداً يجلب بالتأكيد ضرراً للنفس الغضوبة ، أيا كان الشخص الذى تغضب عليه .

الأب يوسف(١٤٨)

+ أثناء النهار يقدر الكثيرون منا أن يسكنوا غضبهم ، ويتغلبوا عليه ، أما فى الليل ، فالمرء عند إنفراده ، يرخى العنان لأفكاره ، إذ يشتد هياج الأمواج وتثور

الزوبعة بعنف عظيم ، فلكى نتلافى ذلك يطلب منا بولس الرسول أن نستقبل الليل متسالمين لكى لا يغتنم الشيطان فرصة إنفرادنا فيشعل فينا نار الغضب .

القديس يوحنا الذهبى الفم(١٤٩)

+ إن كنتم غاضبين فلا تدعوا هذه الشمس تغرب على غيظكم ... لئلا تكونوا غضبى فيغرب شمس البر (ملا ٤ : ٢) عنكم وتمكثون فى الظلام) .

القديس أغسطينوس(١٥٠)

+ « **إغضبوا ولا تخطئوا** » ع ٢٦

لاحظ حكمته ، فإنه يتحدث لكى يمنع خطأنا ، ولكن إن كنا لا نصغى لا يتخلى عنا . من أجل أبوته الحانية لا يهجر من يخطىء .

كما أن الطبيب يصف العلاج للمريض ، فإن لم يخضع لذلك لا يقسو عليه بل يحاول أن يقنعه حتى يحقق له الشفاء ، هكذا يفعل بولس ...

إنه يقول : « **إطرحوا عنكم الكذب** » ع ٢٥ . فإن كان الكذب ينتج غضباً لذلك يكمل حديثه لعلاج الغضب . ماذا يقول ؟ « **إغضبوا ولا تخطئوا** » . حقا إنه لأمر حسن ألا تغضب قط ، لكن إن سقط أحد فى الألم (الغضب) ليته لا يسقط إلى درجة كبيرة ؛ إذ يقول : « **لا تغرب الشمس على غيظكم** » . هل أنت مملوء غضباً ؟ يكفيك ساعة أو ساعتين أو ثلاث ساعات ، لكن لا تدع الشمس ترحل وأنتما فى حالة عدواة .

من أجل صلاح الله أشرق (شمس البر) ، لا تدعه يرحل ، بل يشرق ...

إن كان الرب قد أرسله من أجل صلاحه العظيم (ليشرق عليك) ، وقد غفر لك خطاياك ، وأنت لا تريد أن تغفر لأخيك ، فأنظر أى شر عظيم هذا ؟ ! ...

« **لا تعطوا إبليس مكاناً** » ع ٢٧ .

إذ تكون فى حرب مع آخر « تعطى مكاناً لإبليس ... فإنه ليس لإبليس مكاناً مثلما فى عداوتنا ...

كن فى عدواة ، لكن ضد إبليس ، وليس ضد عضو معك .

القديس يوحنا الذهبى الفم[151]

+ بإرادتك الشريرة تعطه مكاناً ، فيدخل ويملك ويستغلك . إنه لا يمتلكك ما لم تعطه مكاناً .

القديس اغسطينوس[152]

+ [بخصوص الهروب من الشر]

ليس أحد يقترب نحو الخطر ويبقى فى آمان لمدة طويلة ، ولا يقدر خادم الله أن يهرب من إبليس إن أعاق نفسه بشباك إبليس .

الشهيد كبريانوس[153]

ثالثا : لا يسرق السارق فى ما بعد بل بالحرى يتعب عاملاً الصالح بيديه، ليكون له أن يُعطى من له إحتياج » ع ٢٨ .

لا يكف السارق عن عمل الإنسان العتيق الذى هو جمع ما ليس له لحسابه الذاتى ظلماً ، وإنما يلزمه أيضاً أن يمارس أعمال الإنسان الجديد بالبذل والعطاء ، فيعمل ويجاهد لكى يعطى .

يعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** ، قائلاً : [« **لا يسرق السارق فى ما بعد** » هذا لا ينزع الخطية ، وإنما كيف تُنزع ؟ إن عملوا ، ومارسوا علاقات الحب مع الآخرين ! إنه لا يريدنا أن نعمل فحسب وإنما نعمل ونتعب . لكى نمارس علاقات ودية مع الغير . فإن السارق أيضا له أعمال لكنها أعمال شريرة[154]] .

رابعاً : لا تخرج كلمة رديئة من أفواهكم بل كل ما كان صالحاً للبنيان حسب الحاجة كي يعطي نعمة للسامعين ع ٢٩ .

مرة أخرى لا يقف الأمر عند الجانب السلبي بالإمتناع عن الكلمة الرديئة ، إنما الإلتزام بالكلمة البنّاءة لحساب الجماعة المقدسة ، أو لحساب السامعين لها .

+ لنطلب معونته لكى نتمم إجتهادنا بالعمل ، ولنحفظ فمنا جاعلين عقلنا مزلاجاً له ، لا يكون موصداً دائماً ، بل ليفتح فى الوقت الملائم ... لذلك يقول الحكيم سليمان : « للسوكت وقت وللتكلم وقت » جا ٣ : ٣ .

لو كان واجباً أن يُفتح الفم دائماً لما لزم له وجود باب ، ولو كان واجباً أن يُغلق دائماً لما لزمت له حراسة . فالباب والحراسة ليعمل كل شيء فى وقته . يقول آخر : « إجعل لكلامك ميزاناً ومعياراً » سيراخ ٢٨ : ٢٩ ، أى أن نلفظ كلامنا بإحتراس وازنين إياه ومفكرين فيه . .

القديس يوحنا الذهبى الفم[١٥٥]

+ تكلم بما يبنى أخاك ، ولا تزد كلمة واحدة على ذلك . فإن الله وهبك فماً ولساناً لهذا الهدف أن تشكره وتبنى أخاك . فإن كنت تحطم هذا البناء ، فخير لك أن تصمت ولا تتكلم قط ... يقول المرتل : « يقطع الرب جميع الشفاه الملقة » مز ١٢ : ٣ .

الفم هو علة كل الشرور ؛ بالحرى ليس الفم وإنما إساءة إستخدامه ...

القديس يوحنا الذهبى الفم[١٥٦]

إن كان الفم المقدس بروح الرب يبنى الإخوة ، فإن الفم الدنس يحطم البناء الإلهي فيهم ، فيُحسب مقاوماً لعمل الروح القدس ، لذا يحذرنا الرسول بولس ، قائلاً :

« ولا تحزنوا روح الله القدوس الذى به خُتمتم ليوم الفداء » ع ٣٠

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم : [هذا الأمر أكثر رعباً وتحذيراً ، وذلك كما يقول في الرسالة إلى أهل تسالونيكى : « من يرذل لا يرذل إنساناً بل الله (الذى أعطانا أيضاً روحه القدوس) » ١ تس ٤ : ٨ . هكذا هنا أيضا ، فإنك إن تفوهت بكلمة قاسية وضربت أخاك ، فإنك لست تضرب أخاك إنما تُحزن الروح القدس . وقد أظهر بعد ذلك ما وُهب لك من نفع لكى يشدد التوبيخ ، قائلاً : « لا تحزنوا روح الله القدوس الذى به خُتمتم ليوم الفداء » . إنه هو الذى يجعلنا قطيعاً ملوكياً ، هو الذى يفصلنا عن الأمور الماضية ولا يسمح لنا أن نسقط بين ما يعرضنا لغضب الله ، فهل تحزنه ؟ أنظر كيف أن كلماته محذرة ، إذ يقول : « لأن من يرذل لا يرذل إنساناً بل الله » ، ويقطع بذلك هنا : « لا تحزنوا روح الله القدوس الذى به ختمتم » . ليكن هذا الختم باقياً على فمك ؛ لا تحطم بصماته ، فإن الفم الروحى لا ينطق بأمر كهذا . لا تقل : ماذا يعنى إن نطقت بكلمة غير لائقة وشتمت إنساناً ، إنها كلا شيء ! » . إنه شر عظيم حتى وإن بدى لك كلا شيء ... لك فم روحى ، فلتفكر أية كلمات تنطق بها وذلك حالما تتولد فيك ، أية كلمات تليق بفمك ؟ ! أنت تدعو الله « أباً » ، فهل تهين أخاك فى نفس الوقت ؟ ! ... ليحفظ إله السلام ذهنك ولسانك ويحصنك بحصن منيع بمخافته ، بربنا يسوع المسيح الذى له المجد مع الروح القدس إلى الأبد ، آمين[١٥٧]] .

إذ يذكر المؤمن انه قد لبس الإنسان الجديد بالروح القدس الذى ختمه كقطيع ملوكى ، فصار فى ملكية المسيح لا فى ملكية عدو الخير ، لذا يليق به ألا يرتد إلى أعمال الإنسان العتيق الخاصة بختم إبليس لا ختم روح الله القدوس ، لذا يقول الرسول :

« ليرفع من بينك كل مرارة وسخط وغضب وصياح وتجديف مع كل خبث ، وكونوا لطفاء بعضكم نحو بعض ، شفوقين ، متسامحين كما سامحكم الله أيضاً فى المسيح » ع ٣١ ، ٣٢ .

هكذا وضع كل أنواع الشر الخاصة بعلاقتنا بالآخرين خاصة خلال الفم فى

كفة ، واللطف والشفقة والتسامح فى الكفة الأخرى المقابلة ، إذ خلط بين أعمال الظلمة وأعمال النور ، وبين تصرفات الإنسان القديم الفاسد والإمتثال بالسيد المسيح خلال الإنسان الداخلى الجديد الموهوب لنا بروحه القدوس .

إذ يعمل روح الله فينا يتجلى « السيد المسيح » مشتهى الأمم ، فنحمل عذوبة داخلية لا مرارة ، نحيا فى شركة الحياة السماوية العذبة عوض الحياة المرة ، لذا قيل : « **ليرفع من بينكم كل مرارة** » ع ٣١ .

فى شيء من التفصيل يحدثنا **القديس يوحنا الذهبى الفم** عن « **المرارة** » التى هى داخل الجسد متى أفرزت مادة المرارة أفسدت ذاتها وأضرت الجسم كله ، هكذا النفس متى قدمت أعمالاً مرة ، أُصيبت بمرارة داخلية ومررّت حياة الكثيرين ... [ليس شيء فاقد القوة مثل المرارة ، فإنها تجعل البشر أغبياء وفاقدى الحس(١٥٨)] .

لننزع عنا أعمال الإنسان القديم فلا نحمل مرارة من جهة إنسان ، وبالتالى لا توجد جذور للسخط أو الغضب أو الصياح أو التجديف بخبث من جهة إخوتنا ، بل على العكس نحمل لطفاً وشفقة وتسامحاً كما سامحنا الآب بدم إبنه الوحيد .

+ إذ يقودنا الطوباوى بولس بعيداً عن الخطية يدخل بنا إلى الفضيلة . لأنه أية منفعة لإنتزاع كل الأشواك إن لم تُبذر البذار الصالحة ؟ ...

الذى لا يحمل « مرارة » ليس بالضرورة يكون « لطيفاً » ، وغير « الغضوب » ليس بالضرورة يكون « شفوقاً » ، فالحاجة ماسة للجهاد حتى نبلغ هذا السمو (اللطف والشفقة) ...

لقد إنتزع البذار الرديئة ، الآن يحثنا أن نضع البذار الصالحة .

« **كونوا لطفاء** » ، لأنه إذ نُزعت الأشواك بقى الحقل عاطلاً ، وسينتج أعشاباً غير نافعة من جديد . الحاجة ملحة لإشغاله بما هو صالح ...

لقد إنتزع « الغضب » ليضع « اللطف » ، وأزال المرارة ليضع « الشفقة » ، وخلع « الخبث » و « الدهاء » ليزرع « العفو » عوضاً عنهما.

القديس يوحنا الذهبى الفم(١٥٩)

+ هنا نجد الحكم ، إن كان المسيح غفر لك خطاياك التى هى أكثر من سبعين مرة سبع مرات ، إن كان يسامحك هكذا ... فهل تهمل أنت فى الغفران (لأخيك) ؟ ! ...

قد وجد المسيح آلاف من الخطايا فوق الخطايا ، ومع ذلك غفرها جميعها ، إذن لا تنزع رحمته عنك ، بل أطلب غفران هذه الخطايا الكثيرة .

القديس أغسطينوس(١٦٠)

+ « كما سامحكم الله أيضاً فى المسيح » ع ٣٢

هذا يحوى مقصداً عالياً ، لم يقل سامحنا فحسب ، دون مخاطرة أو تكلفة ، وإنما خلال ذبيحة إبنه ، فلكى يسامحك قدم إبنه ذبيحة ، بينما حينما تسامح أنت غالباً ما يتحقق ذلك دون مخاطرة من جانبك أو تكلفة ، ومع ذلك فلا تهب السماح .

القديس يوحنا الذهبى الفم(١٦١)

+ + +



إن كانت الكنيسة هى قبول دعوة الله للتمتع بالحياة الجديدة فى المسيح ، فإن هذه الحياة تتجلى فى حياة الإنسان وعبادته وسلوكه ، دون ثنائية ... فتكون حياته كلها « ذبيحة لله » ، أى عبادته غير منقطعة وغير منفصلة عن سلوكياته .

١ . الإمتثال بالله « المحبة الباذلة ». ١ – ٢ .
٢ . السلوك فى نور قيامته . ٣ – ١٤ .
٣ . التدقيق فى السلوك والعبادة . ١٥ – ٢١ .
٤ . العلاقات الزوجية وسرّ المسيح ٢٢ – ٣٣ .

\+ \+ \+

١ – الإمتثال بالله « المحبة الباذلة »

« فكونوا متمثلين بالله كأولاد أحباء ، واسلكوا فى المحبة كما أحبنا المسيح أيضا وأسلم نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة » ع ١ ، ٢

إن كانت لغة الكنيسة الجامعة هى المحبة ، خلالها تُمارس وحدانية الروح ، وبها تنمو الجماعة وكل عضو فيها ، مشتاقاً أن يتحقق سرّ المسيح ، بأنفتاح باب الإيمان للجميع خلال المحبة ، فإن المحبة هى أيضا علامة إمتثالنا بالله أبينا ، وإقتدائنا بكلمة الله المتجسد الذى خلال المحبة أسلم نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة للآب رائحة سرور ورضى . وكما يقول القديس يوحنا الحبيب : « بهذا قد عرفنا المحبة أن ذاك وضع نفسه لأجلنا فنحن ينبغى لنا أن نضع نفوسنا لأجل الإخوة » ١ يو ٣ : ١٦ .

كما سبق فكررنا أن المسيحى يشارك السيد المسيح كهنوته (الكهنوت العام) بتقديم حياته ذبيحة حب عن الآخرين كسيده ... هذه هى سمة « الإنسان

الجديد » الذى لنا عوض « الإنسان العتيق » الفاسد .

+ من يقطن فى الحب يقطن فى الله ، لأن الله محبة (١ يو ٤ : ١٦) .

القديس أغسطينوس(١٦٢)

+ لقد دُعيت إبناً ؛ فإن رفضت الإمتثال به لماذا تطلب ميراثه ؟ !

القديس أغسطينوس(١٦٣)

+ لئلا تظن أن هذاالعمل (خلاص المسيح) قد تم عن إلزام ، إسمعه يقول : « أسلم نفسه » .

كما أحبك سيدك ، حب أنت صديقك ! بلى ، إن كنت لا تقدر أن تحب هكذا ، فحبّ قدرما تستطيع ...

سامح الآخرين ، فإنك إذ تقتدى به تكون على مثاله .

من واجبنا أن نسامح عن الأخطاء أكثر من أن نعفو عن الديون المالية ، فإنك أن تنازلت عن الديون التى لك لا تمتثل بالله ، أما إن سامحت المعاصى التى ضدك فإنك تمتثل به .

لا تستطيع القول بأنك فقير وعاجز عن أن تتنازل عن الديون التى لك ، إن كنت لا تسامح المعاصى التى هى ضدك ، الأمر الذى فى سلطانك عمله ! بالتأكيد لن تتحمل أية خسارة بهذا الصنيع ...

أنظر فانه يقدم لك نصيحة أكثر نبلاً ، إذ يحثك ، قائلاً : « **كأولاد أحباء** » . نعم فإنه يوجد سبب آخر مقنع تمتثل به ، ليس أنك نلت صلاحاً من يديه وإنما أيضاً دُعيت إبنه . وإذ ليس كل الأبناء يمتثلون بآبائهم بل « الأحباء » لذا يقول : « كأولاد أحباء » .

أنظروا ، هنا أساس كل عمل ! فإنه حيث لا يوجد سخط ولا غضب ولا صراخ (صخب) ولا تعنيف إنما ينتزع هذا كله ، لذلك يضع فى النهاية النقطة الرئيسية (أى المحبة) .

كيف صرت إبناً ؟ بانه غفر لك ! على نفس الأساس الذى به نلت إمتيازاً عظيماً يلزمك أنت أيضا ان تسامح أخاك ! ...

كن محباً للحب ، فبه قد خلصت ، وبه صرت إبنا !

إن كان فى قدرتك ان تنقذ الآخرين ، أفلا تستخدم معهم نفس العلاج (الذى أستخدم بالنسبة لك) مقدماً النصيحة للجميع : « إغفروا يُغفر لكم » .

القديس يوحنا الذهبى الفم(١٦٤)

+ لقد أسلم بواسطة الآب (رو ٨ : ٣٢) ، كما أسلم نفسه بارادته (أف ٥ : ٢ ؛ غلا ١ : ٣ ، ٤) ، فمن الواضح أن عمل الآب وإرادته هما واحد مع الإبن .

القديس أمبروسيوس(١٦٥)

« إسلكوا فى المحبة »

٢ ــ السلوك فى نور القيامة

إذ بالحب العملى نمتثل بالله النور نحمل شركة طبيعته فنُحسب « **أولاد نور** » ع ٨ ، لا مكان لظلمة الموت فينا ، بل ننعم فينا بنور القيامة . خلال هذا المفهوم يوصينا الرسول أن نسلك عملياً كأولاد للنور متمتعين بقوة القيامة وبهجتها فى داخلنا ، معلنة فى حياتنا اليومية وسلوكنا الخفى والظاهر ، تاركين أعمال الظلمة غير اللائقة بنا ، إذ يقول :

« وأما الزنا وكل نجاسة أو طمع فلا يُسم بينكم كما يليق بقديسين ،

ولا القباحة ولا كلام السفاهة والهزل التى لا تليق بل بالحرى الشكر ،

فإنكم تعلمون هذا أن كل زانٍ أو نجس أو طماع الذى هو عابد للأوثان ليس له ميراث فى ملكوت المسيح والله .

لا يغركم أحد بكلام باطل ، لأنه بسبب هذه الأمور يأتى غضب الله على أبناء المعصية ،

فلا تكونوا شركاءهم ،

لأنكم كنتم قبلاً ظلمة وأما الآن فنور فى الرب ،

إسلكوا كأولاد نور » ع ٣ ــ ٨ .

يلاحظ فى النص الآتى :

أولاً : أبرز أعمال الظلمة التى « **لا تليق** » بنا كأولاد النور ، بل ولا تُسم بيننا ... كنا قبلاً نمارسها لأننا كنا ظلمة ، أما الآن فنحن نور فى الرب . وقد ركز فى حديثه عن أعمال الظلمة على ثلاثة خطايا ، هى « **الزنا وكل نجاسة أو طمع** » ع ٣ ؛ هذه الأمور الثلاثة التى لا يليق مجرد ذكر إسمائها بيننا إن كنا بالحقيقة قديسين فى الرب . يعود فيكرر نفس هذه الخطايا الثلاث (ع ٥) كعلة لحرمان الإنسان من ملكوت الله . وكما يقول **الأب صرابيون** : [يجب علينا أن نتجنب هذه (الخطايا) الثلاث على قدرٍ متساوٍ من الحرص ، فإن واحدة منها كما أن جميعها تغلق أمامنا ملكوت المسيح وتستبعدنا عنه بقدرٍ متساوٍ(١٦٦)] .

ثانياً : يرى **القديس يوحنا ذهبى الفم**(١٦٧) أن الرسول بولس قدم المجموعة الأولى من الشرور : « كل مرارة وسخط وغضب الخ » ٤ : ٣١ ، وأن علة هذه الشرور هى الصياح أو الصخب ؛ أما المجموعة الثانية « الزنا وكل نجاسة أو طمع » فهى تنبع عن الشهوات الجسدية وعلتها « **كلام السفاهة والهزل** » ع ٤ عوض كلمات الشكر لله .

كأن الرسول بولس وهو يقدم لنا أعمال الشر يضع أيدينا على علة هذه الأعمال أو بدايتها التى تبدو أمراً تافهاً ثم تستفحل ... فقد يستتفه الإنسان « الصياح » أو « الصخب » عوض الهدوء والسكون ... هذا الصخب يفسد عينَى الإنسان أو بصيرته الداخلية فيبدأ يغضب ، ثم يتحول الغضب إلى حقد ومرارة نحو الغير ، وقد يتحول إلى قتل أن لم يكن جسدياً فمعنوياً ، ؛ هنا أيضا يبدأ الإنسان بكلمات المزاح غير اللائقة لتتحول إلى كلام السفاهة ، فتثير شهوات الإنسان نحو الزنا والنجاسة والطمع . لذا يحذرنا الحكيم سليمان ، قائلاً : « إبعد طريقك عنها ، ولا تقرب إلى باب بيتها » أم ٥ : ٨ .

الكلمة القبيحة أو كلام السفاهة والهزل (ع ٤) ، علامة من علامات الفراغ الداخلى ، تهدم ولا تبنى ، تدفع إلى الزنا وكل نجاسة وطمع ، لذا يقول **القديس**

يوحنا الذهبى الفم فى تعليقه على هذه العبارات الرسولية :

[الكلمات هى الطريق للأعمال ...

أى نفع للنطق بالفكاهة ؟ إنك مجرد تضحك !

أخبرنى ، هل يشغل صانع الأحذية نفسه بشيء غير ما يمس مهنته ولمنفعتها ؟ هل يشترى أية آلة غير التى تخص عمله ؟ لا . فإنه لا لزوم للأمور التى لا نحتاج إليها .

إذن ، ليتك لا تتفوه بكلمة بطالة ، فخلال الكلمات البطالة تسقط فى أحاديث غبية .

الوقت الحاضر ليس وقت للضحك المتسيّب ، إنما هو وقت للحزن والتجارب والبكاء ، فهل تمزح ؟

أى مصارع يدخل حلقة المصارعة ليناضل ضد خصمه ، ينطق بفكاهات ؟

إبليس واقف مستعد ، إنه يزأر (١ بط ٥ : ٨) ليفترسك ، إنه يجول من كل جهة ، ويقلب كل الأمور ضد حياتك ، ويدبر مكائد لينزعك من راحتك ، يصرّ بأسنانه ويجأر ، يتنفس ناراً ضد خلاصك ، فهل تجلس أنت لتنطق بفكاهات وتتفوه بكلمات غبية ، وتتحدث بما هو ليس للنفع ؟ ! ...

الآن وقت للحرب (الروحية) والصراع ، للسهر والحراسة ، للتسلح والتسربل . لا مجال للضحك هنا ، فإن هذا خاص بالعالم ، إسمع ما يقوله المسيح : « العالم يفرح ، أنتم تحزنون » يو ١٦ : ٢٠ .

المسيح صلب من أجل شرورك ، وأنت تضحك ؟ ...

إسمع ما يقوله النبى : « إعبدوا الرب بخشية ، هللوا له برعدة » مز ٢ : ١١ . المزاح يجعل النفس رخوة وبليدة ...

ليس من هو معيب مثل المازح ، فانه ليس فى فمه شيء نافع بل مملوء أتعاباً(١٦٨)] .

ثالثاً : قابل الرسول « القباحة وكلام السفاهة والهزل » بعمل مضاد لائق بأبناء النور ألا وهو « الشكر » . فالمؤمن لا يُسر بالأعمال السابقة ، إنما بالحرى بممارسته للحياة الملائكية ، حياة الشكر لله والتسبيح الدائم . بهذا يُظهر فرحه الداخلي العميق الذى لا يقوم على تصرفات زمنية سخيفة وإنما على علاقته البنوية على مستوى أبدى .

فى حديثه السابق قابل أعمال الإنسان العتيق من كذب وغضب وسرقة وكلام ردىء بالعمل الأساسى فى الإنسان الجديد ألا وهو « المحبة » التى بها نتمثل بالله (٥ : ١) ، الآن يقابل أعمال الظلمة من زنا وكل نجاسة وطمع وقباحة وكلام السفاهة والهزل بعمل النور الأساسى ألا وهو « الشكر » ، عمل الملائكة النورانيين . بمعنى آخر بالحب نعلن بنوتنا لله ، وبالشكر نعلن شركتنا مع السمائيين .

رابعاً : يعلل الرسول بولس ضم « الطمع » إلى الزنا والنجاسة ، قائلاً : « **فانكم تعلمون أن كل زانٍ أو نجس أو طماع الذى هو عابد للأوثان ليس له ميراث فى ملكوت المسيح والله** » ع ٣ ، حاسباً الطمع ليس بالأمر الهين كما يظن الكثيرون ، خاصة إذا قورن بالزنا والنجاسة ، فان الطمع هو « عبادة أوثان » (كو ٣ : ٥) ، إذ يقيم الإنسان المال إلهاً له . فإن كان الزنا يعنى عبودية الإنسان لشهوات الجسد عوض الحياة المقدسة فى الرب ، فالطمع هو عبودية الإنسان للأمور الزمنية عوض الحياة الأبدية والمجد السماوى فى الرب . فلا يليق الإستهانة بالطمع ولا بالزنا والنجاسة ... فإن هذه جميعها من سمات أبناء المعصية ، تجلب الغضب الإلهى (ع ٦) .

خامساً : لم يقل الرسول « كنتم قبلاً فى الظلمة وأما الآن ففى النور » ، وإنما قال : « **كنتم قبلاً ظلمة وأما الآن فنور** » ع ٨ . فمن يسلك فى الظلمة تمتزج حياته بها ليصير هو نفسه كما لو كان ظلمة ، ومن يسلك فى نور الرب يصير هو نفسه نوراً وبركة : كقول الرب : « أنتم نور العالم » (مت ٥ : ١٤ ، لو ١١ : ٣٣ — ٣٦ ، يو ٥ : ٣٥) .

سادساً : إذ صاروا نوراً بالرب « النور الحقيقى » يلتزمون بالسلوك كأبناء

للنور (ع ٨) ، فتصير الحياة المقدسة ثمراً طبيعياً فيهم ، وليس عملاً مفتعلاً !
لذا يقول : « **إسلكوا كأولاد نور ، لأن ثمر النور (الروح) هو فى كل صلاح وبرّ وحق ، مختبرين ما هو مرضى عند الرب** » ع ٨ ــ ١٠ .

+ يقول إنه ليس بفضلكم الذاتى وإنما خلال نعمة الله تقتنون هذا ، فقد كنتم قبلاً تستحقون العقاب ، وأما الآن فلا تستحقون .

القديس يوحنا الذهبى الفم[١٦٩]

+ إذ كنتم فى الظلمة لم تكونوا فى الرب ، لكن إذ إستنرتم فإنكم تضيئون بالرب وليس من ذواتكم .

القديس أغسطينوس[١٧٠]

+ [فى حديثه عن بطرس الرسول الذى سار على المياه كأمر سيده]

كان قادراً أن يعمل ما فعله الرب ، لكن ليس من عندياته وإنما فى الرب ...

سار بطرس على الماء كأمر الرب ، مدركاً أنه يعجز عن التمتع بهذه القوة من ذاته .

بالإيمان صار لديه القوة ليحقق ما يعجز الضعف البشرى عن عمله .

القديس أغسطينوس[١٧١]

إن كان السيد المسيح هو شمس البر ، فإننا بروحه القدوس ، الذى هو « النور » ننعم بثمر النور : « كل صلاح وبرّ وحق » . فكما أن الحياة الزمنية ما كان يمكن أن يكون لها وجود بدون الشمس ، مع الفارق الشاسع لا حياة لنا بدون شمس البر واهب كل صلاح ، وبرّ وحق .

سابعاً : بقوله : « **مختبرين ما هو مرضى عند الرب** » ع ١٠ يميز بين السالكين بأعمال الظلمة والسالكين بأعمال النور ، فإن الأولين يمارسون ما هو مرضى لأنفسهم أو لغيرهم ، أما أولاد النور فيهتمون كيف يرضون الله ، مرددين فى أعماقهم عبارات الرسول : « ماذا تريد يارب أن أفعل ؟ » .

ثامناً : إذ تمتعنا بالرب النور الذى بقيامته بدّد سلطان الظلمة ، فتركنا أعمال الظلمة وإنتقلنا إلى النور ، فصرنا به نوراً ، نحمل ثمر النور ، يحذرنا الرسول بولس من النكوص إلى الوراء والعودة إلى الظلمة وأعمالها ، قائلاً :

« ولا تشتركوا فى أعمال الظلمة غير المثمرة بل بالحرى وبّخوها ،

لأن الأمور الحادثة منهم سرّاً ذكرها أيضاً قبيح ،

ولكن الكل إذا توبخ يظهر بالنور ، لأن كل ما أظهر فهو نور » ع ١١ ــ ١٣ .

بمعنى آخر أراد الرسول من المؤمنين أن يحددوا موقفهم ، إن كانوا أولاد نور أم أولاد ظلمة ، وذلك ليس خلال المناقشات الغبية وإنما خلال الحياة العملية . هذا ما يؤكده فى أكثر من موضع ، إذ يقول : « أية خلطة للبر والإثم ؟ ! وأية شركة للنور مع الظلمة ؟ ! وأى إتفاق للمسيح مع بليعال ؟ ! وأى نصيب للمؤمن مع غير المؤمن ؟ ! » ٢ كو ٦ : ١٤ ، ١٥ . وبنفس المعنى يقول القديس يوحنا الحبيب : « بهذا أولاد الله ظاهرون وأولاد إبليس ، كل من لا يفعل البرّ فليس من الله وكذا من لا يحب أخاه » ١ يو ٣ : ١٠ .

تاسعاً : بسلوكنا فى النور كأولاد للنور ، نأتى بثمر النور ، معلنين بذلك أن أعمال الظلمة « غير مثمرة » ، بالأولى (أعمال النور) تنفضح أعمال الشرير وتوبّخ (ع ١١)، وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [يقول : « أنتم نور » ، الآن النور يوبّخ ما يدور فى الظلمة . كأنه يقول إن كنتم فضلاء وواضحين لا يقدر الأشرار أن يختفوا ، وذلك كما لو أضيئت شمعة ، يصير الكل فى نور ، ولا يقدر اللص أن يدخل ، هكذا إذ يشرق نوركم ينفضح الأشرار ويُمسكون . عملنا إن نكشفهم ، فلماذا يقول ربنا : « لا تدينوا لكى لا تُدانوا » مت ٧ : ١ ، ٣ . لم يقل بولس : « دينوهم » بل « وبخوهم » ، أى أصلحوا أمرهم[١٧٢]] .

عاشراً : الآن يختم حديثه عن السلوك فى النور بتأكيد تمتعنا بنور قيامته وتأكيد الغلبة والنصرة للنور على الظلمة ، مقتبساً فى الغالب تسبحة كانت من صميم ليتورجية العماد ، تمجّد السيد المسيح الذى يهب البشرية الإستنارة عوض

الظلمة والحياة المقامة عوض موت الخطية (يو ١١ : ١١) ... يهب مؤمنيه الحياة الجديدة المقامة بطريقة خلّاقة جديدة تقابل خلقة النور ، إذ يقول : « **لذلك يقول : إستيقظ أيها النائم وقم من الأموات فيضيء لك المسيح** » ع ١٤ .

+ هذه هى قيامة القلوب ، أى قيامة الإنسان الداخلى ، أو قيامة النفوس .

+ هو بعينه الذى يهب النور للأعمى يقيم الموتى .

القديس أغسطينوس[١٧٣]

+ يقصد بالنائم والميت الإنسان الذى فى الخطية ، فإنه تفوح منه روائح كريهة كرائحة الميت ، ويكون متبلداً كمن هو نائم ، فيكون كمن لا يرى شيئاً وإنما يعيش فى الأحلام والأوهام والتخيلات ...

أترك الخطية فتقدر أن تعاين المسيح ، « لأن كل من يعمل السيئات يبغض النور ولا يأتى إلى النور » يو ٣ : ٢٠ . فمن لا يرتكبها يأتى إلى النور ...

« ليس الله إله أموات بل إله أحياء » مت ٢٢ : ٣٢ ، فإن كان ليس إله أموات ، فلنحيا نحن .

القديس يوحنا الذهبى الفم[١٧٤]

٣ ــ التدقيق فى السلوك والعبادة

إن كان كلمة الله فى محبته وهبنا نور قيامته مشرقاً فينا ، لنقوم من موت الخطية ، فمن جانبنا نلتزم بالحياة المدققة لا كجهلاء بل كحكماء ، وقد أوضح الرسول النقاط التالية :

أولاً : « فأنظروا كيف تسلكون بالتدقيق لا كجهلاء بل كحكماء » ع ١٥ .

الحياة الروحية أشبه بمبنى يُقام أساسه بقيامة الرب الواهبة النور عوض الظلمة، والحياة عوض الموت ، لكى يبقى المؤمن يعمل كل أيام تغربه بكل حكمة وتدقيق ، لا بذاته إنما بالنعمة المجانية ، أى بالحياة المقامة فى المسيح الموهوبة له .

هذا البناء الروحي الداخلي يمارسه كل مؤمن ، كما يمارسه العاملون فى الكرم لحساب الجماعة كلها ، كقول الرسول نفسه : « فلينظر كل واحد كيف يبنى عليه » ١ كو ٣ : ١٠ .

هنا نلاحظ أنه لا يكفى التدقيق فى السلوك وإنما تلزم « الحكمة » أيضاً فى التصرف... فقد حسب البعض أن الإيمان بالمصلوب غباوة وجهالة ، وأن الإتكال على الله يعنى تجاهل التفكير والحكمة ، لذا ركز الرسول كثيراً على « الحكمة » و « المعرفة » فنجده بعد قليل يؤكد : « **فاهمين ما هى مشيئة الرب** » ع ١٧ . هذا الخط واضح فى كل كتابات الرسول ، إذ دعانا الرب للشركة معه فننعم بالفهم وإدراك إرادته والتمتع بحكمته .

ثانياً : مفتدين الوقت لأن الأيام شريرة » ع ١٦ .

علامة التعقل والحكمة مع التدقيق فى السلوك هو « إفتداء الوقت » . فالمؤمن يدرك أن حياته الزمنية هى ثروته الحقيقية من جهة كونها علة إكليله الأبدى أو هلاكه ، إن أفتدى وقته تحول جهاده الزمنى السريع إلى إكليل سماوى خالد ، وإن أهمل فى أيامه القصيرة تحطمت أبديته الحقة !

« الأيام شريرة » لأنها تخدع الإنسان ، فينجذب إلى الزمنيات كمن هو خالد فى العالم ليجد نفسه قد طُلبت فجأة لتقف قدام الديان تعطى حساباً عن وكالتها .

وللقديس البابا ثاوفيلس حديث مع الأم ثيؤدورا بخصوص هذه العبارة سبق عرضه فى كتابنا : « قاموس آباء الكنيسة وقديسيها(١٧٥) » .

يقول **القديس أغسطينوس** : [أليست هذه أياماً شريرة بالحق إذ نقضيها فى الجسد الفاسد أو تحت ثقله ، وسط التجارب والضيقات العظيمة ، فلا توجد إلا المباهج الباطلة ، دون فرح أكيد ، وإنما يوجد خوف مرعب وطمع جشع وحزن مذبل (للإنسان) ؟ ! يا لها من أيام شريرة ، ومع هذا فلا يوجد من يريدها أن تنتهى بل يطلب الناس العمر الطويل(١٧٦)] .

حقاً إنها أيام شريرة ومقصرة ، إذ يرى كثير من الآباء أن الأنبياء فى العهد القديم والرسل فى العهد الجديد بل والرب نفسه يؤكدون سرعة مجىء الرب

الأخير ، لكى نكون دوماً على إستعداد لملاقاته ، حاسبين أن الزمن — مهما طال — فهو أيام شريرة إن قورن بالأبدية المطوّية . لذا جاء فى نص منسوب **للقديس هيبوليتس الرومانى** : [حقا ، أى عذر لإنسان يسمع هذه الأمور فى الكنيسة من الأنبياء والرسل ومن الرب نفسه دون أن يعطى إهتماماً لنفسه ولا لنهاية الأزمنة والإقتراب من الساعة التى فيها يقف أمام كرسى المسيح ؟ !(١٧٧)] .

يعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** على العبارات السابقة (ع ١٥ — ١٧) قائلاً إنه يطالبهم بالسلوك بتدقيق وبحكمة دون جهالة لينزع عنهم جذور المرارة وكل أساس للغضب ، فإنهم قد دعوا كحملان ليعيشوا وسط ذئاب ، يجدون مقاومة من الخارج كما من أهل البيت أيضاً ، لذا يحتاج الأمر منهم إلى السلوك بتدقيق وبحكمة حتى لا يتسرب الغضب إلى قلوبهم ، بل يهتموا بإعلان رسالة الإنجيل خلال الحب العملى حتى للمقاومين ، وأن نعطى لكل ذى حق حقه (رو ١٣ : ٧) ... ويختم حديثه بالقول : [عندما يرى بقية العالم أننا نحتمل بصبر يخجلون(١٧٨)] .

يكمل القديس يوحنا تعليقه موضحاً السلوك بحكمة وافتداء الوقت بالقول :

[الوقت ليس ملككم !

فى الوقت الحاضر أنتم غرباء ورحّل وأجنبيون ، فلا تطلبوا الكرامات ، ولا تبحثوا عن المجد ولا السلطة أو الإنتقام ، إحتملوا كل شيء « مفتدين الوقت » .

أقول إننى أتصور إنساناً له بيت عظيم وقد ذهب إليه أناس ليقتلوه ، فإلتزم بدفع مبلغ كبير ليفدى حياته . هكذا أيضاً أنت لك بيت عظيم وإيمان حقيقى فى خزانتك . إنهم يريدون الحضور ليسحبوا هذا كله . إعطهم ما يريدون وإنما إحفظ الأمر الرئيسى ، أقصد « الإيمان » .

يقول : « **لأن الأيام شريرة** » ...

ما هو شر الجسد ؟ المرض !

ما هو شر النفس ؟ الشر (الخطية) !

ما هو شر الماء ؟ المرارة .

شر كل شيء يناسب طبيعته ويفسدها ...

بنفس الطريقة كما إعتدنا نقول : « قضيت يوماً رديئاً وشريراً » . الأحداث الصالحة التي تتم في اليوم هي من الله ، أما الشريرة فهي من الناس الأشرار . إذن فالشرور التي تحدث في الأزمنة هي من صنع البشر ، لذا قيل أن الايام شريرة ، كما يقال إن الأزمنة شريرة(179)] .

ثالثاً : ولا تسكروا بالخمر الذى فيه الخلاعة بل أمتلؤا بالروح » ع ١٨ .

لوط الذى عذب نفسه بأفعال سدوم وعمورة الأثيمة ، حين سكر أنجب من إبنتيه موآب وعمون ، فكانا ونسلهما من بعدهما مقاومين لعمل الله ولشعبه عبر الأجيال . وهكذا كل من ينحرف نحو السكر يثمر مقاومة ومضاداة لأعمال الله . لذا يحذرنا **القديس جيروم** ، قائلاً : [لقد وجد الموآبيون والعمونيون أصلهم فى السكر (تك ١٩ : ٣٠ ــ ٣٨)(180)] .

يقول القديس يوحنا الذهبى الفم :

[يليق بالإنسان العادى أن يتحفظ من السكر من كل جانب ، فكم بالأكثر يلزم بالجندى (الروحى) الذى يعيش بين السيوف ، ويتعرض لسفك دمه والقتل ...

إسمع ما يقوله الكتاب : « إعطوا مسكراً لهالك ، وخمراً لمرّى النفس » أم ٣١ : ٦ ...

لقد أُعطيت الخمر لنا لا لهدف سوى صحة الجسد (أى لنواحٍ طبيه) ، لكن هذا الهدف فسد بسبب سوء الإستخدام . إسمع ما يقوله رسولنا الطوباوى لتيموثاوس : « إستعمل خمراً قليلاً من أجل معدتك وأسقامك الكثيرة » ١ تى ٥ : ٢٣ ...

يقول : أتريد أن تكون فرحاً ؟ أتريد أن تشغل اليوم ؟ أعطيك المشروب الروحى . لأن السكر يفقدنا حتى صلاح لساننا الواضح ، فيجعلنا متلجلجين ومتلعثمين ، ويشوه العينين وكل الملامح . تعلّم التسبيح بالمزامير فتلمس عذوبة العمل . فإن الذين يسبحون بها هو مملؤون بالروح القدس كما أن الذين يتغنون بالأغانى الشيطانية هم مملؤون بالروح النجس(١٨١)] .

إذن عوض البهجة بسكر هذا العالم لتمتلىء بعمل روح الله القدوس الساكن فينا فتسكر نفوسنا بحب الله بلا إنقطاع ، وتهيم دائماً فى سموات تطلب البقاء فى أحضانه أبدياً .

هنا يليق بنا أن نشير إلى أن الإمتلاء بالروح لا يعنى حلولاً خارجياً نتقبله وإنما هو قبول عمل الروح فينا والتمتع بقوته العاملة داخل النفس . لقد عبّر **القديس باسيليوس** فى كتابه عن الروح القدس عن هذا الإمتلاء بقوله إن الروح يُعطى للإنسان قدر إستعداد الإنسان ، وكأن الروح لا يكف عن أن يعطى مادام الإنسان يفتح قلبه لعمله فيه ويتجاوب معه .

يعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** على العبارة : « وأما شاول الذى هو بولس أيضاً فامتلأ من الروح القدس وشخص اليه ، وقال : أيها الممتلىء كل غش وكل خبث يا إبن إبليس يا عدو كل برّ ألا تزال تفسد سبل الله المستقيمة ؟ ! » أ ع ١٣ : ٩ ، ١٠ : [لا يفتكر أحد أن بولس لم يكن مملوءاً من الروح عندما تحدث مع الساحر ، لكن الروح القدس الساكن فيه ملأه قوة ليقف أمام الساحر ؛ فكما أن الساحر يحمل قوة الشر قدم له الروح قوة ...(١٨٢)] .

رابعاً : مكلمين بعضكم بعضاً بمزامير وأغانى روحية ، ومرتلين فى قلوبكم للرب ، شاكرين كل حين على كل شىء فى إسم ربنا يسوع المسيح لله والآب » ع ١٩ ، ٢٠ .

لقد أعطانا الرسول نفسه مثلاً إذ قدم لنا فى نفس الرسالة الكثير من المقتطفات عن التسابيح الكنسية ، موضحاً بطريقة عملية كيف أن هذا التسبيح مبهج للنفس وللجماعة ككل ، فقد كانت الكنيسة الأولى « جماعة مقدسة دائمة

التسبيح » ، يصفها الإنجيلي لوقا ، قائلاً : « كانوا يتناولون الطعام بإبتهاج وبساطة قلب ، مسبحين الله ولهم نعمة لدى جميع الشعب » أ ع ٢ : ٤٦ ، ٤٧ ..

التسبيح والشكر هما من عمل الكنيسة السماوية ، أو من عمل السمائيين ، فإن قبلنا فى المسيح الحياة السماوية صار التسبيح نابعاً من أعماق القلب طبيعياً ، يتجاوب معه كل كيان الإنسان ، حتى أن كان فى وسط الضيق . هذا ما هزّ الوثنيون إذ رأوا المسيحيين يسبحون الله داخل السجون ، خاصة حين يصدر الحكم بقتلهم .

فى القرنين الرابع والخامس على وجه الخصوص كانت الأديرة المصرية وبراريها فراديس لا تسمع فيها سوى صوت التسبيح غير المنقطع ، كما أخبرنا القديس يوحنا كاسيان .

والكنيسة تعلن طبيعتها المتهللة بالرب بالتسبيح فى كل ليتورجياتها ، كما فى الصلوات الخاصة بكل عضو ...

يعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** على العبارات الرسولية السابقة ، قائلاً :

[ماذا يعنى « **فى قلوبكم للرب** » ع ١٩ ؟

إنها تعنى أن يكون (التسبيح) بإصغاء شديد وفهم ، فمن لا يصغى تماماً يترنم ناطقاً بالكلمات بينما يجول قلبه هنا وهناك .

يقول : « **شاكرين كل حين ...** » ع ٢٠ ، بمعنى : « لتعلم طلباتكم لدى الله بالشكر » (راجع فى ٤ : ٦) ، فإنه ليس شىء يسّر الله مثل إنسان شاكر .

نحن نصير قادرين على تقديم الشكر لله بسحب نفوسنا من (الخطايا) السابق ذكرها ، وتطهيرها بالوسائل التى أخبرنا (الرسول) عنها .

يقول : « **بل إمتلئوا بالروح** » ع ١٨ .

هل الروح فينا ؟ نعم ، بالحق هو فينا ، فإننا إذ ننزع الكذب والمرارة والزنا

والنجاسة والطمع عن نفوسنا ، وإذ نصير هكذا شفوقين مسامحين بعضنا البعض ، ليس فينا مزاح ، بهذا نحسب مؤهلين ، فما الذى يمنع الروح من حلوله فينا وإنارتنا ؟

إنه ليس فقط يحل وإنما يملأ قلوبنا ، وإذ يلتهب فينا نور عظيم هكذا لا يكون طريق الفضيلة صعباً بل سهلاً وبسيطاً .

يقول : « **شاكرين كل حين على كل شىء** » ع ٢٠ .

ما هذا ؟ هل نشكر على كل ما يحل بنا ؟ نعم ، حتى وإن حلّ بنا مرض أو فقر . فإن كان فى العهد القديم ينصحنا الحكيم : « إقبل ما يحل بك بفرح وصبر حينما تصير إلى حال أقل » (إبن سيراخ ٢ : ٤) فكم بالأولى فى العهد الجديد ؟ !

نعم ، قدم التشكرات حتى ولو لم تعرف الكلمة (التى تقدمها) ! ...

إن كنت تشكر فى الراحة والرخاء والنجاح والغنى فهذا ليس بالأمر العظيم ، ولا هو بالعجيب ، إنما يلزم على الإنسان أن يشكر حين يكون فى أحزان وضيقات ومتاعب . ليست كلمة أفضل من القول : « أشكرك أيها الرب » ...

لنشكر الرب على البركات التى نراها والتى لا نراها أيضاً ، والتى نتقبلها بغير إرادتنا ، فإن كثيراً من البركات ننالها بغير رغبتنا ودون معرفتنا ...

حينما نكون فى فقر أو مرض أو نكبات فلنزد تشكراتنا ، لا أقصد بالتشكرات خلال الكلمات واللسان وإنما خلال العمل والأفعال ، وفى الذهن وبالقلب . لنشكره بكل نفوسنا ، فإنه يحبنا أكثر من والدينا ، وكبُعد الشر عن الصلاح هكذا الفارق الشاسع بين حب الله لنا وحبّ آبائنا . هذه ليست كلماتى إنما هى كلمات المسيح نفسه الذى يحبنا . إسمعه يقول : « أم أى إنسان منكم إذا سأله إبنه خبزاً يعطيه حجراً ؟ ! ... فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة فكم بالحرى أبوكم الذى فى السموات يهب خيرات للذين يسألونه ؟ ! » مت ٧ : ٩ ، ١١

إسمع أيضا ما قيل فى موضع آخر : « هل تنسى المرأة رضيعها فلا ترحم إبن بطنها ؟ ! حتى هؤلاء ينسين وأنا لا أنساك » إش ٤٩ : ١٥ .

إن كان لا يحبنا فلماذا خلقنا ؟

هل من ضرورة تلزمه على خلقتنا ؟

هل نحن نقدم له عوناً أو خدمة ؟

هل يحتاج منا أن نرد له شيئاً ؟

إسمع ما يقوله النبى : « قلت للرب : أنت ربى ، خيرى لا شىء غيرك » مز ١٦ : ٢ ...

لنمجد الله على كل شىء !

يقول : خاضعين بعضكم لبعض فى خوف الله » ع ٢١

إن كنت تخضع من أجل الحاكم ، أو من أجل المال ، أو من أجل التكريم ، فبالأولى من أجل مخافة المسيح . ليكن بيننا تبادل الخدمات مع الخضوع ، فلا تكون بيننا أنانية . لا يجلس أحد كمن من طبقة الأحرار والآخر كمن من طبقة العبيد ، فمن الأفضل أن يخدم السادة والعبيد بعضهما البعض . من الافضل أن تكون عبداً بهذه الكيفية عن أن تكون حراً بالطريقة الأخرى ، كما يظهر من المثل التالى :

إفترض إنساناً له مئة عبد يخدمونه بكل طريقة ، وآخر له مئة صديق الكل يخدم بعضه البعض ، أى الحياتين أسعد ؟ ... فى الأولى الكل ملزمون بالعمل أما فى الثانية فيعملون بحرية إختيارهم ... الله يريدنا هكذا ، لذا غسل أقدام تلاميذه(١٨٣)] .

الآن بعد أن تحدث الرسول بولس عن الكنيسة من الجانب العملى ، خلال سلوك المؤمن اليومى ، بنزع أعمال الإنسان القديم وممارسته أعمال الإنسان الجديد ، رافضاً أعمال الظلمة كإبن للنور ، ممتلىء بعمل الروح القدس ... هذا السلوك يرتبط بعبادته أيضا فتتحول إلى تسبيح حقيقى داخلى وتشكرات لا تنقطع

تنبع لا عن الفم واللسان فحسب وإنما خلال القلب والفكر ، وكل الأحاسيس الداخلية كما خلال العمل . الآن يقدم لنا الرسول إنعكاسات هذه المفاهيم على حياتنا الأسرية ، التى لا تنفصل عن جهادنا الروحى ولا عن حياتنا الكنسية .

٤ ـــ العلاقات الزوجية وسرّ المسيح

إن كانت الكنيسة الجامعة ـــ كما أعلنها الرسول بولس فى هذه الرسالة ـــ هى كشف عن سرّ المسيح ، أى سرّ حب الله الفائق للبشرية خلال ذبيحة المسيح يسوع ربنا ، فإن هذا السرّ الإلهى يقدم لنا مفاهيم عميقة وجديدة للعلاقات الزوجية والأسرية والإجتماعية . ففى الحياة الزوجية نحمل صورة لعلاقتنا مع الآب فى المسيح يسوع ربنا ، علاقة الحب والوحدة، كما نرى فى العرس الأرضى أيقونة للعرس السماوى ، والبيت المسيحى ظلاً لبيت الله الأبدى(١٨٤) . من هنا فالشريعة الخاصة بالزواج والناموس الخاص بالبيت المسيحى إنما يُستمدان من عمل السيد المسيح الخلاصى .

ويلاحظ على النص الرسولى الذى بين أيدينا الآتى :

أولاً : الكشف عن الوحدة الزوجية بين الرجل والمرأة بكونها أيقونة للوحدة بين السيد المسيح وعروسه الكنيسة ، الأولى تستمد كيانها من الثانية ، لذا وجب أن يتم العرس فى ظل الصليب ، خلال وحدة الإيمان بالسيد المسيح المصلوب ، والإرتباط بكنيسته .

+ كيف يمكننا أن نعبر عن السعادة الزوجية التى تعقدها الكنيسة ، ويثبتها القربان ، وتختمها البركة ؟ !

العلامة ترتليان(١٨٥)

+ يجب على المتزوجين والمتزوجات أن يجروا إتحادهم برأى الأسقف، لكى يكون الزواج مطابقاً لإرادة الله لا بحسب الشهوة .

القديس أغناطيوس النورانى(١٨٦)

+ إذا كان لابد أن يعقد الزوج بحلة كهنوتية وبركة ، فكيف يمكن أن يكون زواج حيث الإيمان مختلف ؟!

القديس أمبروسيوس[١٨٧]

ثانياً : مفهوم الخضوع

كثيرون يسيئون فهم العبارة الرسولية : « **أيها النساء (الزوجات) إخضعن لرجالكن كما للرب** » ع **٢٢** ، فيحسبونها دعوة لخنوع المرأة وإستسلامها ، ولبث روح السلطة للرجل .

« الخضوع » فى المسيحية ليس خنوعاً ولا ضعفاً ، ولا نقصاً فى الكرامة ، هذا ما أعلنه كلمة الله المتجسد حين أعلن طاعته للآب وخضوعه له مع أنه واحد معه فى الجوهر ، رافعاً من فضيلة « الخضوع » ليجعلها موضع سباق لعلنا نبلغ سمة المسيح الخاضع والمطيع . والعجيب أن الإنجيلى لوقا يقول بأن « يسوع » كان خاضعاً للقديسة مريم والقديس يوسف النجار (لو ٣ : ٥١) ، مع كونه خالقهما ومخلصهما ، وخضوعه لم يعيقه عن تحقيق رسالته التى غالباً لم يدركاها فى كمال أعماقها ، إذ قال بإتضاع وصراحة : « لماذا كنتما تطلبانني ؟ ألم تعلما أنه ينبغى أن أكون فى ما لأبى » لو ٣ : ٤٩ . فالخضوع ليس إستسلاماً على حساب رسالة الشخص ، ولا طاعة عمياء دون تفكير ، وإنما إتساع قلب وقبول لإرادة الغير بفكر ناضج متزن .

قدم لنا **القديس هيبوليتس الرومانى** فهماً لخضوع الإبن للآب ، ليس علامة على إنتقاص لأقنومه وإنما على تناغمه وإتفاقه ووحدته مع الآب ، إذ يقول : [يرتد تدبير الإتفاق إلى الله الواحد . فإن الله واحد : الآب يوصى والإبن يطيع والروح يهب فهماً ... الآب أراد والإبن فعل والروح أعلن ، هذا ما يوضحه الكتاب المقدس كله[١٨٨]] .

إذن فخضوع الزوجة لرجلها هو مشاركة السيد المسيح طاعته وخضوعه للآب كعلامة الحب والوحدة ، وليس إهداراً للكرامة أو كإنقاصاً من شأنها .

والقديس **يوحنا ذهبي الفم** يرى أن المرأة وهى موضع حب رجلها الشديد يلزمها ألا تقابل هذا الحب بكبرياء بل بخضوع كرد فعل لمحبته ، إذ يقول : [المحبة من إختصاص الرجال ، أما الخضوع فمن إختصاص النساء ، فإن قدم كل إنسان ما يلتزم به تثبت الأمور ، فالرجل بحبه للمرأة تصير هى محبة له ، والمرأة بطاعتها للرجل يصير وديعاً معها . لا تنتفخى لأن الرجل يحبك ، فقد جعله الله يحبك لتطيعيه فى خضوع بسهولة . لا تخافى من خضوعك له ، لأن الخضوع للمحب ليس فيه صعوبة(١٨٩)] .

والقديس **أغسطينوس** يطالب الزوجات أن يقتدين بالقديسة مريم التى إتسمت بالإتضاع المقدس فقدمت يوسف رجلها عنها (لو ٢ : ٤٨) مع أنها نالت شرف ولادتها للسيد المسيح(١٩٠) .

بهذا فهم الآباء خضوع الزوجة بمنظار روحى خلال الصليب ، لا يفقدها مساواتها له ولا مشاركته التدبير وتحمل المسئولية إنما يزينها بالفضيلة ويمجدها لتكسب أيضا محبته .

يقول **القديس أمبروسيوس** : [ليت الرجل يقود زوجته كربان ، يكرمها كشريكة معه فى الحياة يشاركها كوارثة معه فى النعمة(١٩١)] .

وقد سبق لنا الحديث فى شيء من الإفاضة عن خضوع الزوجة فى كتاب : « الحب الزوجى » .

ثالثاً : رئاسة الرجل وحبه

كثيراً ما يتمسك الرجل بالرئاسة بكونها « سلطة » وديكتاتورية ، لذا ربط الرسول بولس الرئاسة بالحب الباذل ، إذ يقول : « **لأن الرجل هو رأس المرأة ، كما أن المسيح أيضاً رأس الكنيسة وهو مخلص الجسد** » ع ٢٣ .

فرآسة السيد المسيح لكنيسته أُعلنت خلال محبته الباذلة على الصليب لخلاصها ، وهكذا إذ يريد الرجل أن يكون رأساً فليقدم حباً باذلاً عملياً ! وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [إهتم بها بنفس العناية التى تعهد بها المسيح

الكنيسة . نعم ، حتى وإن أحتاجت أن تقدم لها حياتك ! نعم ، وإن إحتاجت أن تتقطع أجزاء ربوات المرات ! نعم ، لتحتمل أى ألم مهما كان ولا تمتنع ![192]] .

إن كان الرجل هو الرأس فلا مكان للرأس بدون الجسد ، ولا حياة للرأس بدون الجسد . يقول **القديس أمبروسيوس** : [الرجل بدون زوجته يحسب كمن هو بلا بيت[193]] .

رابعاً : الشركة فى الصليب

حينما تمارس الزوجة خضوعها لرجلها فى الرب ، ويمارس الرجل حبه لعروسه من أجل الرب ، إنما يشترك الإثنان معاً بصورة أو بأخرى فى عمل السيد المسيح الذبيحى بالبذل الحقيقى ، فتصير حياتهما الزوجية علامة منظورة عن شركتهما فى عمل السيد المسيح المبذول الخفى . بمعنى آخر يرى الزوجان فى ذبيحة المسيح ، ذبيحة الحب عن الآخرين ، نموذجاً حياً ورصيداً لحياتهما الأسرية . هذا ما نلمسه من حديث الرسول بولس : « **ولكن كما تخضع الكنيسة للمسيح كذلك النساء لرجالهن فى كل شىء ؛ أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها** » ع **٢٤ ، ٢٥** .

تحت ظل الصليب تقدم الزوجة خضوعها بفرح من أجل الرب ، ويعلن الزوج حبه لزوجته لهما كان تصرفها ، ممتثلاً بالسيد المسيح الذى قدم حياته لتقديس المؤمنين .

من كلمات **القديس يوحنا الذهبى الفم** للزوج : [إن رأيتها تزدرى بك وتأنف منك وتحتقرك ، فتفكيرك العظيم تجاهها ومودتك ولطفك تقدر أن تخضعها لك . فإنه ليس شىء أعظم قوة فى الإستمالة أكثر من هذه الرباطات ، خاصة من الزوج والزوجة ! ... نعم فانه بالرغم مما قد تعانيه من بعض الأمور من ناحيتها فلا تعنفها ، لأن المسيح لم يفعل ذلك[194]] .

فى قوة وبوضوح تحدث الرسول بولس عن حب المسيح لكنيسته كمصدر حىّ لحب الرجل لزوجته ، قائلاً :

« وأسلم نفسه لأجلها ،

لكى يقدسها ، مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة ،

لكى يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شيء من مثل ذلك ،

بل تكون مقدسة وبلا عيب » ع ٢٤ ــ ٢٧ .

ويلاحظ فى محبة السيد المسيح لكنيسته الآتى :

ا ــ انه أسلم نفسه لأجلها ، لأن المحبة « لا تطلب ما لنفسها » ١ كو ١٣ : ٥ . المسيح فى علاقته بنا يطلب خلاصنا ، لننعم بشركة الميراث معه ؛ هو لا يحتاج إلينا لكنه بالحب يبذل ذاته عنا . هكذا ليت الرجل فى علاقته بزوجته يحبها لأجل شخصها كمحبوبة لديه ، لا لأجل إشباع مطالب معينة بالنسبة له ، أيا كان نوعها !

ب ــ غاية السيد المسيح من عروسه أن يقدسها ويطهرها بمياه المعمودية وذلك بالكلمة ، إذ تتقدس المياه خلال السيد المسيح الكلمة ، مقدماً صليبه ثمناً لتقديسنا .

كانت ــ كما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** ــ مملوءة عيباً وبشعة وملومة ، فلم يشمئز منها ولا مقتها ، إنما أسلم نفسه من أجلها ، كقول الرسول : « وإذ نحن خطاة مات المسيح عنا » رو ٥ : ٥ . [وبالرغم من كونها هكذا أخذها وكساها بالجمال ، وغسلها ، ولم يرفض أن يسلم نفسه من أجلها(١٩٥)] .

فى قوة تحدث الرب على لسان حزقيال عن هذا الحب الباذل ، قائلاً :

« هكذا قال السيد الرب لأورشليم ، مخرجك ومولدك من أرض كنعان ، أبوك أمورى وأمك حثية .

أما ميلادك يوم وُلدت فلم تُقطع سرتك ، ولم تُغسلى بالماء للتنظف ، ولم تملحى تمليحاً ، ولم تقمّطى تقميطاً .

لم تشفق عليك عين لتصنع لكِ واحدة من هذه ، لترق لك ، بل طُرحت على وجه الحقل بكراهة نفسك يوم وُلدت .

فمررت بكِ ورأيتك مدوسة بدمك ، فقلت لكِ : بدمكِ عيشى ...
جعلتك ربوة كنبات الحقل ، فربوتِ وكبرتِ وبلغت زينة الأزيان .
نهد ثدياكِ ، ونبت شعرك ، وقد كنت عريانة وعارية .
فمررت بكِ ورأيتكِ ، وإذا زمنك زمن الحب .
فبسطت ذيلى عليكِ وسترت عورتك ، وحلفت لك ، ودخلت معكِ فى عهد يقول السيد الرب ، فصرتِ لى .

فحممتك بالماء وغسلت عنكِ دماءك ومسحتك بالزيت ،
وألبستك مطرزة ، ونعلتك بالتخس وأزرتك بالكتان ، وكسوتك بزاً ، وحليتك بالحلى ، فوضعت إسورة فى يديك وطوقاً فى عنقك . ووضعت خزامة فى أنفك ، وأقراطاً فى أذنيك ، وتاج جمال على رأسك ...

وأكلتِ السميذ والعسل والزيت ،
وجملت جداً جداً ، فصلحتِ لمملكة .

وخرج لكِ إسم فى الأمم لجمالك ، لأنه كان كاملاً ببهائى الذى جعلته عليك يقول السيد الرب » حز ١٦ : ٢ — ١٤ .

إنها صورة رائعة لعمل الله الفائق معنا خلال محبته الباذلة بالصليب !

حـ — يقول « **يحضرها لنفسه** » ، ففى طقس الزواج اليهودى كانت هناك فترة بين عقد الزواج وإستلام العروس ؛ هكذا وقّع السيد عقد الزوجية بدمه الطاهر على الصليب ، إشترانا وقبلنا عروساً له ، وفى مجيئه الأخير يستلم العروس حيث يجتمع كل المختارين معه على السحاب ، وكأنه يحضر عروسه لنفسه . لقد أحبها بلا مقابل ، لكنه ينتظرها عروساً له تجاوبه الحب بالحب ، وتشاركه المجد الأبدى !

هنا يلزمنا أن نتقف قليلاً ، فإن كان السيد المسيح فى محبته بذل حياته عن عروسه ، فهو يطلب تقديسها ، فلا ينعم بالعرس إلا المقدسين فيه . وكما يقول **القديس أغسطينوس** إن بعض السمك الردىء يدخل شبكة المسيح فى الكنيسة ، لكنه لابد أن يفرز فلا يكون له نصيب مع السمك الجيد(١٩٦) .

يقول **الأب دوروثيؤس من غزة** : [تجسد الرب يسوع المسيح ليعيد الانسان إلى صورته الأولى . ولكن كيف نرجع إلى تلك الصورة الأولى ؟ حين نتعلم من الرسول القائل : « لنطهر ذواتنا من كل دنس الجسد والروح » ٢ كو ٧ : ١ . لنتطهر فيظهر الشبه (بالله) الذى نلناه . لنعزل عنه دنس الخطية فيظهر بكل جماله خلال الفضيلة . يقول داود فى صلاته من أجل هذا الجمال : « أعطيت جمالى قوة » مز ٢٩ : ٨ . إذن فلنطهر أنفسنا فنعود إلى التشبه بالله ، الأمر الذى أقامه فينا(١٩٧)] .

د ـــ إذ تحدث عن تقديس الكنيسة خلال محبة المسيح الباذلة ، أشار إلى المعمودية ، قائلاً « **بغسل الماء بالكلمة** » ع ٢٦ .

+ يعلن الرسول الطوباوى ويؤكد أن المعمودية هى التى فيها يموت الإنسان القديم ويولد الإنسان الجديد ، قائلاً : « خلصنا بغسل الميلاد الثانى » تى ٣ : ٥ . فإن كان الميلاد الثانى (التجديد) يتم فى الجرن أى فى المعمودية ، فكيف يمكن لهرطقة ـــ وهى ليست عروس المسيح ـــ أن تلد بنيناً لله خلال المسيح ؟

إنها الكنيسة وحدها التى إلتصقت وإتحدت بالمسيح تلد روحياً أبناء ، كقول الرسول : « أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها ، لكى يقدّسها ، مطهراً إياها بغسل الماء » أف ٥ : ٢٥ ، ٢٦ . إن كانت هى المحبوبة والعروس ، وحدها تتقدس بالمسيح ، ووحدها تتطهر بجرنه ، فمن الواضح أن الهرطقة ـــ التى هى ليست عروس المسيح ـــ لا يمكن أن تتطهر ولا أن تتقدس بجرنه ولا أن تلد أبناء لله .

الشهيد كبريانوس(١٩٨)

هـ ـــ إذ أقام السيد المسيح كنيسته جسداً مقدساً له ، بكونه رأسها ، هكذا يرى الزوج فى زوجته جسده ، فيحبها ويهتم بها ، إذ يقول الرسول :

« كذلك يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم كأجسادهم .

من يحب إمرأته يحب نفسه .

فإنه لم يبغض أحد جسده قط بل يقوته ويربيه كما الرب أيضاً للكنيسة .

لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه » ع ٢٨ ـــ ٣٠ .

هنا يقدم الرسول ثلاث مقارنات : المسيح والكنيسة ، الرجل وزوجته ، الرأس والجسد .

فى الوقت الذى فيه أبرز مدى إتحاد الزوج بزوجته بكونها جسده ، حتى قال **القديس الذهبى الفم** : [ليس هناك شيء يلحم حياتنا مع بعضنا البعض هكذا مثل حب الرجل وزوجته(١١٩)] ، فقد أعلن الرسول أمرين : الأول مدى إتحادنا بالسيد المسيح « لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه » والثانى نظرتنا القدسية للجسد : « فإنه لم يبغض أحد جسده قط بل يقوته ويربيه » .

فمن جهة إتحادنا بالسيد المسيح بكوننا أعضاء جسمه ، فهو الغاية الأولى والرئيسية فى عمل الله الخلاصى وتمتعنا بإنجيله ... إذ يريدنا واحداً معه ، ننعم بالشركة معه أبدياً كأبناء أحباء وورثة . هذا الخط واضح جداً فى كل رسائل معلمنا بولس الرسول ، خاصة هذه الرسالة مادام يتحدث عن الكنيسة جسد المسيح .

أما من جهة قدسيتنا للجسد ، فقد أوضح اننا لا نبغض الجسد بكونه خليقة الله المقدسة ، إنما نبغض شهواته الدخيلة . الجسد لا يمثل عائقاً نود الخلاص منه خلال معاداتنا له ، بل هو عطية إلهية تبقى مقدسة مادمنا نسلك بالروح . وقد ركز الآباء على هذا الإتجاه الإنجيلى حتى لا ننحرف إلى الأفكار الغنوسية المعادية للجسد بكونه ـــ فى نظرهم ـــ عنصر ظلمة يجب إهلاكه .

يقول **القديس أغسطينوس** : [لنهتم بالجسد ، وإنما فقط فى حدود الصحة[٢٠٠]] .

و — إذ يتحدث الرسول عن الوحدة القائمة بين الزوجين يقدم لنا مفهوماً لهذه الوحدة منذ بدء الحياة الإنسانية ، يتحقق خلال عمل المسيح ، إذ يقول : « **من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بإمرأته ، ويكون الإثنان جسداً واحداً** ع **٣١** وقد إقتبس الرسول ذلك عن سفر التكوين (٢ : ٢٤) .

هذه الوحدة تظهر بصورة فريدة بين السيد المسيح وكنيسته . حيث دعاها الرسول « سرّاً » ، إذ يقول : « **هذا السرّ عظيم ، ولكننى أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة ، وأما أنتم الأفراد فليحب كل واحد إمرأته هكذا كنفسه ، وأما المرأة فلتهب (تحترم) رجلها** » ع **٣٢ ، ٣٣** .

لقد قدم السيد المسيح نفسه مثلاً ففى إتحاده بالكنيسة العروس ، كما يقول **القديس أغسطينوس** قام كما بترك الآب إذ أخلى ذاته عن الأمجاد وأخذ شكل العبد (فى ٢ : ٧) ، وان كان يبقى واحداً معه فى الجوهر بلا إنفصال ، كما ترك أمه أى الشعب اليهودى الذى أخذ منه الجسد خلال القديسة مريم اليهودية الجنس ... ليصير مع عروسه جسداً واحداً[٢٠١] .

+ + +



الكنيسة كما رأيناها فى الأصحاحات السابقة هى « سِّر المسيح » أو هى « حياتنا فى المسيح يسوع » ، خلالها يعرف المؤمن مركزه كعضو حىّ فى جسد المسيح الواحد ، له فاعليته فى بقية الأعضاء مع تمايزه بمواهب خاصة به لبنيان الجماعة .

الحياة الكنسية ليست فكراً فلسفياً نعتنقه لكنها خبرة نعيشها فى العبادة العامة والخاصة ، وفى سلوكنا مع الآخرين ، وفى حياتنا الزوجية والأسرية ، وفى سلوكنا اليومى فى العمل . إنها عطية الله لنا خلال الصليب ، نتقبلها فنعيش فى جهاد غير منقطع ضد عدو الخير المقاوم للمصلوب .

١ ــ العلاقات الوالدية . ١ ــ ٤ .
٢ ــ علاقات العمل . ٥ ــ ٩ .
٣ ــ الجهاد الروحى . ١٠ ــ ٢٠ .
٤ ــ الخاتمة والبركة الرسولية . ٢١ ــ ٢٤ .

+ + +

١ ــ العلاقات الوالدية

بدأ الحديث عن العلاقة المتبادلة بين الآباء والأبناء بدعوة الأبناء لطاعة والديهم فى الرب ، قائلًا :

« أيها الأولاد أطيعوا والديكم فى الرب ، لأن هذا حق ، أكرم أباك

وأمك التى هى أول وصية بوعد لكى يكون لكم خير وتكونوا طوال الأعمال على الأرض » ع ١ ـــ ٣ .

هذه الوصية ينقشها الناموس الطبيعى فى القلب ، إذ يشعر الأولاد بإلتزام طبيعى بالطاعة للوالدين خلال قرابة اللحم والدم القوية وشعور الأولاد ما يحتمله الوالدان من أتعاب وأسهار من أجل أولادهما . وقد جاء الناموس الموسوى يعلن هذه الوصية ويشدد عليها (خر ٢٠ : ١٢ ؛ تث ٥ : ١٦ ؛ ٢٧ : ١٦) . وإذ فشل الإنسان فى إتمام هذه الوصية الطبيعية ، أعطاها الرب أولوية حتى عن تقديس سبوته ، اذ قيل : « تهابون كل إنسان أمه وأباه وتحفظون سبوتى ، أنا الرب إلهكم » لا ١٩ : ٢ ، كما قدم تهديدات قاسية ضد كاسرها :

« من ضرب أباه أو أمه يُقتل قتلًا ، ...

ومن شتم أباه أو أمه يُقتل قتلًا » خر ٢١ : ١٥ ، ١٧ (لا ٢٠ : ٩) .

« ملعون من يستخف بأبيه أو أمه ، ويقول جميع الشعب آمين » تث ٢٧ : ١٦ .

« من سب أباه أو أمه ينطفىء سراجه فى حدقة الظلام » أم ٢٠ : ٢٠ .

« العين المستهزئة بأبيها والمحتقرة طاعة أمها تقورها غربان الوادى ، وتأكلها فراخ النسر » أم ٣٠ : ١٧ .

أخيرا لم يترك الله الإنسان تحت هذه العقوبات المرة ، فجاء الإبن الوحيد الجنس نفسه نائباً عن البشرية يعلن كمال الطاعة لأبيه حتى الموت موت الصليب (فى ٢ : ٨) ، بل وخضع للقديسة مريم أمه حسب الجسد وليوسف البار الذى تبناه (لو ٢ : ٥١) ، فصار مثلًا حياً لنا .

+ هل كان يمكن لمعلم الفضيلة أن لا يقوم بواجبه نحوها ؟ ! فإنه لم يخضع عن ضعف وإنما عن حب .

القديس أمبروسيوس[٢٠٢]

+ أطيعى والديكِ ممثله بعريسك .

القديس جيروم(٢٠٣)

+ لنتعلم يا أحبائى الخضوع لوالدينا ... خضع يسوع وصار قدوة لكل الأبناء فى الخضوع لوالديهم أو لأولياء أمورهم إن كانوا أيتاماً ...

إن كان يسوع إبن الله قد خضع لمريم ويوسف ، أفلا أخضع أنا للأسقف الذى عينه لى الله أباً ؟ ! ... ألا أخضع للكاهن المختار بإرادة الله ؟ !

العلامة أوريجانوس(٢٠٤)

+ كان العالم خاضعاً للمسيح ، وكان المسيح خاضعاً لوالديه .

القديس أغسطينوس(٢٠٥)

+ [فى رسالة كتبها إلى أم وإبنتها قام بينهما نزاع]

كان الرب يسوع خاضعاً لوالديه ، لقد إحترم تلك الأم التى كان بنفسه أباً لها .

لقد كرّم أباه حسب التبنى هذا الذى كان المسيح نفسه يعوله !

إنما كان يعلم أن الأولى قد حملته فى بطنها ، والثانى حمله على ذراعيه ...

حقاً ، إننى لا أقول للأم شيئاً ، لأنه ربما يكون فى كبر سنها أو ضعفها أو وحدتها ما يعطيها عذراً كافياً ، لكننى أقول لكِ أيتها الإبنة : هل منزل أمك أصغر من أن يحتملك ، هذه التى لم تكن بطنها صغيرة عن حملك ؟ ! ...

القديس جيروم(٢٠٦)

يؤكد الرسول أن طاعة الوالدين يجب أن تكون « **فى الرب** » ع ١ ، وكأن الطاعة لا تكون عمياء خلال فقدان الأبناء تفكيرهم وشخصياتهم ، وإنما فى خضوعهم يميزون ما هو للرب وما هو ليس للرب ، فليس من حق الوالدين إلزام الأبناء بالإلحاد مثلاً أو إنكار إيمانهم ... وقد سبق لنا عرض ذلك فى شىء من التوسع أثناء حديثنا عن الحب العائلى(٢٠٧) ، لذا أكتفى بقليل من المقتطفات لبعض آباء الكنيسة :

+ إن كان الأب أمياً أو هرطوقياً يلزمنا ألا نطيعه (فيما يخالف الرب) إذ هو لا يأمر « فى الرب » .

القديس يوحنا الذهبى الفم[٢٠٨]

+ لكنك تقول إننى أخشى غضب من هم أعلى منى ، إعمل كل وسيلة ألا تغضبهم حتى لا تغضب الله .

يا من تخاف أن تكدر من هم أعلى منك ، أنظر عما إذا كان هناك إله أعلى من الذى تخاف تكديرهم ، فبكل وسيلة لا تغضب الأكبر منك ...

والدك ووالدتك هما أول من هم أكبر منك ، فإن كانا قد علماك الحق وأحضراك إلى المسيح ، فلتسمع لهما فى كل شىء ، وينبغى طاعتهما فى كل أمر . ليتهما لا يوصيان بما يخالف من هو فوقهما حتى يُطاعا .

+ حقاً يليق بالأب ألا يغضب عندما يُفضل الله عنه ! ولكن عندما يأمر الأب بما لا يناقضُ الرب فيلزم الإستماع إليه كما لله ، لأن طاعة المرء لأبيه أمر إلهى .

القديس أغسطينوس[٢٠٩]

+ الكتاب المقدس يأمرنا بطاعة والدينا ، ولكن من يحبهم أكثر من المسيح يخسر نفسه .

القديس جيروم[٢١٠]

على أى الأحوال يرى كثير من علماء التربية أن حديث السيد المسيح مع القديسة مريم : « لماذا كنتما تطلبانني ؟ ألم تعلما أنه ينبغى أن أكون فى ما لأبى ؟ ! » لو ٢ : ٥٠ يمثل ثورة روحية فى مفهوم الطاعة بطريقة بنّاءة ، فقد « كان خاضعاً لهما » ٢ : ٥١ ... خلال تحقيق رسالته العلوية . فالوالدان يسندان الطفل لكنهما يجب أن يخرجا من ذاتيتهما خلال الحب الروحى الحق ليحقق الطفل ما وهبه الله وليس أن يحمل صورة مطابقة لهما . وأنني أرجو أن أترك الحديث فى هذا الشأن للكتابة فيه فى الطبعة التالية للحب العائلى ، إن أذن الرب وعشنا ، موضحاً تأكيد تمايز المواهب والقدرات بين الآباء والأبناء خلال تناغم الحب والوحدة فى الرب .

نعود إلى الوصية الرسولية للأبناء :

« إكرم أباك وأمك التى هى أول وصية بوعد لكى يكون لكم الخير وتكونوا طوال الأعمار على الأرض » ع ٢ و ٣ .

يلاحظ هنا أن طريقة الحديث إختلفت عن حديثه السابق ، فحين كان يحدث الأزواج والزوجات كان يتكلم بلغة اللاهوتى الذى يكشف سرّ المسيح المعلن على الصليب ليمارس الكل علاقته بالآخر خلال الحب الإلهى الباذل ، أما هنا فإذ يحدث أطفالاً صغاراً عن الطاعة وإكرام الوالدين ، فهو يحدثهم بلغة البساطة التى تليق بهم كصغار . وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** إنه لم يحدّثهم عن الملكوت . كما يقول : [قدم نصيحته مختصرة ، إذ لا يقدر الأبناء أن يصغوا إلى حديث طويل . ولهذا السبب أيضاً لم يناقش بالمرة موضوع الملكوت (إذ يصعب على صغار السن إدراك هذه المواضيع) ، مقدماً ما ترغب نفس الطفل بالأكثر أن تسمعه ، إذ يقول : « وتكونوا طوال الأعمار »(٢١١)] .

يقدم الرسول وصيته للآباء : **« وأنتم أيها الآباء لا تغيظوا أولادكم بل ربوهم بتأديب الرب وإنذاره » ع ٤ .**

من الجانب السلبى لا يليق بالآباء أن يغيظوا أولادهم ، ومن الجانب الإيجابى يلزمهم تأديبهم فى الرب ، أىْ خلال الوصية الإلهية وبفكر إنجيلى حىّ .

حسن للوالدين أن يؤدبا إبنهما ، لكن يلزم قبل التأديب أن يتسع القلب بالحب كقول **القديس أغسطينوس** : [التوبيخ يجب أن تسبقه الرحمة لا الغضب(٢١٢)] .

+ لا تغيظوا أولادكم كما يفعل الكثيرون بواسطة حرمانهم من الميراث ، أو التبرء منهم ، أو معاملتهم بتصلف كأنهم عبيد لا أحرار .

القديس يوحنا الذهبى الفم

+ إننا نهتم بممتلكاتنا من أجل أبنائنا ، أما أبناؤنا أنفسهم فلا نبالى بهم قط ! أية سخافة هى هذه ؟ !

شكّل نفس إبنك باستقامة ، فينال كل ما تبقَى بعد ذلك. فإنه متى كان بلا صلاح لا ينتفع شيئاً من الغنى ، أما متى كان صالحا فإنه لا يصيبه ضرراً من الفقر .

+ ليتنا لا نمنعهم من عمل ما هو مقبول بل مما هو ضار ، ولا نتهاون معهم كمنبوذين بل كأبناء .

القديس يوحنا الذهبى الفم(٢١٣)

وإننى أترك الحديث عن تربية الأبناء لكتابنا عن الحب العائلى .

٢ ــ علاقات العمل

إن كانت الكنيسة هى « حياة » معاشة فى المسيح يسوع ربنا ، تعلن خلال عبادتنا فى حياتنا الزوجية والأسرية ، فإنها تمس أيضا علاقات العمل التى تربط صاحب العمل بعماله ، والرئيس بالمرؤسين ، والسيد بالعبد ، ولما كانت العلاقة بين السيد وعبده ــ فى العصر الرسولى ــ لا يحكمها قانون مدنى ما ، إنما اعطى العالم للسادة حق التصرف فى عبيدهم كقطعة أثاث بلا ثمن ، يستغلهم لصالحه دون أية إعتبارات إنسانية أو طبيعية ، فكان بعض السادة أحيانا يعذبون عبيدهم حتى تسيل آخر قطرة من حياتهم بلا مدافع عنهم ، لذا عالج الرسول بولس هذه المشكلة لا على أساس إجتماعى ثورى وإنما على مستوى روحى فائق خلاله تتغير العلاقة من جذرها لا خلال قوانين زمنية متغيرة ، وانما خلال التقاء العبيد والسادة معاً تحت ظل صليب واحد ، لينعما بخلاص واحد وبميراث أبدى مشترك .

يقول الرسول : « **أيها العبيد أطيعوا سادتكم حسب الجسد بخوف ورعدة فى بساطة قلوبكم كما للمسيح ، لا بخدمة العين كمن يرضى الناس بل كعبيد المسيح ، عاملين مشيئة الله من القلب ، خادمين بنية صالحة كما للرب ليس للناس ، عالمين أن مهما عمل كل واحدٍ من الخير فذلك يناله من الرب ، عبداً كان أم حراً** » ع ٥ ــ ٨ .

يلاحظ فى هذا النص الآتى :

أولا : التعليم الرسولى لم يقف ثائراً على أوضاع إجتماعية معينة إنما مصلحاً لها بهدوء وبقوة وفاعلية ، دون أن يدخل مع العالم فى منافسة أو مكابرة ... فإن كان وضع المجتمع فى ذلك الحين أوجد طبقة السادة وأخرى طبقة العبيد ، لم يهاجم الرسول ذلك ، ولا طالب العمال بثورة وإنفعال إنما طالبهم بمعالجة الأمر خلال كسب السادة بالحب الداخلى غير المرائى ، بخدمة القلب الخالصة لا خدمة الإلزام المنافقة ... خدمة من أجل الرب ، قادرة أن تسحب قلب السيد من ظلمه وفساده لتذوق عذوبة عمل الإنجيل فى « العبيد » ليصير العبيد معلمين للسادة بحياتهم .

يقول **القديس أغسطينوس** : [وضع التعليم الرسولى السيد فوق العبد ، والعبد تحت السيد ، لكن المسيح دفع ثمناً واحداً لكليهما . لا تحتقر إذن من هم أقل منك ، بل أطلب خلاص كل من فى بيتك بكل إجتهاد(٢١٤)]

ثانيا : رفع الرسول بولس من شأن العبيد ، فإنه وإن كان قد طالبهم بالطاعة لسادتهم حسب الجسد ، لكنه أبرز بقوة فاعليتهم حتى فى حياة سادتهم الوثنيين متى سلكوا فى المسيح يسوع .

+ هكذا ليس فقط الأزواج ولا الزوجات ولا الأطفال وإنما حتى العبيد الفضلاء يساهمون فى تنظيم البيت وصيانته . لهذا فإن الطوباوى بولس لم يتجاهل هذه الطبقة ... لقد قدم لهم حديثاً طويلًا ، وليس كالأبناء (حديثاً مختصراً) ، حدثهم بطريقة متقدمة فلم يعدهم بأمور هذا العالم (العمر الطويل) وإنما بأمور العالم الآتى ... فإنهم وإن كانوا من جهة الكرامة أقل من الأبناء ، لكنهم من جهة الفكر أكثر سمواً منهم .

القديس يوحنا الذهبى الفم(٢١٥)

ثالثا : مع أن الرسول يطالبهم بالطاعة بخوف ورعدة ، لكنه يؤكد لهم أن عبوديتهم ليست دائمة إنما هى — حسب الجسد — وقتية ، تنتهى بموت الجسد ليقوم الكل معاً بلا تمييز بين سيد وعبد .

إنه يؤكد أن عبوديتهم حسب الجسد ، أما العبودية حسب الروح فالكل يخضع لها ــ سادة وعبيد ــ للرب الواحد ، سيد الكل !

+ إذ أثار جرح النفس (بتذكر العبودية) لطفه فى الحال .

يبدو كمن يقول : لا تحزن ، أنت أقل من الزوجة والأبناء ، لكن العبودية ليست إلا إسماً ، فإن السيادة هنا « حسب الجسد » ، سيادة قصيرة ومؤقته ، لأن ما هو من الجسد زائل .

القديس يوحنا الذهبى الفم(٢١٦)

رابعاً : سبق فتحدثنا عن خضوع المرأة لرجلها وطاعتها له لا تعنى الإقلال من كرامتها أو عدم مساواتها لرجلها ، إنما هو خضوع الحب والطاعة فى الرب ، فتحمل سمة المسيح الذى أطاع حتى الموت . الآن نكرر القول ان العبد الصالح لا يرى فى وصية الرسول : « **أطيعوا سادتكم حسب الجسد بخوف ورعدة فى بساطة قلوبكم كما للمسيح** » ع **٥** ، مذلّة ومهانة ، بل إمتثالاً بالمسيح يسوع نفسه الذى صار من أجلنا عبداً !

خلال العضوية فى جسد المسيح تسمو فضيلة الطاعة والخضوع ، فتصير علامة شركة مع الرأس الذى وهو السماوى صار عبداً ، فيُحسب ذلك مجداً وكرامة !

+ كأنه يقول : إن كنت قد أوصيت الأحرار أن يخضع كل واحد للآخر فى مخافة الرب ، كما سبق فقال قبلًا : « خاضعين بعضكم لبعض فى خوف الله » ٥ : ٢١ ، وإن كنت قد أوصيت أيضا الزوجة أن تهاب رجلها وتكرمه مع أنها على قدم المساواة معه ، فبالأولى يلزمنى أن أتحدث مع العبد . فإن ذلك ليس علامة إنحطاط مولده ، بل بالحرى علامة نبله الحقيقى ، إذ يعرف كيف يتضع ويكون وديعاً ومخلياً ذاته من أجل أخيه . أيضا ليخدم الحرّ أخاه الحرّ بأكثر خوف ورعدة .

يقول : « **فى بساطة قلب** » . حسناً يقول هذا ، إذ يمكن للإنسان أن يخدم بخوف ورعدة لكن بإرادة غير صالحة ، كيفما يكون الحال . كثير من العبيد فى

بعض الأحوال يغشون سادتهم خفية . إنه ينزع هذا الغش بقوله : « **فى بساطة قلوبكم كما للمسيح ، لا بخدمة العين كمن يرضى الناس ...** » ع ٥ — ٧ .
إنظروا كم من الكلمات يستخدمها ليضع هذا الأساس الصالح ... ؟

القديس يوحنا الذهبى الفم[٢١٧]

خامساً : يؤكد الرسول بولس فى هذا النص أمانة أولاد الله فى العمل حتى وإن كانوا عبيداً يعملون لدى سادة قساة ، فهم لا يخدمون البشر بل يعملون من أجل الرب ، لا يهتمون بإرضاء الناس — حتى وإن كانوا سادتهم — بل بحمل المشيئة المقدسة بكامل حريتهم . لتكن الأمانة طبعهم بغض النظر عن الظروف المحيطة بالعمل ، وعن مركزهم فى العمل .

+ ليكن العمل المستقيم خاصاً بك لا تمارسه عن إضطرار ...

إنه يحث من يُعامل معاملة سيئة بواسطة الغير أن يمارس الصلاح (الأمانة فى العمل) كأمر خاص به وكعمل يصدر بحرية إرادته .

+ من يرضى الناس ليس عبداً للمسيح (غلا ١ : ١٠) ...

+ مارسه بسرور لا عن إضطرار ، مارسه كمبدأ (فى حياتك) وليس تحت ضغط . فإنك إن فعلت هذا لا تكون عبداً ، مادمت تفعله عن مبدأ ، بمشيئة صالحة ، من القلب ، ومن أجل المسيح . فإن هذه هى العبودية التى مارسها بولس الحرّ ومجدّها : « فإننا لسنا نكرز بأنفسنا بل بالمسيح يسوع ولكن بأنفسنا عبيداً لكم من أجل يسوع » ٢ كو ٤ : ٥ .

القديس يوحنا الذهبى الفم[٢١٨]

سادساً : قدم الرسول بولس المكافأة لأمانة العبد المؤمن التقى ، قائلاً : « **عالمين ان مهما عمل كل واحد من الخير فذلك يناله من الرب عبداً كان أم حراً** » ع ٨ . وقد قدم لنا تاريخ الكنيسة أمثلة حية لهذه المكافأة ، إذ لم ينسى تعب المحبة الذى قدمه عبيد وإماء فكسبوا سادتهم للمسيح ، وربحوهم إخوة لهم وورثة معهم أبدياً ! لقد تتلمذ كثير من السادة — رجال ونساء — تحت يدى عبيدهم وإمائهم بسبب قلبهم المتسع حباً فى الرب ، تتلمذوا لهم بغير خجل !

لقد قدم تاريخ الكنيسة كثير من العبيد صاروا أساقفة وكهنة كارزين بالحق ، وإماء صرن أمهات قديسات يتلمذن عذارى شريفات بروح المحبة الإنجيلية .

نستطيع فى الختام أن نقول بأن الرسول بولس قد أعطى ضربة قاضية للعبودية من الداخل ، فى أعماق جذورها ، لا برفضها أو مهاجمتها ، ولكن بتحطيم نظمها ، إن وُجدت لها نظم .

الآن بعد أن ضرب العبودية فى أعماقها يقدم وصيته للسادة المؤمنين : « **وأنتم أيها السادة إفعلوا لهم هذه الأمور ، تاركين التهديد ، عالمين أن (سيدهم و) سيدكم أنتم أيضاً فى السموات ، وليس عنده محاباة** » ع ٩ .

يعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** على هذه العبارة الرسولية قائلًا : [« إفعلوا لهم هذه الأمور » ؛ ما هى هذه الأمور ؟ « خادمين بنية صالحة » . على أى الأحوال لم يقل فعلًا « إخدموهم » بل بوضوح أظهر هذا المعنى ، فالسيد نفسه هو خادم (لعبده) ... آه ، أى سيد قدير هذا الذى يشير إليه هنا ![٢١٩]] .

يكمل **القديس يوحنا الذهبى الفم** تعليقه موضحاً انه إن كان السيد يتعامل مع عبد ، فليعلم أنه هو نفسه عبد لسيد ، وأنه بالكيل الذى به يكيل يُكال له (مت ٧ : ٢) . يليق به أن يترفق بأخيه العبد فيترفق الرب به ، وإلا فإنه يسمع ذلك الصوت : « أيها العبد الشرير كل ذلك الدين تركته لك ... » مت ١٨ : ٣٢ . الله ليس عنده محاباة ، يعامل السيد كما العبد ، إن ترفق السيد بعبده يترفق هو به ، وإن إستخدم التهديد عرض نفسه بنفسه لذات الفعل .

+ يقول : « **وليس عنده محاباة** »

يود أن يقول : لا تظن انه يغفر لك لأنك ما ترتكبه إنما هو فى حق عبد . حقا إن الشرائع الوثنية ـــ كشرائع بشرية ـــ تضع تمييزاً بين مثل هذه الأنواع من المعاصى ، لكن شريعة الرب العام سيد الكل ، لا تعرف هذا ، فهو يقدم الخيرات للكل بلا تمييز ، ويدبر الحقوق عينها للجميع .

لكن ربما يسأل أحد : فلماذا العبودية ؟ وكيف دخلت إلى الحياة

البشرية ؟ ... أخبركم بأن العبودية هى ثمرة الطمع والإنحطاط والبربرية ، فلا نعرف أن عبيداً كانوا لنوح أو هابيل أو شيث ولا لمن جاءوا بعدهم ...

قد تقول : حسناً ، لكن إبراهيم كان له عبيد . نعم ، لكنه لم يستغلهم كعبيد .

القديس يوحنا الذهبى الفم(٢٢٠)

٣ ــ الجهاد الروحى

إذ رفع من شأن الكنيسة فأعلن إتحادها بالسيد المسيح ، بكونها جسده ، وأوضح أنها حياة غالبة ، لها سماتها الفائقة التى تتجلى فى حياة أولادها سواء فى حياتهم التعبدية أو علاقاتهم الزوجية أو الأسرية أو خلال العمل اليومى ، فقد دفع السيد المسيح ثمن هذه الحياة : حياته المبذولة حباً من أجلنا ! هذا ما أكده الرسول بولس خلال هذه الرسالة بوضوح وقوة . والآن قبل أن يختم رسالته أراد إبراز دورنا الإيجابى إذ نتعرض لهجوم عنيف لا من البشر وإنما من إبليس ، لأن قيام الكنيسة كمملكة للمسيح فيه تحطيم لمملكة الظلمة وإنهيار لكيانها ؛ لذا جاء الحديث صريحاً عن مقاومة عدو الخير لنا وإلتزامنا بالتسلح روحياً ضد الظلمة حتى نمارس حياتنا الكنسية النامية .

يقول الرسول :

« أخيراً يا إخوتى تقووا فى الرب وفى شدة قوته .

إلبسوا سلاح الله الكامل لكى تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس .

فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية فى السمويات » ع ١٠ ــ ١٢ .

ويلاحظ فى هذا النص الآتى :

أولاً : إذ عرف كل مؤمن موقعه فى الكنيسة ، سواء كان كاهناً أو من الشعب ، سواء كان زوجاً أو زوجة أو إبناً أو والداً أو والدة ، سواء كان عبداً أو سيداً ... لكل عضو تمايزه ومواهبه ، ولكل وصيته الخاصة به التى تناسب موقعه ، لكن هناك وصية عامة يلتزم بها جميع الإخوة كأعضاء فى جسد الرب ، ألا وهى « **تقووا فى الرب ، وفى شدة قوته** » ع ١٠ . الكل إخوة ، بكونهم أعضاء فى الجسد الواحد ، وإن حمل الكهنة نوعاً من الأبوة الروحية لأبنائهم فى الرب كما يحمل الآباء أبوة حسب الجسد أو بالتبنى لأولادهم ... فإن الكل يحمل نوعاً من الأخوة[٢٢١] ... خلال هذه الأخوة العامة يشترك الجميع فى حرب واحدة ضد عدو مشترك يحاول تحطيم الكل .

+ « **أخيراً تقووا فى الرب** » ع ١٠ ...

إذ يوشك المقال على الإنتهاء كعادته يتجه الى هذا (الحديث عن الجهاد الروحى) .

أنظر ، إذ ينتزع (فوارق) الأعمال المتنوعة ، يسلحهم ويقودهم إلى الحرب (الروحية) . فإنه إذ لا يقتحم أحد وظيفة غيره ، إنما يبقى فى موقعه ، يكون الكل قد تدبّر حسناً .

« **تقووا فى الرب وفى شدة قوته** » ع ١٠ ، بمعنى « فى الرجاء » الذى لنا فى الرب خلال عونه لنا ... ضعوا رجاءكم فى الرب ، فيصير كل شىء سهلاً .

« **إلبسوا سلاح الله الكامل لكى تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس** » ع ١١ . لم يقل ضد المحاربات ولا ضد العداوات وإنما ضد « المكايد » . فإن هذا العدو لا يحاربنا ببساطة علانية وإنما خلال المكايد . ماذا يعنى بالمكايد ؟ أى بالخداع ... إبليس لا يقترح علينا الخطايا فى ألوانها الطبيعية ... إنما يعطيها ثياباً أخرى ، مستخدماً المكائد ...

الآن ، بهذه الطريقة يثير الرسول الجنود (الروحيين) ويحثهم على السهر

ويثقفهم ، موضحاً لهم أن جهادنا (الروحى) يمثل أحد الحروب الماهرة ، فنحن نقاتل ضد عدو ليس بسيطاً ولا مباشراً وإنما نقاتل عدواً مخادعاً .

في البداية أثار الرسول التلاميذ ليضعوا فى إعتبارهم مهارة إبليس ، بعد ذلك تحدث عن طبيعته وعن عدد قواته . لم يفعل ذلك ليحّطم نفسية الجنود الذين تحته وإنما لكى يحمسهم ويبقظهم ويظهر لهم مناوراته ، مهيئاً إياهم للسهر ، فلو انه عدّد بالتفصيل قوة العدو ثم توقف عن الحديث لتحطمت نفسيتهم ... لكنه قبل أن يعرض ذلك وبعد العرض أيضا أظهر إمكانية النصرة على عدو كهذا ، مثيراً فيهم روح الشجاعة . وبقدر ما أوضح قوة أعدائنا بالأكثر ألهب غيرة جنودنا (للجهاد الروحى) .

« فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين ، مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر ، مع أجناد الشر الروحية فى السماويات » ع ١٢ ...

إذ تحدث عن الأعداء انهم شرسون أضاف أنهم يسلبوننا البركات العظيمة . ما هذا ؟ الصراع يقوم « فى السمويات » ، فهو ليس صراعاً من أجل الغنى أو المجد وإنما لإستعبادنا . لهذا فإنه لا مجال للمصالحة هنا فى هذا الصراع . الصراع يكون أكثر شراسة كلما كان موضوعه هام ، فإن كلمة « فى السمويات » تعنى : « من أجل السمويات » . الأعداء لا يقتنون شيئاً بالغلبة علينا إنما يجردوننا ... (عدو الخير) يبذل كل الجهد ليطردنا من السماء .

القديس يوحنا الذهبى الفم[٢٢٢]

ثانياً : يشرح **القديس يوحنا الذهبى الفم** تعبير **« ولاة العالم »** ع ١٢ ، **قائلاً** : [دعاهم « ولاة العالم » ليس لأن لهم سلطاناً على العالم ، وإنما لأن الكتاب المقدس إعتاد دعوة الممارسات الشريرة بـ « العالم » . فكمثال يقول المسيح : « ليسوا من العالم كما إنى أنا لست من العالم » يو ١٧ : ١٦ . ماذا ؟ ألم يكونوا من العالم ؟ ألم يلتحفوا جسداً ؟ ألم يكونوا بين الذين هم فى العالم ؟ مرة

أخرى يقول : « لا يقدر العالم أن يبغضكم ولكنه يبغضنى » يو ٧ : ٧ ... هكذا يقصد الرسول هنا بالعالم الناس الأشرار ، إذ تحمل الأرواح الشريرة سلطاناً خاصاً عليهم(٢٢٣)] .

هنا يوضح الرسول بولس أن حربنا ليست ضد إنسان ، انما نحمل العداوة ضد إبليس العدو العام ضد كل البشرية . وكما يقول القديس **أغسطينوس** : [مصارعتنا ليس ضد البشر الذين نراهم يغضبون علينا ، إذ هم ليسوا إلا أوانٍ يستخدمها غيرهم ، هم أدوات فى يّد الآخرين(٢٢٤)] .

ثالثاً : إن كان الأعداء الحقيقيون غير منظورين ، لكننا ننال الغلبة عليهم خلال جهاد ملموس أو كما يقول **القديس أغسطينوس** إن القديسين يربحون النصرة على الأعداء غير المنظورين خلال الأمور المحسوسة(٢٢٥) .

رابعاً : واضح من حديث الرسول ان الحرب ليست فقط شرسة ولكن إذ طرفها إبليس الذى لا ينام ، فإنها مستمرة ودائمة ضد كل المؤمنين المجاهدين . لذا يقول **القديس جيروم** : [هل يظن أحد أننا فى آمان ، وانه من الصواب أن ننام لمجرد نوالنا العماد ؟ !(٢٢٦)] .

خامساً : قدم لنا الرسول بولس عدة حربية روحية يتسلح بها المؤمن بالكامل لينال الغلبة والنصرة ، قائلًا :

« من أجل ذلك إحملوا سلاح الله الكامل لكى تقدروا أن تقاوموا فى اليوم الشرير ، وبعد أن تتمموا كل شىء أن تثبتوا » ع ١٣ .

هذه العدّة فى حقيقتها روحية ، وكما يقول **القديس أمبروسيوس** : [**يلزمنا ألا نفكر فى أسلحة الجسد بل تلك التى هى قديرة أمام الله(٢٢٧)**] .

مركز السلاح أو جوهره هو تجلى السيد المسيح نفسه فى داخلنا ، هو الذى غلب عدو الخير ويبقى غالباً له خلالنا ... السيد المسيح نفسه هو سلاحنا وغلبتنا ونصرتنا على إبليس وجنوده .

+ يوجد دفاع لخلاصنا مادام يوجد المسيح .

القديس أمبروسيوس[٢٢٨]

+ عدة أسلحتنا هى المسيح .

القديس أغسطينوس[٢٢٩]

+ لسنا نجهل أن الأرواح جميعها ليست فى نفس الشراسة والنشاط ، ولا فى نفس الشجاعة والخبث . فالمبتدئون والضعفاء من البشر تهاجمهم الأرواح الضعيفة ، فإذا ما إنهزمت تلك الأرواح تأتى من هى أقوى منها لتهاجم جنود المسيح .

ويصعب على الإنسان بقوته أن يقاوم ، لأنه لا يقدر أحد من القديسين أن توازى طاقته خُبث هؤلاء الأعداء الأقوياء الكثيرين ، أو يصد هجماتهم أو يحتمل قساوتهم ووحشيتهم ، مالم يرحمه المصارع معنا ورئيس الصراع نفسه الرب يسوع ، فيّرد قوة المحاربين ، ويصد الهجوم المتزايد ، ويجعل مع التجربة المنفذ قدر ما نستطيع أن نحتمل (١ كو ١٠ : ١٣) .

الأب سيرينوس[٢٣٠]

سادساً : إذ سألنا الرسول أن نقاوم فى اليوم الشرير ، أى فى لحظات التجربة المرة ، يليق بنا أن نتمم جهادنا المستمر حتى يتحقق ثباتنا وتُعلن نصرتنا الكاملة ، إذ يقول : « **وبعد أن تتمموا كل شىء أن تثبتوا** » ع **١٣** .

مع كل تجربة يصبها العدو لتحطيمنا نجاهد فننمو ويتحقق بالأكثر ثباتنا ، وهكذا يبقى العدو يحارب ، ونبقى نحن نجاهد بالرب ، فتنهار مملكة إبليس ويثبت ملكوت الله فينا .

+ تسقط الأرواح فى الحزن ، وإذ تريد هلاكنا تهلك هى بواسطتنا بنفس التهلكة التى يرغبوها لنا . ولكن لا تعنى هزيمتهم انهم يتركوننا بغير رجعة ...

إذ تهلك قواهم ويفشلون فى صراعهم معنا ، نقول : « فليخز وليخجل الذين يطلبون نفسى لإهلاكها ، ليرتد إلى الوراء وليخز المسرورين بأذيتى » مز ١٤ : ٤ . وأيضاً يقول إرميا : « ليخز طاردىّ ولا أخزى أنا ، ليرتعبوا هم

ولا أرتعب أنا ، اجلب عليهم يوم الشر وَاسحقهم سحقاً مضاعفاً »
ار ١٧ : ١٨ ، إذ لا يقدر أحد أن يشك فى انه متى انتصرنا عليهم يهلكون هلاكاً مضاعفاً .

الأب سيرينوس(٢٣١)

+ أنا أعلم يا إخوتى أن تلك الجراحات التى نتقبلها من أجل المسيح ليست مدمرة للحياة بل بالحرى معينة للحياة .

القديس أمبروسيوس(٢٣٢)

+ « **لكى تقدروا أن تقاوموا فى اليوم الشرير ، وبعد أن تتمموا كل شىء أن تثبتوا** » ع ١٣ .

يقصد باليوم الشرير الحياة الحاضرة ، إذ يدعوها أيضاً : « العالم الحاضر الشرير » غلا ١ : ٤ ، وذلك بسبب الشر الذى يُرتكب فيها ...

يقول « تتمموا كل شىء » أى كل الأهواء والشهوات الدنسة وكل ما يقلقنا . هنا لا يتحدث عن مجرد ممارسة الأعمال وإنما إتمامها ، بمعنى أننا بعدما نُقتل (بالخطايا) نثبت . فإن كثيرين يسقطون بعد نوالهم النصرة ... أما نحن فيلزمنا أن نثبت بعد النصرة . فقد يُضرب عدو لكنه يقوم ثانية إن لم نثبت .

إن قام الأعداء (الروحيون) ثانية فإنهم يعودوا فيسقطون إن كنا ثابتين .

ما دمنا لا نتزعزع لا يقوم العدو من جديد .

« **إلبسوا سلاح الله الكامل** » ؛ ألا تراه كيف ينزع كل خوف ؟ فإن كان ممكناً بعد إتمام كل شىء أن نثبت ، فإن وصفه لقوة العدو لا يخلق جُبنا وخوفاً بل ينتزع كل إسترخاء .

يقول : « **لكى تقدروا أن تقاوموا فى اليوم الشرير** » ، مقدماً لهم تشجيعاً من الزمن بكونه مقصراً (اذ يدعوه يوماً واحداً) ، فالأمر يحتاج إلى ثبات دون وهن إذ تحدث غلبة .

القديس يوحنا الذهبى الفم(٢٣٣) .

سابعاً : إذ أعلن الرسول عن المعركة الروحية الحقيقية وأبرز من هو العدو وما هى قدراته الفكرية المخادعة وإمكانياته كما ألهب قلبنا بالشوق للنصرة والثبات فيها خلال عبورنا هذه الحياة الحاضرة كيوم واحد قصير ، الآن يصّور لنا العدة الروحية التى تكسو كل كياننا فتحفظنا من ضربات العدو .

هذه العدة الروحية هى :

١ ــ « فإثبتوا ممنطقين أحقاءكم بالحق » ع ١٤ .

يبدأ حديثه عن هذه العدة الروحية بكلمة « إثبتوا » ، والثبات هو فى ذاته جزء أساسى وحيوى حتى أثناء الجهاد فى الأمور الزمنية ، إذ يمثل عدة داخلية يلتزم أن يتسلح بها كل إنسان مجاهد فى حياته ، بدون هذا الثبات يسقط الإنسان فى اليأس وينهار أمام أية صعوبة ولا يحقق غايته .

يعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** على كلمة « إثبتوا » بالقول : [أول ملامح التحركات الحربية الروحية) أن تعرف كيف تثبت ، فإن أموراً كثيرة تتوقف على هذا . لذلك كثيراً ما تحدث عن الثبات ، فيقول فى موضع آخر :

« إسهروا ، إثبتوا » ١ كو ١٦ : ٣ ...

« إثبتوا هكذا فى الرب » فى ٤ : ١ ...

« من يظن أنه قائم فلينظر أن لا يسقط » ١ كو ١٠ : ١٢ ...

« بعد أن تتمموا كل شىء أن تثبتوا » أف ٦ : ١٣ .

بلا شك لا يقصد مجرد الثبات بأية كيفية وإنما فى الطريق السليم ، ذلك كما أن كثيرين لهم خبرات فى الحروب يعرفون فى المركز الرئيسى كيف يثبتوا . فان كان فى حالة الملاكمين والمصارعين يطلب المدرب من اللاعبين الثبات قبل كل شىء ، فكم بالأكثر فى حالات الحروب والأمور العسكرية ؟ !

الإنسان الذى يثبت بمعنى الكلمة يكون مستقيماً ، فلا يقف متراخياً ، ولا يتكىء على شىء .

الإستقامة التامة تعلن عن ذاتها بالثبات ، فإن المستقيمين بالكمال يثبتون .

أما الذين لا يثبتون فلا يمكن أن يكونوا على حق ولا منظّمين بل « مشوشين » .

الإنسان المترف لا يثبت بإستقامة بل يكون منحنياً ، وهكذا أيضاً الشهوانى ومحب المال .

من يعرف كيث يثبت ، فبثبوته ذاته كما من ينبوع خاص به يجعل كل جهاده سهلًا بالنسبة له[٢٣٤]] .

أما قوله : « **ممنطقين أحقاءكم بالحق** » فيحمل بلا شك معنى رمزياً . فالجندى الرومانى كان يشد وسطه بمنطقه جلدية على حقويه ، مُثبت عليها صفائح فولاذية أو حديدية . هذه المنطقة يشدها الجندى كأول إستعداد للدخول فى المعركة ، فهى من جهة تعطى شيئاً من الصلابة لظهره ، كما تساعده على سرعة الحركة فلا تعوقه ملابسه ، وأيضاً كان تحمى بعض أجزاء جسمه . ويرى كثير من الآباء ان الحقوين يشيران إلى الشهوة الجسدية ، وشدهما بالمنطقة يشير إلى ضبط الشهوة أو إلى العفة .

ما الذى يسندنا فى عفتنا سوى رفض الباطل وقبول « الحق » الذى هو السيد المسيح ، مصدر نقاوتنا وعفتنا ، لذا يقول الرسول : « **ممنطقين أحقاءكم بالحق** » . المسيح الحق هو ضابط أجسادنا ومقدسها لتعمل مجاهدة لحساب الملكوت عوض إنشغالها بالباطل .

يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [إن حصنا أنفسنا بذلك ، إن منطقنا أحقاءنا بالحق ، لا يقدر أحد أن يغلبنا . من يطلب تعليم الحق لن يسقط على الأرض[٢٣٥]] .

ب ـــ « ولابسين درع البر » ع ١٤ .

إن كان السيد المسيح المصلوب هو الحق الذى نتمنطق به فنحارب شهوات الجسد ونغلب عوض الفلسفات الباطلة التى قد تشغل الذهن لكنها تعجز عن تقديم الحياة العفيفة فى الرب ، هكذا هو أيضا « برنا » الذى نلبسه كدرع يحمينا من ضربات السيف وطعنات الرماح والسهام القاتلة .

كان الدرع العسكرى الرومانى يمتد من العنق إلى الركبة ، من زرد أو حراشيف معدنية متصلة تحمى المحارب من ضربات العدو .

+ كما أن الدرع لا يمكن إختراقه هكذا البر ، هنا يقصد بالبر حياة الفضيلة الجامعة . فمثل هذه الحياة لا يقدر أحد أن يغلبها ؛ حقا قد يجرحه أحد لكن لا يقدر أحد أن يخترقه ولا حتى الشيطان نفسه .

كأنه يقول ليثبت البر فى الصدر ، ويقول المسيح : « طوبى للجياع والعطاش إلى البر فإنهم يشبعون » مت ٥ : ٦ . هكذا يكون ثابتاً وقويا كما بدرع .

القديس يوحنا الذهبى الفم(٢٣٦)

جـ ـــ « حاذين أرجلكم باستعداد إنجيل السلام » ع ١٥ .

هكذا يتسلح المؤمن بأسلحة روحية تمس كل كيانه حتى قدميه ، وكما يقول **الشهيد كبريانوس** : [لنتسلح أيها الإخوة المحبوبون بكل قوتنا ، ونستعد للمعركة بذهن غير فاسد وإيمان مستقيم ، وشجاعة جادة . ليذهب معسكر الله إلى أرض المعركة المعدة لنا ... ليته حتى الساقطين أيضا يتسلحون ، لعلهم يعودوا فيربحوا ما قد خسروه ...(٢٣٧)] .

إن كانت المنطقة تؤهل الجندى للحركة بلا عائق وسط الميدان فإن الحذاء ضرورى لسرعة الجرى فى الحروب القديمة وأيضا للوقاية من الزلق ولتسلق الجبال حيث كانت النعال العسكرية تحمل مسامير بارزة الكرات للوقاية .

لن نستطيع السير بسرعة وسط المعركة التى يثيرها العدو ما لم يكن إنجيل السلام حافظاً لأقدامنا الروحية ، لنتحرك حسب مشيئة الله وإنجيله .

بينما يثير العدو الحرب ضدنا نحتذى نحن بإنجيل السلام ، وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [لقد أظهر لنا أن الصراع ضد الأرواح الشريرة يستلزم إنجيل السلام ... فإن حربنا ضدهم تنهى حرباً أخرى أى تنهى الحرب التى بيننا وبين الله . حين نكون فى حرب ضد إبليس نكون فى سلام مع الله . لذلك لا تخف أيها الحبيب ، إنه « إنجيل » أى أخبار مفرحة ، تهب نصرة(٢٣٨)] .

د ــ « حاملين فوق الكل ترس الإيمان الذى به تقدرون أن تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة » ع ١٦ .

إن كان العدو لا يكف عن تصويب سهام ليست معدنية وإنما نارية ملتهبة تقتل النفس ، فإن الإيمان هو الترس الذى يحطم هذه السهام ويطفىء لهيبها . يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [كما أن الترس يُوضع أمام الجسد كله بكونه نوعاً من الحاجز ، هكذا أيضا بالنسبة للإيمان حيث يخضع كل شيء له ... فإن هذا الترس لا يقدر أن يقاومه شيء؛ إسمع ما يقوله المسيح لتلاميذه: «الحق أقول لكم لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل إنتقل من هنا إلى هناك فينتقل » مت ١٧ : ٢٠ ... يُقصد أيضا بسهام الشرير الملتهبة التجارب والرغبات الفاسدة ، أما كونها « ملتهبة » فهى سمة هذه الرغبات . إن كان الإيمان يسيطر على الأرواح الشريرة فبالأولى يستطيع أن يسيطر على شهوات النفس[٢٣٩]] .

هـ ــ « وخذوا خوذة الخلاص وسيف الروح الذى هو كلمة الله » ع ١٧ .

إن كانت الخوذة هى الواقية للرأس ، فإن إنشغالنا بالخلاص ، ورجاءنا فى التحرر من العقوبات الآتية والتمتع بالميراث السماوى الأبدى هو الخوذة الروحية التى تحمى رأسنا أى إيماننا بالسيد المسيح الرأس .

أما سيف الروح الذى نمسك به لنحارب فهو كلمة الله ، به نضرب فى داخلنا فنعزل بقوة بين ما هو لله وما هو خارج الله ، به نبتر فى داخلنا كل فساد ونلقى به خارجاً . كلمة الله كالسيف يجرح لكنه يشفى !

يرى **الأب بينوفيوس**[٢٤٠] إن هذا السيف ، كلمة الله ، يجب أن يسفك الدم ، دم خطايانا التى تعيش فينا ، لأنه بدون سفك دم لا تحصل مغفرة (عب ٩ : ٢٢) ، وقد جاء فى أرميا « ملعون من يمنع سيفه عن الدم » ار ٤٨ : ١٠ ، وكأن المؤمن لا يكف عن أن يقتل بالوصية كل خطية تكمن فى قلبه أو فكره أو أحاسيسه حتى يتقدس بالكامل فى الرب .

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: إننا بهذا السيف الروحي نقتل رأس الحية(٢٤١).

مصلين بكل صلاة وطلبة كل وقت في الروح، وساهرين لهذا بعينه، بكل مواظبة وطلبة لأجل جميع القديسين (أف ٦: ١٨).

[illegible] عن أسلحة محاربتنا الروحية بالصلاة، لأنها تحتل المكانة الأخيرة [illegible] تلك الأسلحة السابقة كلها هي في حقيقتها عطية إلهية لا نستطيع أن ننعم بها بدون الصلاة. وكأنه يختم الحديث بفتح الباب الذي [illegible]

إن كان حديث الله معنا (كلمة الله) هو السيف الروحي الذي به نحطم كل شر يهاجمنا في الداخل، فإن حديثنا معه (الصلاة) هو سندنا لنوال العون الإلهي خلال الجهاد المستمر.

+ [عن صديقه الناسك بوتسيوس]

إنه لا يبالي (بمحاربات الشيطان)، ولا يخف، إذ هو متسلح بأسلحة الرسول من رأسه إلى قدميه. يصغى إلى الله إذ يقرأ الكتاب المقدس، ويتحدث مع الله إذ يصلي إلى الرب ... في إختصار سيحاربه الشيطان، لكن المسيح يدافع عنه [illegible]](٢٣٢)

+ بالصوم الصارم مع السهر (في الصلاة) تُطفي نيران سهام إبليس.

القديس جيروم(٢٤٢)

ز ـــ الجهاد الروحي الجماعي: يختم الرسول بولس حديثه الخاص بالجهاد ضد إبليس [illegible] إن كان العدو يحارب [illegible] أي تعمل الأرواح الشريرة [illegible] ألا نحارب إبليس منفردين وإنما [illegible] تمس علاقتنا الشخصية بالله لكن [illegible] الدائم والطلبة المستمرة من أجل

جميع القديسين ، فالكل يطلب معاً بروح واحد ، فيشعر أنه فى جهاده ليس بمعزل عن إخوته .

لنطلب صلوات الآخرين حتى يسندنا الله ، ولنصلِ نحن من أجل إخوتنا علامة شركتنا معهم وحبنا لهم ووحدتنا فى الروح .

الرسول بولس الذى أُفرز من البطن لخدمة الكرازة ، والذى دعاه الرب علانية وهو فى الطريق إلى دمشق والذى نال مواهب كثيرة يشعر بحاجة شديدة لصلوات الشعب من أجله ليسنده الرب ليس فقط فى جهاده الروحى وإنما فى كرازته بالإنجيل ، إذ يقول : « **ولأجلى لكى يُعطى لى كلام عند إفتتاح فمى لأعّلم جهاراً بسّر الانجيل ، الذى لأجله أنا سفير فى سلاسل ، لكى أجاهر فيه كما يجب أن أتكلم** » ع ١٩ ، ٢٠ .

إن كانت قيوده تشفع فيه لدى الله كسفير أمين إحتمل الآلام من أجل الإنجيل لكنه فى عوز إلى شفاعات كل الكنيسة عنه ليتمم رسالته بلا عائق . لهذا إعتادت الكنيسة أن تصلى من أجل البطريرك والأساقفة والكهنة والشمامسة وكل الخدام ، ويصلى البابا البطريرك وكل الخدام من أجل الشعب ... حقاً نحتاج فى جهادنا إلى صلوات مشتركة !

فى تعليق **القديس يوحنا الذهبى الفم** على هذه العبارات الرسولية ، يقول : [الصلاة قادرة على تحقيق عظائم(٢٤٣)] .

٤ ــ الخاتمة والبركة الرسولية

ختم الرسول بولس هذه الرسالة بالآتى :

أولا : أعلن لهم انه يبعث إليهم تيخيكس ليس حاملًا للرسالة فحسب وإنما كشاهد عيان يطمئنهم على حاله وهو فى السجن كيف يستخدمه الله للكرازة وبنيان الملكوت فتتعزى قلوبهم ... هذا وبارساله تيخيكس الخادم الأمين فى الرب يسمعون كلمة الله منه لبنيانهم ، إذ يقول : « **ولكن لكى تعلموا أنتم أيضاً أحوالى ماذا أفعل يعرفكم بكل شيء تيخيكس الأخ الحبيب والخادم الأمين فى**

الرب ، الذى أرسلته إليكم لهذا بعينه لكى تعلموا أحوالنا ، ولكى يعزى قلوبكم » ع ٢١ ، ٢٢ .

ثانياً : يختم بالبركة الرسولية : « **سلام على الإخوة ومحبة بإيمان من الله الآب والرب يسوع المسيح ، النعمة مع جميع الذين يحبون ربنا يسوع المسيح فى عدم فساد ، آمين » ع ٢٣ ، ٢٤ .**

إذ كتب الرسالة عن الكنيسة التى هى حقيقتها وجوهرها « سلام مع الله والاخوة ، ومحبة صادرة عن الله والرب يسوع ، ونعمة مقدمة لنا » لذا جاءت البركة متناغمة مع جوهر الرسالة .

+ إبتهل من أجِلهم يسأل لهم « السلام والمحبة بايمان » . نطق حسناً ، إذ لم يرد لهم أن ينظروا إلى المحبة بذاتها بل ممتزجة بما هو من الإيمان ...

إن وُجد سلام وُجدت محبة ، وإن وجدت محبة يوجد سلام أيضاً .

« **بإيمان** » ، إذ بدونه لا تبلغ المحبة شيئاً ، بل ولا يكون لها وجود بالكلية ...

« **فى عدم فساد** » ... أما يعنى « فى طهارة » أو « من أجل الأمور غير الفاسدة » ، أى ليس من أجل الغنى والمجد والكنوز التى تفسد . « خلال عدم الفساد » ، أى « خلال الفضيلة » ، لأن كل خطية هى فساد .

القديس يوحنا الذهبى الفم(٢٤٤)

+ + +

هذه صورة مبسطة للملامح الرئيسية لهذه الرسالة الحية التى تعلن عضويتنا فى جسد السيد المسيح ، وتمتعنا بشركة حياته وسماته ، فى كل عمل خفى وظاهر ، حتى فى جهادنا ضد قوات الظلمة ، من أجل بلوغنا الميراث الذى لا يفنى ولا يضمحل .

+ + +

الملاحظات

1 - New Westminster Dictionary of the Bible, p 271 .
2 - Jos. Antiq. 14 : 10, 11, 13 .
3 - Donald Guthrie : The N.T. Introd., p 479 ff .
O. Cullmann : N.T. Introd., 1968 . (Ep. to Ep.) .

٤ ــ الثمان نقاط الأولى مقتبسة من دونالد جاثرى فى كتابه « مقدمات فى العهد الجديد ، بشىء من التصرف » .

5 - Ep. ad Eph. 12
6 - Ep. ad Phil. 12 : 1 .
7 - Sim. 13 ; 5 .
8 - Line 51 .
9 - Key to Ephes., 1956, VI
10 - Adv. Marc. V : 17 .
11 - Stromata 4 : 6 : 1 .
12 - Adv. Haer. 5 : 2 : 36 .

١٣ ــ راجع مذكرة الدكتور موريس تواضروس : « دراسات فى الرسالة إلى أفسس » بالاستنسل ، ص ٩ ، ١٠ .

14 - Oscar Cullmann : The New Testament Intr., 1968, p 78 .
15 - The Anchor Bible, Ephesians, vol 1, p 6 (N.Y. 1980) .

١٦ ــ للمؤلف : القديس بولس الرسول ومنهجه الانجيلى ،...، ١٩٨٥ ، ص ٤٠

17 - P.G. 52 : 402 .
18 - The Anchor Bible, p 12 - 18 .

١٩ ــ القديس بولس الرسول ومنهجه الإنجيلى ... ص ٣٠ ، ٣١ .

الأصحاح الأول

20 - Jerome Biblical Commentary, p 343 .
21 - The Anchor Bible, p 65 .
22 - Jerome Bib. 343 .

٢٣ ــ الرسالة إلى أفسس ، عظة ١ ، قام قداسة القمص مرقس داود بترجمة عشرة عظات . من تفسير القديس يوحنا الذهبى الفم لهذه الرسالة ، وقد استعنت إحيانا به مع الرجوع إلى نصوص أخرى .

24 - The Anchor Bible, p 67 .
25 - Jerome Bib. 343 .

٢٦ ــ القديس بولس الرسولى ومنهجه الإنجيلى ، ص ٣٠ ــ ٣١ .

27 - Jerome Biblical Comm., p 343 .
28 - In Eph. hom 1 .
29 - Stromata 2 : 4 ; 3 : 7 .
30 - Strom. 2 : 6 .
31 - Comm. Rom 22 on 4 : 4 .
32 - Contra Celsus 4 : 3 .
33 - In Eph. hom 1 .
34 - Ibid .
35 - Ibid .
36 - Ibid .

37 - [illegible] 67 : 9 .
38 - Ibid 89 : 1 .
39 - In Eph. hom 1 .
40 - Ibid .
41 - Ibid
42 - Anchor Bible, p 92 .
43 - In Eph. hom 2 .
44 - Jerome Bib. p 344 .

٤٥ — للمؤلف : الروح القدس بين الميلاد الجديد والتجديد المستمر ، طبعة ١٩٨١ ، ص

46 - Cat. Lect. 17 : 35 .
47 - Enchir. Patr. 712 .
48 - P.G. 46 : 424 C .
49 - P.G. 61 : 418 .
50 - In Eph. hom 3 .
51 - Ibid .
52 - Ser. on N.T. 3 : 6 .

٥٣ — للمؤلف : الحب الإلهي ، ص ٥٥٨ — ٥٦٠ .

54 - Adv. Haer. 3 : 46 : 6
55 - In Eph. hom 3 .

الأصحاح الثاني

56 - Dorotheos of Gaza : Comm. on an Easter Hymn .
57 - Chaplet 3 .
58 - In Eph. hom 4 .
59 - Cassian : Conf 3 : 7 .
60 - Comm. on Easter Hymn .
61 - Cassian Conf. 5 : 4 .
62 - In Eph. hom 4 .
63 - Ibid .
64 - Of the Christian Faith 5 : 178, 180, 181 .
65 - In Eph. hom 3 .
66 - Ibid 4 ; De Compunct. PG 47 : 408 .
67 - Ser. on N.T. 81 : 5 .
68 - In Eph. hom 4 .
69 - Ibid 5 .
70 - Josephus : Antiq. 15 : 11 ; 5 ; Jew. War. 5 :52 ; 6 :2 :4 .
71 - In Eph. hom 5 .
72 - Ibid .
73 - Ibid 6 .
74 - Hom. for Epiphany , Ser. 204 . PL 38 : 1037 .
75 - Ser. on N.T. 39 : 4 .
76 - In Eph. hom 6 .

الأصحاح الثالث

77 - In Eph. hom 6 .
78 - Ibid .
79 - Ibid .
80 - Anchor Bible. p 331 .
81 - In Eph. hom 7 .
82 - Ibid .
83 - Against Jovinianus 2 : 29 .
84 - In Eph. hom 7 .
85 - Ibid .
86 - Ibid .
87 - Institutes of Cassian 5 : 21 .
88 - Sermons on N.T. Lessons 31 : 8 ; 53 : 6 .
89 - In Eph. hom 7 .
90 - Ser. on N.T. 3 : 15 .
91 - Ibid 54 : 24 .
92 - In Eph. hom 7 .

93 - In Eph. hom 8 .
94 - In 1 Car. hom 1 : 1 . PG 61 : 13 .
95 - Unity of Church 5 .
96 - In Eph. hom 9 .
97 - Ibid .
98 - Ibid .
99 - On the advantage of Patience , 15 .
100 - Unity of Church 8 .

١٠١ ـــ للمؤلف : مقدمات فى علم الباترولوجى ، طبعة ١٩٨٠ ، ص ١٣٦ .

102 - In Eph. hom 10 .
103 - Ser. on N.T. 21 .
104 - Unity of Church 8 .
105 - Adv. Haer 1 : 10 : 1 .
106 - In Eph. hom 11 .
107 - Ibid .
108 - Comm. on St. John 2 : 2 -
109 - Treat. on Christ & Antichrist 3 .
110 - On Mortality 6 .
111 - Adv. Haer. 3 : 3 : 1 .
112 - Source Chret. vol 36, p 65 .
119 - Ep. 73 : 26 .
120 - In Eph. hom 11 .
121 - Against Jovinianus 2 : 23 .
122 - Comm. on Easter Hymn.
123 - In Eph. hom 11 .
124 - Adv. Haer. 3 : 24 .
125 - In 2 Cor. PG 61 : 417 .
126 - In Eph. hom 11 .
127 - Ibid .
128 - Ibid .
129 - Cassian : Conf 7 : 6 .
130 - Ibid 21 : 5 .
131 - In Eph. hom 11 .
132 - Ibid .
133 - Ibid .
134 - Ibid 12 .
135 - Ibid 13 .
136 - Ibid .
137 - Ibid .
138 - Ibid .
139 - Ibid .
140 - Ibid .
141 - Ibid .
142 - Ibid .
143 - Ep. 69 : 7 .
144 - Cassian : Conf. 6 : 14 .
145 - In Eph. hom 14 .
146 - Ibid .
147 - Ep 13 ; 130 : 13 .
148 - Cassian : Conf. 16 : 7 .

١٤٩ ـــ المطران أبيفانيوس : الآمالى الذهبية فى مقالات لأبينا الجليل فى القديسين يوحنا الذهبى الفم ، ١٩٧٢ ، ص ١٣٩ ، ١٤٠ .

150 - Ser. on N.T. Lessons 8 : 7 .
151 - In Eph. hom 14 .
152 - Ser. on N.T. 17 : 4 .
153 - Ep. 61 : 2 .
154 - In Eph. hom 14 .

١٥٥ ـــ المطران أبيفانيوس ، ص ٣٩ .

156 - In Eph. hom 14 .
157 - Ibid .
158 - Ibid 15 .
159 - Ibid 16 .
160 - Ser. on N.T. 33 : 3 .
161 - In Eph. hom 17 .

الأصحاح الخامس

162 - Ep. 148 : 5 .
163 - Ser. on N.T. 64 : 3 .
164 - In Eph. hom 17 .
165 - Of The Christian Faith 17 : 109 .
166 - Cassian : Conf. 5 : 11 .
167 - In Eph. hom 17 .
168 - Ibid .
169 - Ibid 18 .
170 - Ser. on N.T. 17 : 5 .
171 - Ibid 26 : 5, 6 .
172 - In Eph. hom 18 .
173 - Ser on N.T. 77 : 7 ; 38 : 3 .
174 - In Eph. hom 18 .

١٧٥ ـــ حرف « ث » ، الأم ثيؤدورا .

176 - Ser. on N.T. 34 : 2 .
177 - Ante-Nicene Frs, vol 5, p. 245 .
178 - In Eph. hom 19 .
179 - Ibid .
180 - Ep. 108 : 12 .
181 - In Eph. hom 19 .

١٨٢ ـــ للمؤلف : الروح القدس بين الميلاد الجديد والتجديد المستمر ، ١٩٨١ ، ص ٢٢٦ ـــ ٢٢٨ .

183 - In Eph. hom 19 .

١٨٤ ـــ للمؤلف : الحب الزوجي ، ١٩٨٤ ، ص ١٢ ـــ ١٦

185 - To his wife 2 : 9 .
186 - Ad Polyc. 5 .
187 - Ep. to Wegelius 19, 23 : 7 .
188 - Against the heresy of one Noetus 14 .

١٨٩ ـــ الحب الزوجي ، ص ٣٩ .

١٩٠ ـــ المرجع السابق ، ص ٣٨ ، ٣٩ .

191 - Ep. 63 -
192 - In Eph. hom 20 .
193 - On Paradise 11 : 50 .
194 - In Eph. hom 20 .
195 - Ibid .
196 - Ep. 93 : 34 .
197 - Com. on an Easter Hymn .
198 - Ep. 74 .
199 - In Eph. hom 20 .
220 - Ep. 130 : 7 .

٢٠١ ـــ راجع للمؤلف : سفر التكوين ، ١٩٨٤ ، ص ٦٥ ، ٦٦ .

St. Augustin : Ser. on N.T. lessons, 41 : 7 .

الأصحاح السادس

٢٠٢ ـــ راجع للمؤلف : إنجيل لوقا (تفسير ٢ : ٤٩) .

٢٠٣ ـــ المرجع السابق .

٢٠٤ ـــ المرجع السابق .

205 - Ser. on N.T. lessons 1 .

٢٠٦ — للمؤلف : الحب العائلي ، ١٩٧٠ ، ص ٦٣ ، ٦٤ .

208 - In Eph. hom 21 .

209 - Ser. on N.T. lessons ; On the Psalms .

210 - Ep. to Heliodorus .

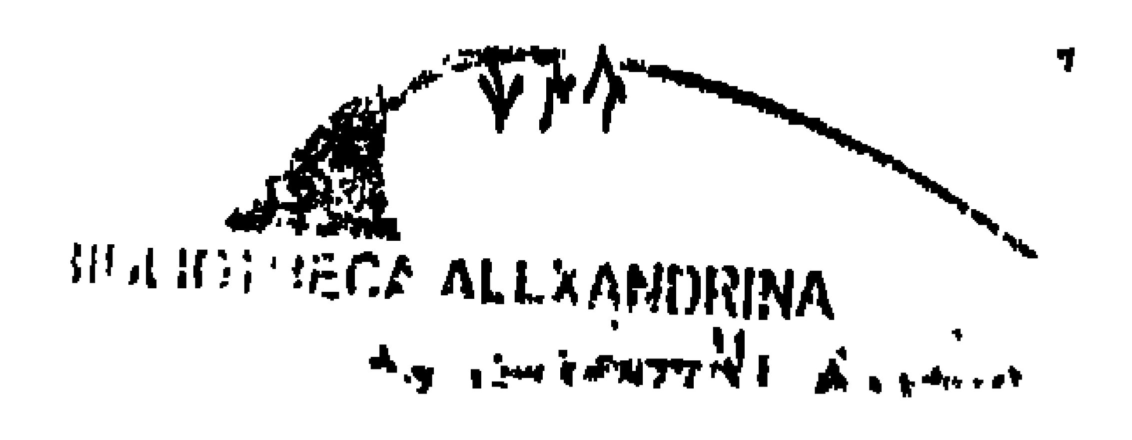
211 - In Eph. hom 21

٢١٢ — الحب العائلي ، ١٩٧٠ ، ص ٤٣

213 - In 1 Tim hom 9 .

214 - Ser. on N.T. 44 : 1 .
215 - In Eph. hom 22 .
216 - Ibid .
217 - Ibid .
218 - Ibid .
219 - Ibid .
220 - Ibid .
221 - Ibid .
222 - Ibid .
223 - Ibid .
224 - Ser. on N.T. 17
225 - Ep. 226 : 12 .
226 - Against Jovinianus 2 : 3 .
227 - On the Belief of the Resurrection 2 : 106 .
228 - Conc. Virgins 2 : 29 .
229 - Ep. 75 : 2 .
230 - Cassian : Conf 7 : 20 .
231 - Ibid 7 : 21 .
232 - Sermon against Auxentius 6
233 - In Eph. hom 22 .
234 - Ibid 23 .
235 - Ibid .
236 - Ibid 24 .
237 - Ep. 55 : 8 .
238 - In Eph. hom 24 .
239 - Ibid .
240 - Cassian : Conf. 20 : 8 .
241 - In Eph. hom 24 .
242 - Ep. 3 : 4, 5 ; 54 : 2 .
243 - In Eph. hom 24 .

فهــــرس



صدر عن هذه السلسلة

العهد الجديد:

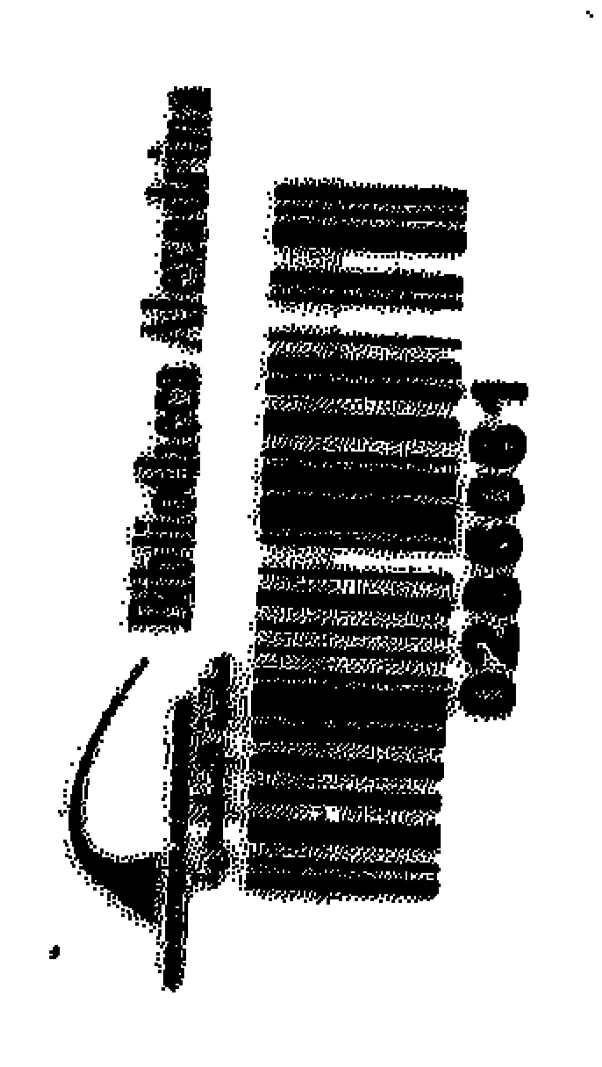
١- متى ٢- مرقس ٣- لوقا
٤- رومية ٥- أفسس ٦- تسالونيكى الأولى
٧- تسالونيكى الثانية ٨- تيموثاوس الأولى ٩- تيموثاوس الثانية
١٠- تيطس ١١- فليمون ١٢- العبرانيين
١٣- يعقوب ١٤- بطرس الأولى ١٥- بطرس الثانية
١٦- رسائل يوحنا الرسول ١٧- رسال يهوذا ١٨- رؤيا يوحنا اللاهوتى

أسفار العهد القديم:

١- التكوين ٦- القضاة ١١- المزامير ١٦- يوئيل ٢١- حبقوق
٢- الخروج ٧- راعوث ١٢- أشعياء ١٧- عاموس ٢٢- حجى
٣- اللاويين ٨- صموئيل الأول ١٣- حزقيال ١٨- عوبديا ٢٣- زكريا
٤- العدد ٩- صموئيل الثانى ١٤- نشيد الأناشيد ١٩- يونان النبى ٢٤- ملاخى
٥- يشوع ١٠- أستير ١٥- هوشع ٢٠- ناحوم ٢٥- الجامعة

يطلب من:

كنيسة مارجرجس أسبورتنج ـ الإبراهيمية ـ الإسكندرية.
كنيسة مارمرقس والأنبا بطرس ـ سيدى بشر ـ الإسكندرية.
مكتبة مارمرقس بالأنبا رويس ـ العباسية ـ القاهرة.



الثمن ٢٢٥ قرشاً